وزارة الثقافة والشباب
المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية
سلسلة الثقافة السريانية (21)

سركون بولص

الأعمال الشعرية

الجزء الثاني



اربيل 2011

سركون بولص (الأعمال الشعرية) الجزء الثاني

سركون بولص

الأعمال الشعرية

الجزء الثاني



سركون بولص

الأعمال الشعرية

الجزء الثاني

من منشورات المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية

عنكاوا 2011

اسم الكتــــاب : الأعمال الشعرية جـ2
اسم المؤلــف : ســركون بولــــص
تصميم الكتاب : ايشـــو اويتـر ايشــو
تصميم الغلاف : منتصـر بويا تومـا
الطبعـة الاولى : أربيـــــــل 2011
عدد النســـخ : 1000 نســـــــخة
رقم الإيـــداع : 1166 لسنة 2011
في المديرية العامة للمكتبات العامة ـ اربيل

حامل الفانوس في ليل الذئاب



الأول

قارئ الكتاب

كل شيء حدث من قبل ، وسيحدث ثانية

أوسيب ماندلشتام

(ترستيا)

ماكنتُ أقيمُ على الجمر لهُ

ماكنتُ انام وحيداً من أجله وأحيا

في عالمين بينهما كتاب ، افتحهُ كأن في قدرتي

ان استعيد ذلك الشاطيء مرة أخرى

وأسبح ثانيةً في ذلك التيار .

هل انا آخر الآتين إذاً

اتبع شمعةًالى نهايتي ، ام انا أوّلُ من سلفوا

أكملَ دورته العكسيّةَ في الزمن، من قبلُ ومن بعد ؟

وحدي في غابةٍ، والغابةُ أنا ؟

لي من الشوك تاجٌ ، زائري

الوفيّ الغراب (غراب أدغار آلان بو

الناعق : هيهات !) انا الغابة في غابةٍ وحدي

ألتفّ على نفسي وليس لي

ان ابدأ أو انتهي ، انا ولدي وأبي

أرتقي درجاً

لا اعرف أين يؤدي عارفاً ان كل ساعةٍ

هي الاولى والاخيرة – ارتقي درجاً ، واسمع صوتاً ورائي

((اسمعْني ، اسمعني آخر مرة

وأدر وجهك نحوي)).

مغامرة الفتى الهارب من القرية

أسرْتني شمسُ الظهيرة

ثم أطلق الحلمُ سراحي ...

أطلقني في الظلام باتجاه الحقول ثانيةً

حيث ينامُ أبي

في بستانه المهجور ، لأزور أمّي

وأسلم على إخوتي

لكن اخوتي

تشرّدوا في الحروبِ

وأمّي لم تكن في البيت ، وبيتنا لم يكن هناك .

أتى الليل

ونفس الضفادع تنقّ حالمةً على حافّة البئر

تحت نفس النارنجة التي استسلمت لملاطفات القمر .

أتى الليل

ليل الضفادع وجنّة الجنادب

سَوْرتي الطافحة في فراش استمنائي

على فخذي بنتٍ أرسلت عينيها الى البعيد

إذا ما طرتُ بلا أجنحةٍ ، وطاردتُ شبحَ الملاك .

عبرت بي كتائبُ مقهورة تسحبُ راياتها
في الرمالِ، دعتني الى كهفها ساحرةٌ
تخدشُ ذراعيها بأظافرها الطويلة.

سيَرٌ خبيئةٌ في العُشب
لن يقرأ أحدٌ أيّاً من تفاصيلها ، أعراسُ
الفراشات في عواصم الندى ، وللديدانِ تحت الأرض
ولائمُها ، للصقور حروبُها في الهواء !
نادتني الأشجارٌ لأنام
وفي حلمي وجدتُ باباً بين الغابة والطريق
حيثُ جلستُ على صخرةٍ لأستريح
وألقي نظرةً أخيرةً ورائي .

كنتُ ظامئاً أحلمُ بالألَق الأسير في زجاجات الشراب
وإمرأة نائمة قربَ سراجها في باب المدينة
فألقيتُ بحمْلي الخفيف على كتفي
وتبعتُ ضوءَ السراج .

بستان المهرّبين على حدود " القائم " والصحراء

في المكان

الاخير من ارضي

ارضي التي سأتركها ورائي :

قريةٌ

نهارها رايةُ الحمّى

ليلها حافلٌ بالنجوم والعقارب

اكلتُ فيها خبزي لبضعة ايام

وفكرت طويلاً بالمجاعات

منتظرا شارة العبور من دليلي

اذا اتى ، من يد الريح اذا سفّت رمالها

في الوجوه الملثّمة لقافلةٍ

تمرُّ ، وعبر الموائد

تحت سقيفة مقهاها الوحيدة :

بينما أيديهم

تتبادلُ عباءات الحرير

واشرطةَ الغناء - ساعاتٍ يدويّة فاخرة

صابوناً معطراً من الشام - يتسامر رجالُ الصحراء

حالمين او صامتين كالذئابِ

ويشربون الشاي .

يروون

عن مكائدَ

تُحاك حولها

الاساطير :

شرطةٌ تحومُ ، على طول الحدود

حول نقاط العبور، كثيفةً كالذباب

مهربّون لكل منهم اكثر من جواز للسفر

يمرقون في عروق الليل وسط بروق المسدسّات ..

تلهثُ كلابُ الرعاة في أجفّ السواقي

بألسنةٍ ورديّة خدّدها الظمأ

حتى ظهور نجمة المساء فوق سطوح الطين

عندما ترصد العيون قامةً

تسري كالظلّ على درب التراب .

ترصدها العيون عندما

تبرد الرمالُ

وتخرج أرملة المهرّب القتيل من بيتها

قاصدةً بستاناً خدّرته الظهيرة

مازال همسهُ بين اوراقه اليابسة

ينذاع عبر الرمال ويدعوها لتأتي اليهِ

في عتمة البستان

يدعوها كل مساءٍ لتأتي اليه

وتنام ..

نهداها قارورتان

سيحسو الليل النادمُ منهما

بعضَ الندى ، وعيناها مسحورتان بالحجّ

الى صحراء النجوم والحيرة -

الى أن أتاني

الدليل .

شهود على الضفاف

في البدء سمعنا الهدير ..

في البدء

قبل ان نرى

عندما اصطكّت ركَب ُ الجبال وانهارت

سدّة العالم الخفيّة :

جاء هادرا ً

يحمل ابواب البيوت

جاء يحمل اشجاراً منزوعة ً من جذورها

أعشاشَ اللقالق والتوابيت

عربات وخيولا ً –

يحمل صندوق َ حارس تعلوه راية ٌ

دولابَ عروس له ثلاث مرايا

قبل ان نرى المهد

قبل ان نرى

المهدَ يجري على الامواج

والمرأة تسبح ُ وراء المهد ، عيناها

جديلتها الطافية .

من يوقف العالم َ عن الانجراف

او يسدّ من اجلنا باب القيامة ، بأية صخرة ؟

لا أحد .

من يُعيد الينا القامةَ التي تغيب

من يرفع المهد كالطائرمن بين مخالب التنـّين

او يوصل اليه الأمّ الغريقة ؟

لا احد..

رجلٌ واحد القى بنفسه لاعناً في التيّار

تلقّاهُ النهَر الهائج كأنه ذبيحة

صارع قليلاً ، صاحَ مرةً

واختفى ..

هذا ما رأيناهُ في صباح الفيضان

نحن الشهود على الضفاف .

شاي مع مؤيد الراوي

في مقهى تركيّ ببرلين بعد سقوط الجدار

أمامنا علبُ السجائر (تلك الذخيرة) ..
من حولنا لغْط المهاجرين ، صفْق الدومينو المتتالي
على رخام الموائد ، ضوضاء كانت أليفةً ذات يوم ربّما
انبثقت منها مرةً اخرى
وسط الدخان ، كلمةٌ ولدت هناك ولا تريد ان تموت هنا
ان لم نقلها نحنُ ، من يقولها
ومن نحن إن لم نقلها..

لاعن الذي صارَ وكان ، كيف يصيرُ
يكون ، بل عن هذه الملعقة المدفونة في السُكّر
وعن هذا الفنجان . لا عن الجدار الذي يبيعون بقاياه
في « تشيك – بوينت تشارلي » حيث كانوا يتبادلونَ
الجواسيسَ وأسرارَ الشرقِ

والغرب بالأمس ، بل عن هذه الجداريّة التي تواجهنا الآن
بأجساد حوريّاتٍ من أيام " الباب العالي "
يستلقين حالماتٍ في قوارب اللذة
على نهر شربهُ التاريخ
جرعةً واحدة .

لرقُل أنّنا رأينا جدراناً كثير

كيف تعلو وتنهار ، كيف ترقص ذرّاتُ التراب

تحت حوافر مُهْرة المغوليّ في كلّ مكان ، كيف يضحك

" النصر " قليلاً

ضحكته البلهاء في مرآة الخسارة قبل أن تتكسر

وتملأ كسورُها العالم ، حيث نسير

ونلتقي في كلّ مرة .

شاحذ السكاكين

العالم فتحةٌ

تحرسها

كسور ُ مرآة

على دكّة من الطين

وتعبرُ منها

مختلفُ

أشكال

الخليقة :

يأتي الجميع ُ

ليدلفوا

الى هذا الزقاق .

* *

يأتي دراويشٌ

عاشوا زمناً في الكهوف ِ

مع العقارب والثعابين ، كلابٌ

تتبع ُ

سيّارات ِ

موكب الزفاف ..

يأتي

الذاهبُ

ويذهبُ الآتي :

المتّهمُ

الشاهدُ

والقاضي .

* *

العالم

حمّالٌ يئنٌ

تحت كيس الطحينِ

وهو

بائعُ الملحِ

وعازفُ الربابة

المتسوّلُ من بابٍ لباب .

* *

هذه

الفتحةُ في ذاكرتي

عندما أتبعُ ظلاً

يأخذني

عبر المواسم

وأصغي

الى نغمةٍ شبه دفينة

تتردّدُ

في مكانٍ قصيٍّ

من نفسي ..

هذه الأبديّة البيضاء

التي تسبحُ في رأسي

هذا الغرابُ الذي

يأتي

ليغزو

بياضَها ..

* *

يغزوهُ

زاحفاً من بيتٍ

لبيتٍ في ذروة القيلولة

وليسَ

سوى طفلٍ

يلعبُ في الظلّ

وامرأة تقدّم العشب

للخروف

المقيّد الى وتد

عندما تصدأ الدنيا

ويحلمُ

الصائمونَ في البيوت

من يدري بأيّةٍ وليمةٍ

في أيّ عيد .

* *

يظهر

دون نذيرٍ

بوجهه الصارم في

فوّهة الزقاق

على ظهره

مِجْلَـخةُ الجلد والحجر

وفوق عينيه

نظّارة أعمى ، رجلاً

لكنّه

خيّالُ مآته

مسخٌ جائعٌ لمذاق الحديدِ

تقيّأتهُ الشمس ..

* *

يظهرُ شاحذ السكاكين

في ملكوت الأشياء الصدئة

مثل نبوءة

نسيناها

ويقدحُ بين يديه

الحجر

ناعقاً للنائمينَ

بأنهُ جاءَ

جاءَ

ليشحذ السكاكين .

ملاحظات الى السندباد من شيخ البحر

هل تعبتَ اذاً

ونحن لم نكد نبدأ المسيرة !

انس البحر ، لاتفكر بالمراكب ، قل وداعاً للتجارة .

أنا آخر رحلاتك وكنت أنا

أولاها .

كل طريق سرتَ عليها

عبّدتها من أجلك بيديّ ..

كلّ سبيلٍ

أوصلكَ

اليّ .

وها أنت ذا تشكو .

ثقيلٌ على كتفيك يا سندباد؟

هذا لأنّ لي وزني

زائداً وزن الأبدية وأحتاجُ الى رجليك لتحملاني

في طوافي

بين الليل والنهار –

أنا الذي اعرف كيف اقرأ صمتكَ وأدري

انك تنوي ان تهربَ منّي

وتحلمُ في كل ليلة

بانك تلقي صخرةً على رأسي

وترقص سكرانَ على أشلائي ..

لكنك

اذا أدلجتَ في الأجْمة من دوني

واستحْلكَ الليلُ حولك

وكنتَ وحدك

ستسمعُ في كلّ همسةٍ ، هسّةَ أفعى

ترى العدوّ في عين الصديقِ

ولا تُلاقي أينما حللتَ

سوى السُمّ في شرابك

وتحت رجليك

المصيدة .

لاتحاول ان تهرب منّي

وانس البحر ، قل وداعاً للتجارة .

لقد قطعتَ اليوم حبل انتظاري

ومنذ الآن يا سندبادُ

سوف تحملني على ظهرك القويّ كأننا واحدٌ

أنا وأنت ، أنتنا ، أننْتَ

لنستكشفَ هذه الجزيرة .

الثانى

أخطاء الملاك

يظهر ملاك إذا تبعته خسرتَ كل شيء ، إلا إذا تبعته حتى النهاية ... حتى تلاقيه في كل طريق متلفعاً بأسماله المنسوجة من الأخطاء ، يجثم الموت على كتفه مثل عُقاب غير عاديّ تنقاد فرائسه إليه محمولةً على نهر من الساعات، في جبلٍ نهاكَ عن صعوده كلٌ من لاقيته، في جبل ذهبتَ تريد ارتقاءَهُ ! لكنك صحوتَ من نومك العميق في سفح من سفوحه، وكم أدهشك أنك ثانيةً عدت إلى وليمة الدنيا بمزيد من الشهية: الألم أعمقُ، لكنّ التحليقَ أعلى ..

حدود الإمكان

لماذا تتطلّعُ وراءكَ لحظةً

قبل الدخول ، هل رأيت رداءَها

المسحور ينسلّ ثانيةً بين الأشجار ؟

تضَعُ الكتاب

جانباً

في وسْط الصفحة الأولى..

أيّ صوت تُصغي اليهِ

بين أصوات المساء لا يسمعُه سواك ؟

تنظرُ مراراً الى تقويم الجدار

أية صفْقةٍ مشبوهة تحلمُ بأن تُوقِّع عليها

أيّ يانصيب

تأملُ أن تربح بطاقتَهُ ، أية جوقة من الملائكة

ستحملُ اليكَ تلك البطاقة

فوق سقوفِ أيّ عالمٍ لم تطأهُ قدَماك ..

المرأة التي كانت هنا منذ قليل

" ماذا قرأتَ

في وجه المرأة

التي كانت تأكلُ هنا منذ قليل ؟

بماذا

أوحتْ اليك

لعبتُها الواضحةُ الخفيّة ؟"

" إلهُ الغرائز، ذاك الذي

لاينام ، لاينام أبداً

في سردابِهِ العميق ـ

هذه رسولتهُ

حملت الينا رسالتَهُ

السهْلةَ القراءة

بأن الأيّامَ هنا ، تدعو

والأسفار تنتظر الرحّالة

خصوصاً

عندما ترفع الى فمها الشوكة

وهي تبتسمُ بعينيها

للسكّين "..

يوم مكرّس للمطر

صليلُ أسلحةٍ

تموتُ في ممالكَ من الطين

وقعُ المفاتيح في زنزانة يحرسها البحر

إنه المطر

يجعلني أذكرُ كلَّ ما نسيتُ

لأنسى بعض ما أريد...

هذا ما يفعله المطر.

لاتقتصدي في ذرْفهِ ياغيوم، بلِ اسكبيهِ

بوُفرة، وانسجيه خيمةً

ضافية الأبعاد تكفي

لإيواء كلّ ضيوفي

كلّ امرأةٍ هجرتـُها أو هجَرتـْني

كل مسخٍ او ملاكٍ ، كلّ نصر وهزيمة

كلّ خديعةٍ مازالت سكـّينـُها تصدأ في ظهري .

لاشيَء يُغريني بالذّهابِ

إلى أي مكانٍ، لاأحدٌ أذهبُ إليهِ

لا أحد يأتي إليّ ، لذا أفضّلُ اليومَ أن أشربَ وحدي

وأصغي بهدوءٍ إلى المطر .

تكفيني هذه الموسيقى

التي تشربها الخليقة بكل مساماتها

كإسفنجة ظمأى ،

يكفيني

صوتٌ ضائعٍ تحملهُ إليّ الريح

تكفيني ومضةُ برقٍ قد تكشف لي

أيُّ موكبٍ يتهيأُ للمثول أمامي

خلفَ هذا الستار الغريب الذي ينسجُه المطر.

ما نفعلهُ الآن

شيء ضائع بين التقاطيع

يطفو كطائر مقتول في بركة النظرة.

زوج تولـّى ، أمّ تموت

إبن ترينه في الحلم كلّ ليلة .

((كان ملاك البيت

ونوري الوحيد)).

والآن تستيقظين على صوت طارقٍ

في بعض الليالي تحمله اليكِ

العاصفة...

البرق يخيط السماء بأسلاك من الفضّة

المطر يغسل النوافذ بماء المعجزات.

هذه الساعة التي ستـُدنينا

او تفرّقنا، أو تذكـّرنا بأن ليلتنا هذه

قد تكون الأخيرة ، ونعرف انها خسارة أخرى

سيعتاد عليها القلب مع الوقت.

فالوقت ذلك المبضع

في يد جرّاح مخبول سيعلّمنا ألاّ ننخدع بوهم الثبات:

((أقلّ ممّا يكفي، أكثر ممّا نحتاج)).

أقل مما يكفي هذا الإرث الفائض من مكمنهِ

في صيحة الحبّ الأولى

أولى في كل مرّة.

أكثر مما نحتاج طعم الرغبة هذا

كما لم نذقه من قبل

لم نذقه من قبل..

وكلّ إطلالة على الهوّة خطوةٌ اخرى

في الطريق السالكةِ الى الذروة:

مانفعلهُ الآن.

غداً في الثالثة

في هدأة القيلولة

وجيراني الإغريق كلّهم نِيام

طرْقتُها على الباب، مشيتها الخجولة

وعيناها الراغبتان...

وجهها

وجهُ الحمامة

(تحت الريش، لبوءة!)

بعد الظهيرة عادةً، بين يوم وآخرٍ

ذات صيفٍ بدا انه الفردوس: تبقى

حتى ظهور أول نجمةٍ

فوق سقوف أثينا عندما تفرّ من بين يديّ

الى حياتها الأخرى، هديّةً

لا أدري أيّ إلهٍ

ظنّني جديراً

بنَيْلها، أرسلَها اليّ.

وذاتَ يوم، ذات يوم

طرقتها على الباب أليفةٌ

كمشيتها، حجرٌ متوقّع يسقط في بئر انتظاري

لكنّ حليبَ وجهها الشاحب

يجسّد عينَها المذعورة في زُرقة الهالات.

"سأُجهضهُ ، أختي تعرفُ الطبيب. غداً في الثالثة .

لاتأتِ اذا لم تكن تريد .

سأذهبُ وحدي ".

قطعنا الحلم نصفين

بشفرة المصير ، لنا نصفهُ

والبقيةُ للآخرينَ، ذات صيفٍ بدا

انّهُ الفردوس... أو غداً، غداً في الثالثة.

جَردُ العلاقة

(إليها ..)

هل كان الفرقُ سيغيّرنا

لو لم نجد هذه السدود حيث كنّا

نتوقّعُ أرحبَ الفضاءات ؟ انظري

مافعلتهُ الرغبةُ بنفسها ، هذه النُدبةُ تحت ضلعي

تحتوي ليلاً بكاملهِ ، وأنتِ:

أعرف أيةُ طريقٍ

سلكتها كلٌ طعنة نحو مركز الوحمات -

نُدوبكِ باللمس تعرفها أصابعي ..

أزحتُ عن وجهك قناعة أحياناً

على باب كهفك اسقطتُ كلّ جلودي.

ماتعلّمناه ، جاءنا هكذا

من العالم ، أشياءَ طافيةً على وجه الغَمْر

لها لغةٌ بسيطةٌ يفهمها من أحبّوا

لغة تكفينا لنستمر في تلقّي مايَكيلَه

لنا يومُنا التالي

من دون أسئلةٍ لاجواب عليها

في أيةِ حال: أجهلَ في انغمارنا من ان نأبه

بذنبنا أو براءتنا، نعرف كيف نطلّ

على أبعد ما فينا من حاجز الشرفة

متى نقيسُ الهوّةَ بأجنحةٍ

من اللُهاث، أيّ الثمار نقطفُ من الشجرة..

وهذا الذي شيّدناه ليلاً لتهدمهُ أيدينا

عند النهار، سوف نحملُه فينا كنصْبٍ منيرٍ

أنوارُهُ خفيّةٌ على الآخرين .

كلّ المراكب هنا ترسو

إلى هذا، وحده هذا

وفي كل مرّة لأنه منحنانا الضروريٌ

إطلالةٌ منه تكفي

لنعرفَ أن الساعة التي لم نحسب

حسابَها، عاريةً من كل شيء سوى عقربيها

السائلين سُمّاً أو عسلاً

قد حانت

لئَلا يسلم منها

حتى البعيدونَ أو الموتى

لكي توصلنا إلى هذا -

بينما الجيوش تزحفُ وتحترقُ البيوت.

إلى هذا الدور وليس ما نختارهُ ذاتَ ساعةٍ أخرى

مليئة كالبغيّ بمرتَجَع الليالي ، بالموت حيثُ

كانت الحياة تضجّ بأعراسها

ومازلنا ، نحيا رجّةَ الأمسِ

ونطيعُ ، مازلنا ، مراسيمَ مزّقتها يدُ الظروفِ

الخؤونةُ، الموفورة المخالب..

لكي يأتي الأمر إلى هذا :

- هذا ماغنمناه وإيّاه ، هذا ، الهزيمة

كلّ المراكب هنا ترسو، تابولا راسا ، وفاتا مورغانا

لاشيء مما راهنّا به على حلمنا الأوّل

سيُغوينا باقتحام العواصفِ ثانيةً

لأننا نأتي إلى هذا

لنحاكمَ الأحياءَ ، ونرفع الدعوى على الموتى

مرةً فأخرى نأتي إلى هذا ، إلى هذه الطريق

وليست أيةَ طريقٍ أخرى لم نعد قادرينَ

على أن نراها ..

لكَ وحدك

لأنها دائما

تعودُ، هذه اللحظة

لاتوأمَ لها في كل الأبّدية فهيّ لك ،

لكَ وحدك ، حميمةٌ كصوت همومك، غنيّةٌ

كتلك الهمومِ، متفرّغةً دائماً

في هموم أخرى لك تلقاءها

مهارةٌ خاصّة بك في استقراء العلامات!

تلك الومضةُ وسط الجبينِ

ذلك الانفجارُ في قلب الدقيقة..

بعد أن تفرّق الضيوفُ

وانطوتْ آخر حفلة في ألبُومٍ منسيّ

بعد أن سقطَ جدارُ برلين

بعد أن علا شخير البربريّ

الملطّخ بالدم والنفط والويسكي

بين خرائب مدينةٍ ، لنا، أخرى -

(نيلت معبودةُ الملايين على الشاشة

ذهبَ المتفرّجونَ الى بيوتهم وناموا...)

الآن وقد ذهب الآخرون

كلهم، ولن يعودوا

اذا كانت لديك أيّةٌ أسئلةٍ

تريد طرحَها ، أيّ رؤى ما زالت

تترنح سرّاً في رأسك الآن ، اذا كانت هناك

أيّ ملاحظات أخرى

تريد ان تبديها لسيّد الكائنات في آخر لحظة

فلتذكرها لقارب اسمه " الراعي الصالح "

كلّما رنّحتهُ موجةٌ قادمة

فلتذكرها لقارب اسمه " اسبيرانزا "

كلما لبط الرصيف في هذا المرفأ الخالي،

لمرساةٍ يغطّيها الصدأُ والمرُجان

لتلك الفأس المنسيّة في جذع الشجرة الهرمة ..

وَشْوش الامواجَ

والريحُ تبشّر بعاصفة وشيكة

قد يزوّدكَ صخبُها المتضاعف

بالردّ الذي تشتاقُ الى سَماعهِ أذناك!

أسأل المومسَ المتخفّية بالظلال في مدخل الفندق

تطلّع الى الطفل الفَرِح بقنّينة الحليب

في لوح الاعلانات

ما يفوق المائة بليون همبرغر
بيع عند مكدونالدز حتى الآن !

مادونا تمارس الحبّ
مع الشيطان .. أشتروا الفيديو

إشترِ الفيديو. أو تابع سيرك في المطر

أوقف هنا ، واصغ قليلاً

الى صرير اللافتة التي تتأوجحُ بجنونٍ

فوق بابِ بائعِ المعجزات.

طقوس الطبيعة

قادماً من محطة اخرى

كهذه تركتها

ورائي

بانتظار قطارٍ لاأريدهُ

أن يجيء: كم من الزمنِ، ساعاتٌ ، قرون !

أرمقُ امرأةً تشربُ شيئاً

في احدى الزوايا

معها رجلٌ

سوف تودّعهُ بعدَ قليل.

هذا ما تقولهُ

زرقةُ عينيها المخضلّتين تحت

خصلاتها الذهبية

النافرة.

هذا ما تقوله

خطوطُ التماسّ في بوصلة المصائر.

هذا ما يقول

جدولُ اللقاءات والوداعات.

يقول

هذا الجدول السحريّ

أن اللقاء والوداع ما هما إلاّ

توأمان سياميّان تواءما أخيراً

في الجسد الواحد

وأنها تعرفُ كيف تُعرفني

بأنها عرفتْ

ما أن عرفْتُهُ ، ماعرفتُ..

وهو أننا سنذهب معاً بعد ساعة

(معاً. بعد ساعة)

الى بيتها في قريةٍ قريبة.

سيّارتها دافئةٌ

وهي تسوقُ ، بسرعة.

كلّ الجسور بيضاء تغطيها الثلوج.

غابةٌ تبدو، أفقٌ يغيب.

قرميدٌ، سقوف.

يُرينا

الأسفلتُ كم هو راغبٌ

في التلاشي

تحت عجلاتنا، وتصلّي الطريقُ من أجلنا

صلاةً قصيرة.

الى أجل غير مسمّى

هكذا أردتكِ

بدءاً من اقدم احلامي في هذا المكان

بعينه، هذا الزمان بالذات –

شجرتي. كهفي الأمين .

مرقدُ مرساتي

الى أجَلٍ غير مسمّى..

مباركةٌ

هذه القرية النائمة

وبوركنا نحن الذين لا ننام:

فراشنا على الأرض ، راسخٌ

في مَطالنا

النبيذ والسجائر

نطوف على موجة الستيريو

جسداً الى جسد مع الأفلاك.

نام " سيّد المغنّين " نام فاوست.

نام أهالي الراين.

نافذةٌ

والثلجُ غطّاها.

ريحٌ تعذبُ مفاصلَ الباب.

" الرجلُ الذئب " في الخارج ، يعوي..

دعيه يعوي ، ضعي أسطوانة.

ضعي بوب ديلان

في " ملجأ من العاصفة ".

ضعي رافي شانكار، سيّد السيتار

ليأخذنا بيديه الى الهند

سنعبدُ الليلةَ نارها

ودفقةً دفقة نجري الى المصبّ..

حبّنا وليمةٌ

لن يأتي اليها شاهدُ زور.

أسدلي الستائر

لئلاّ يرى انوارَنا الجيران.

الشرقُ شرقٌ والغربُ غرب. نحن واحدٌ. هذان عالمانا.

الحافـّةُ أسرارُها

على الحافـّة الهشـّة التي نصلُ إليها وكنـّا طيلة الوقت نسعى بكل مافينا من تهوّر لبلوغها، تلك القشرة الخدّاعة من رقيق الجليد على فوهة أخدود ما أطولَ ما أغرانا في أحلامنا الشبقة بانتهاك ظلامهِ ، هناك حيث الحياة تنكسر بين رجليكِ كأساً من كريستال عُذريتك التي لم يَصُنـْها الزمن ، نسيرُ ونترك آثارنا ، نعرف أننا نمتحن المصير بكل فلذة .

الحافة تبقى. ندور في حلـْقة اللحم على نفس المحور الثابت للوهم ونحاول ثانيةً، ومن جديد، جامحين أكثر في كل مرة وقد عبقت ريحُ الطقوس في الشرايين، بأنْ نـُزيد قوّةً الدفع في وجهِ الوعيد بالفناء، مُنزلـَق الخوف والحمّى، عارفين أن القشرة قد تنكسرُ أو تذوب في أية لحظة.

نجازفُ بأنفاسٍ مكتومة تـُداني الأنفجار لنجرّبَ أن نرى شيئاً لم يرَهُ من قبلُ أحدٌ سوانا.

الثالث

البادئ

« ان نبدأ ، هذا كل ماهناك »

(شيزاره بافيسي)

يتركُ الضيوفُ

غباراً سحرياً على الكراسي

غيابُهم قارورةٌ ملأى بحبرٍ شفّاف.

الموقدُ البارد في الزاوية

يطقُّ مرّة ليذكّرني بأنّ أسفاري

ضدّ الزمن ، وليس لي أن أحمل الأشياء

على ظهري حتّى الأبديّة ، او أرفع هذا الميت

من إبطيه عن أدراج بيتي.

استيقظُ كلّ يوم

كالعائد من رحلةٍ طويلة.

في سقف الغرفة نقوشٌ لاتفصحُ عن شكلها النهائي.

ديوني

لايمكنُ ايفاؤُها

لذلك أخبط البحر بكفّي لأوقظ سمكةً نائمة في الرمل

مدمدماً بكلمات آشوريّةً ممّا قبل الزمان

وابدأ صباحي.

أبدأ هذه اللعبة السريّة مع العالم

بانتظار ان يُسقط الصمتُ قطعة أخرى

من اللحم في صحني ، ماسكاً قلبي بكمّاشةٍ

لئلاّ ينتصر فيه العبدُ على الملاك .

الى امرئ القيس في طريقه الى الجحيم

لي جمرٌ

لهذه الليلة

في ثمّة مدفأة أبسطُ نحوها يديّ

وأصغي الى عاصفةٍ ترود في الظلام كضبعةٍ شبِقة

عويلُها الفاجعُ لم يعد يُطربني.

أصغي

لكي أسمع الصحراءَ تغنّي

وليس صهيل امريكا المتعالي كألف حصان جريحٍ

من حولي، الى عصر آخرسفّتهُ يدٌ قويّةٌ من الرمل

في ذلك الفم الفاغر للزمنِ حيث الأطلالُ

دائماً بانتظار

المناسبات

بسَقْط اللِّوى. بين الدَخُول فحَوْمَلِ. انها دائماً هناك.

إنها دائماً أصواتٌ ومن التيهِ الى التيهِ

تثرثر الريحُ في ودياننا كامرأةٍ هرمة لنا بها علاقةٌ رحِميّة

ولانريدها

أن تموت في الغرب كنّا أم في الشرق، نضربُ واحداً

بأسداس الثاني ونقول

" ضيّعني أبي صغيراً " أجل ضيّعني ولن أستريح

" اليوم خمرٌ، وغداً أمرُ " تقول الريح

ولي خمر وجمر ومُعلّقةٌ

قد أهِزم بها جنياً يزورني في مثل هذه الساعة

في مثل هذه الساعة دوماً كأننا على موعدٍ

لايقبل التأخير محمَّلاً بكل ضغائني

ليعلّمني اسرارَ السوادِ في سراديبِ سُويدائي

وهذا الغسق اللعين ، المتكاثف ظلاً فظلاً ليعلم أنني

أحلم في آخر قطرةٍ ترشحُ من سَدولهِ

بانواع الهموم ، بانواع الهموم !

بالرمال ، بتيماء خيالي ، وبك أنت أيضاً ، بك

وبالمصير

أيها الملك الهارب من ذلك الوغْد

المنذر بن ماء السماء..

ذلك الوغد الذي ليس سوى اسماً يطاردنا حتى باب الجحيم

ذلك الاسم الأجوف كالطبل . ذلك الطاغية. ذلك

العبد .

ذلكَ الوغد، انه دائماً هناك.

ذلك الظلّ الذي يحتلُّ زاويةً في القلب ولن ينزاح

كزردك المسموم (« هدية » من « صديقك » ملك الروم)

- أنه هناك.

ضربةُ الحتف من يد مطيّتهِ،

عدوّنا الأمّي المتلهّف الأكثر عماءً من « ليل تمطّى بصلبهِ »

تلك الدودة المعلّقة من أسفل الأجاصة

في بستان عزلتنا الوارف حتى النهاية ، ذلك

المخلبُ المدفون في لحم القوافي ولن ، لن ، لن ينزاح

يا امرأ القيس

لا أمام الإنتصار ولا اللا إنتصار، قد يسلب رجلاً

كلّ شيء

حتى ينتهي الرجلُ على الحصيرة..

لاجمرٌ

ولا خمرٌ

ولا أمرُ .

هذا هو يومي

مكتوبٌ

على هذا الجدار

ورائي ، على جبين الحاضر

المتهادي في هودجه المأجور، أنّ وليمةً أخرى

ستكنسها الريح، والتاريخُ سيتعب يوماً

من النوم في هذه المجاري..

على قسَمات المدينة

في رفوف الدخان المتلبّدِ حتى أعلى

ساريةٍ هناكَ

تتّضحُ الكآبةُ يوماً فيوماً..

لنعرف أنّ أصنامنا راضيةٌ لا تعْوزها القرابين.

في التواءة النظرِ، مكتوبٌ

ومكتوبٌ أيضاً في لفتة الغضبِ إلى تضاريسِ هذا

المشهد المستحيلِ ، أنّ أياماً أخرى

وأزماناً

مختلفةً ، أشدّ الاختلافِ

عن هذا الزمن الذليل ، ستأتي ..

بدليل كلّ آية مبذولة ٍ

كضحكة الحشّاش حيا الله

بدليل أكثر من خيمة ٍ نُصبت على جانب هذا الطريق

لآكل الجيفةِ والمرتزق الصغير..

هذا هو يومي.

سأجعلهُ شاهداً لي

نستنطق البدءَ بعد أن عرفنا النهاية

ولم تعد تغوينا سوى أبعد العتَبات

حيثما شكّ العقابُ مخالبهُ

في صدر الحمامة

حيثما هبّ شعرُ أرملة في باب ضريح

حيثما فتح رجلٌ صندوقَ أحزانهِ

وألقى بالمفتاح إلى النهر.

لذا اقتربْ أكثر

أيها الحضور الذي لا أعرف ماذا أسمّيه

أريد أن أشرب نخبك ثانيةً

لكن أين كأسي

أريدك أن تشرب اليوم على مائدتي

لكي نتخاطب أو نضحك أو نبكي

لكن أيّةَ خمرةٍ أسقيك -

شرطُنا أن نتصالح عبر هاويةٍ

ميثاقنا جبريٌّ كالعلاقة بين الفأس والشجَرة.

سيّد المناخات

لِيُدهشني سيّدُ المناخات ، ليحيّرني

أكثر ممّا أنا محتار، حتى قبل أن أقبل بعالم اليقظة

فاركاً مازلتُ عينيّ : جمجمةٌ ألقت بها

عاصفةُ الأمس في حديقتي

لطائر ضخم او حيوان صغير حيث تمشّيتُ هذا الصباح

محاذراً أن أخطو

على البزّاق الملتزّ بين مزهريّات الفخّار المحطمة

(في الغسق سيبحث عنه الأطفال بالفوانيس).

مخاضُ ليلة الأمس : كانت الطبيعة امرأةً

تصرخُ من آلام الطلق ، واليوم :

هذا الوليد.

بطل وترّين

من قريته المنسيّة بين تواريخ تسكن هامشَ التاريخ

بادئا ً في مشارف نأمةٍ ، سريّةٍ لايسمعها سواه ، مشى كالنائم في بخار ٍ

مليء بأجساد الراقصين على ايقاع الطبول ، وجاءَ ليقتلهُ ، ويخلّصَ منه باقي الملكوت.

لكن بين عظام كم بطل ٍ آخر لم يترك لنا حتى اسمَهُ منقوشا ً على درعه الصديء ِ يتثاءبُ التزّين

فاتحا ً شدقيهُ الرائعين لينفث في الجوّ رمادَ البراكين ، في أيةِ مرآةٍ تُويه ولا تُويه

أيَّ سيفٍ يحملُ ، أيّ زرّ يكبسُ ، أيّ مفتاح ٍ يُدير.

النصيحة

قال لي : أنصحكَ ألأتؤخرَ الأمر. لاتلتفت الى الوراء. غادرْ.

هذه النقطة في الزمن ، هذه البقعة في الارض، هذا الحاضر الذي تستيقظ فيه : غادر.

أنصحك ان تترك هذه الجثّة وشأنها لأنها ماتت بل بدأت تتعفّنُ منذ مدّة

ولن يفيدها الآن لا شانيل رقم5 ولا باكو رابان ...

نحن والتيّار

كلّما جاؤونا بطوقٍ آخر، كلّما جلجلَ سجّانُنا الساديُّ مفاتيحَهُ
سمعنا العالم يستيقظ من كوابيسه في رحِم القصيدةِ المستعدّة للنزف دائماً
من أجل هذا اللقيط ، وانجرفنا نحنُ والسجّانُ والسجنُ في قاربٍ واحدٍ مع التيّار .

هذا ماتعلمّناهُ في أوّل احلامنا وآخرها (هذا كلّهُ حطبٌ لنارٍ قادمة..
في كل رغبةٍ صادقة مايكفي من الكبريت) ودائماً ننتظرُ الملاك الجاهلَ بالمسالك التي
قد تدلّه يوماً ، حتى ولو بالصدفة الينا ، أو الحبيب الذي لايستجيب : وجهٌ نعرفهُ
ولو في الاحلام ، ذلك الذي ، تلك التي ، عند رأس ذلك الجسر
في منعطف المدينة التالي ، بين ذراعي المرأة التالية .

كيف أعطينا لليل معنى (لو شئنا ، لاستنزلنا لهُ آية)..
كيف تحوّل سؤالنا فجأة الى جواب : رقصتنا لا تنتهي ، ساعاتنا
مقدّسةٌ، في عيوننا أنباءٌ جديدة. خُطانا دلّتنا الى الباب لكن أقدامنا ظلّت تسير.

طرق مختلفة الى روما

ها هو سيّد بخيل

يحتفظ لنفسه في بستانه

بتلك الكمّثرات الناضجة الجميلة .

باشو: ((طرقات ضيّقة الى الشمال البعيد))

الكفالاتُ لم تكن كلّها أمينة ، كلّ الطرقات

لم تؤدّ الى روما.. لا، لم تؤدّ كلها الى روما.

بعد أن اكتشفنا السُمّ في الشراب

وانتهت حفلة المسوخ كما بدأت بشكليّة ساخرة

هجرنا عشيقتنا التي لا تتوبُ عن غدرها

وكان علينا ان نتخلّى حتى عن أشيائنا الأثيرة، القليلة

لأيّ قيصرٍ قرويّ له عددٌ كافٍ من الجنود.

لذلك يا سيّد الربح والخسارات

لذلك.

لذلك أيها المخلوق المثابر

والمُزايد بالمضاربات اليوميّة التي ترجُّ السوق

لذلك أيها القرد المدرّب الذي لايكفّ عن إغوائي

بتجريب حظـّي الأخير والرهان ثانيةً

على فرسٍ قد تكون هي الرابحة لعلّ وعسى -
نكايةً بحتميّة التقاويم التي تتبعها البقيّة

تنكيلاً بهذا الشيء الذي تعبدهُ، باسم ربٍّ لن تعرفهُ أبداً:
لاتداعب كيسَ مرارتي ، لاتستغلّ طيبتي

لاتراوغ نظرتي المستقيمة :
أنا عارٍ تماماً بعد أن خسرتُ كلّ شيء

ولستُ ذاهباً الى روما فروما ليست مدينتي!
أنا عارٍ وها هي يدي ، إنها فارغةٌ

يمكنك ان تبصق فيها الحقيقة :
هذا الدولارُ الملوّثُ من كيس سيّدك البخيل .

هو والرسالة والجريدة

(عبور في مدينة اميركية 1993)

شرب الرجلُ القهوة ومضى

يقرأ الجريدة.

النادلُ في تأملاته سارحٌ أو ربما

يحصي الكراسي

ويُصْغي إلى العاصفة..

ها إن عينيه تتسلقان سلّم العناوين :

-Los Angeles Still on Fire

- Will the Japanese Drive Us into the Sea?

وتهبطان إلى المهاوي ، نفسُ الجرائم ، ما من جديد**!**

فتح الرجلُ رسالةً

سلّها مرتعشاً من مظروفها ، سوّى عويناته

ليقرأ

ثم توقفَ عن القراءة

بعد قليل.

خلف الزجاج امرأةٌ

تزوبع في تنّورتها الريح.

أطياف مآتيّةٌ تهرب من نذير

ينهدّ وراءها

شجرة

تجلد جذعها بأغصانها على الرصيف.

مساءٌ آخرفي مدينةٍ أخرى

محتومة المصير، غادرها أكثرُ سكّانها

وباعت آخر أصنامها بعد أن فشلت معجزاتُه

في تخفيض نسبة البطالة

(هذا مايقوله الغرافيتي

الذي يزّيّن جدرانها ..)

الليل يهبط وأنا مسافرٌ

أنهى قهوته وبعد لحظات

سيغادر هذه المدينة

لكنني رأيت كيف

توقّف الرجل بعد قليل

عن القراءة .

رفّت أهدابه بضعفٍ واضح واضطرب .

رفع عينيه الزائغتين إليّ

لكنه لم يرني .

لمّ جريدته ، طوى الرسالة . دفعَ الحساب .

ثم فتح الرجل الباب وتلقّته العاصفة بين ذراعيها :

هو والرسالة والجريدة .

« شوبنغ مول » في كاليفورنيا

أهرامٌ

من البضائع

الجاهزة

(عرقُ البشريّة

المستحيلُ أحذيةً

وحقائب)

في ثكنةٍ

جنودُها

جيشٌ من المستهلكين

تتوسطها

حديقة

لها نافورةٌ

تعلو

الى السقف

ويلهو حولها

الأطفال

أشجارُها

الصناعيّة

تجهلُ

ما هو الماء

ولن

يأتي

اليها

يوماً

لا

البستانيُّ

ولا الحطّاب.

تحوّلات الرجل العادي

أنا في النهار رجلٌ عاديّ

يؤدّي واجباته العادية دون أن يشتكي

كأي خروف في القطيع ، لكنني في الليل

نسرٌ يعتلي الهضبة

وفريستي ترتاحُ تحت مخالبي.

ميشيما بين ((بو)) و ((بُون))

((طالما سأموت لابصفتي رجل أدب ، وإنّما بصفتي
عسكرياً خالصاً، أحبّ ان تضاف كلمة السيف -
بو- الى اسمي البوذي . وليس من المهم ان تظهر
كلمة قلم – بُون -)).

(من وصايا ميشيما ، مؤلف ((اعترافات قناع)) ، قبل انتحاره بالهاراكيري)

هذا
ما اعترف به
قناع يوكيو
ميشيما:
السيف
أصدق أنباءً
من الكتب
لكن الشمس
غداً
ستشرقُ كالمعتاد
لتكتب كلمةً
أخرى
في
هذا الكتاب.

الشيوخ في الصين

ما أدهى

الشيوخ في الصين

(رأيت هذا

في فيلم

وثائقيّ عن تلك البلاد)

انهم

هواة

الطيور الأسيرة

يأخذون أقفاصها

كل صباح الى المتنزّه العام

وما ان يعلّقوا

الكناريّ

في شجرة

حتى

يخيّل اليه

أنه حرّ اخيراً

فيبدأ بالغناء.

هكذا

يطربُ الشيوخ في الصين

دون تكاليفَ

كبيرة.

أبعاد

العازفُ في ركنه

يعانق عوده بوداعةٍ كأنه يصغي

الى بطن حبلى بينما أصابعه تعذب الأوتار.

جسدُ الواقصة تحت الأضواء مستلَبٌ تماماً

يتلوّى في البُعد الرابع للنشوة

حيث لا تباع التذاكر..

نحن المتفرجّون نبقى هنا مع الكراسي

وخشبة المسرح الخالية .

الذاهب

ذهبتَ

ولم تفتقد الكثيرين

لكنك حملت أصواتهم الى كل مكان

انت الذي ذهبتَ مرّةً

وأكثرَ من مرّة

أتيت.

انتظرناك

قد يكون أنك أصمّ لا تسمعُ شيئاً

قد يكون أنك أعمى لا ترانا ، لعلّ وقتك لايكفي

ربما قُتِلتَ في الطريق، ربما كنتَ تموت

لكننا انتظرناك بما يكفي –

كم مرّة سمعنا المفتاح يدور وقلنا أنّك أتيت

لكنّك لم تأتِ ...

قال الصمت

-1-

الانتظار وملفّاته التي لاشيء فيها ، الرمل الذي لايريد أثراً لقدمٍ، والدم الذي يبني مدناً لانراها. الطقس الذي ليس مناخاً، الراية الخفاقة على أعتاب متاهتها – يعرفني السائر في الظلام وأنت ، تعرفني . من طفحَ كيلُه ، من حالُه بالويل ، يعرفني . هذا أنا ، يسمّونني الصمت. أنا الصمت.

-2-

هناك نقطة يصعب حقاً تجاوزها حيث الصمت وحده يلمّع نقود المرابي : العالم نهر وأنا في قاعه أمشي ، على ركام جماجمه العالي ، في ذلك المسقط من حتفي – لا الطبال المتحمس يزعجني ، ولا نافخ المزمار يستدرّ انتباهي ..

ُبناة الزقّورات

كانوا

أوّلَ الحالمين

جسّدوا شكلَ الحلم بالآجرّ

متلولباً نحو العلاء كأدراج العبادة.

عرفوا

أنّه طيفُ الغريبِ

يمرُّ، لا يُستعادُ سوى

على شكل زقّورةٍ ينتهي رأسُها

الحجريُّ في السحاب

وتعلّموا

أنّه بحرٌ

نرى على ساحلهِ

أباً في ثيابه البيضاء أحياناً

يومِيءُ ، يومِيءُ إلينا منذ ألف سنةٍ

بانتظار سفينة.

تعويذة للعائش في الطوفان

في هذا الطوفان لا نوحَ ولا سفينة... إن كان لبعض
الخوافي أن تنجلي لك الآن ، فأنت صوتها القادم من بعيد
إلى مكان انتظارها؛ أنت الذي أردت عري المغامرة
وأحرقت الخريطة ، نم الآن في بوّابة التنـّين . العاصفة التي
مرّت، أتلفت قلبك : لاتحاول ترميمه ، إنه بيت مخرّب.
المطاردة طالت وأنت لا تعرف كيف تصلـّي. طفح الكنز
في اليدين. عُبر النهر، مرّتين. عادت الحمامة لكن بقي
الغراب. ذهبَ الصديق ، أتى العدوّ ...
وستحيا، من بعد أن يموت.

هذا الرداء بين أصابعي

الى خالد المعالي

قدمٌ فأخرى

من نافذةٍ الى باب

من جدار الى سرير، قدمٌ فأخرى

من سيأتي ؟

حاملاً أية أنبلةٍ إليّ ؟

بانتظار من أسيرُ في هذا

البيت الفارغ وحدي؟ بانتظار أيّ صوتٍ

يأتي ليكسوني بردائه ؟

بانتظار ذلك

الايقاع الذي سُيسلكني

كحبّات مسبحةٍ في خيطه الخفيّ

ذلك الصوت الذي يأتي ليكسوني بردائهِ

أسيرُ حافياً في هذا البيت

الفارغ وحدي .

بانتظار الكائن الآتي

عندما يلتقيني، رداؤُه الحمّى

ليشيّد معبدَه السفريّ من أنفاسي

ويبدأ العالم بالتحوّل من دمدمةٍ

الى صلاة.

أطراف نافذتي

تبيضّ بلمسة الفجر

فالفجر في رحِم السماء يدفشُ كالوليدِ

وهو يشعّ بماء الولادة...

كلُ شيء

يفتح عينيه على هوّته المنيرة.

تنوء الأشياءُ

بأنفاسها ، وأنا أسيرُ

في هذا البيت وحدي –

تنمو للدماغ أشواكٌ إبريّةٌ الإضاءة.

هالةُ المصباح

تصبح ثقباً آمناً لتدجين الليل

بوسائل الخرافة

تبحث عنه

يدُ الخيّاط الأبديّ وتُومضُ الإبرة

قبل أن تخونه أجفانهُ الثقيلة

ويسقط وجهه الى الأرض مع الرداء.

أريد هذه الاشارة التي تعلّمني

المضيّ ، وعوّدتني

على الانتظار لأسبح دائماً

في مائها ، هذا الرداء بين أصابعي

هذه الرجفة التي

من أجلها أرضى ان آكل حجراً

من أجلها أن أجهل من أنتَ ومن هوَ

من أجلها أن أشهد حتى لهذا

الكائن المجهول الهوية

عندما يأمرني

بأن أغلق نافذتي ، وأهجربيتي

وأمشي

في طريقي .

سماء أكثر

نحتاجُ الى سماء ، الى

سماءٍ أكثر

الى سماء لن نبني بيتنا فيها

لكنها لنا وحدنا

الآن

والفكرةُ أغلقت

وهي في القمّة جناحيها

(مامن وضوحٍ ، لا مُثول)

الآن

ومركبنا يتجاهلُ الفنارَ

(طاحونة القش

وراءنا

تؤرّثُ نارَ الصورة الأولى)

كأن هذا النهارَ بذاتهِ

قد يتلاشى

في أية لحظة

دون أن يترك أثراً

بعد أن

لم يبقَ أحد

لانجاز المهمّة

التي كنـّا نعرفها ذات يوم

نحن وحدنا

لا أحد ليُكمل الحلقة

ليفهم القوى التي ينبغي دحرها

لا أحدٌ ليرى

هذه الخطة التي كان يبدو

أنها ينبغي، ينبغي أن تنفّذ مهما

كانت العوائق ، أيّاً

كانت النتيجة.

ضياء

تخفي ضياءك عنّي

وراء ستائرَ لا تحصى أيّها الماضي

لكنّني أعرف أين دفنتَ اللؤلؤة وكيف بنيتَ من حولها المدينة.

تقرير من الجبهة

أنا جنديٌّ

أنامُ

خلف

المتاريس

حالماً بزوجتي

وبيتي

لا

بوجه عدوّي

البائس

إذ

يموت.

ملاحظة من مسافر

عندما رأيتُ

الموتَ يتوضّأُ في النافورة

والناس من حولي يعبرون نياماً في الطُرقات

بدا أنّ أحلامي أهرامٌ من الرمل

تنهارُ أمام عينيّ

ولمحتُ نهاري يهربُ في الإتجاه المعاكس

بعيداً عن تلك المدينة الملعونة..

البدء نختارهُ

لكن النهاية تختارنا

وما من طريق سوى الطريق.

بيت حوّاء

عيناها

حين أضلّ

من تحتي

ترشدانني

بيتُها

أعمقُ صمتاً

من غابة

العالمُ

من حولنا

بحرٌ

(البشر لم يخلقوا)

وفي الحديقة

طائرٌ ليليٌ غناؤه رتيبٌ

يواكبُ انحدارنا

من هاويةٍ

الى اخرى.

أريكة فيرونيكا الزرقاء

« كولونيا » باردة، طقسها رماد:

اليوم ثلجٌ، بالأمس ثلج وغداً بالتأكيد...

لكن الثلج جميل على الراين، والرماديّ لونٌ لابأس بهِ

عندما تدلّك فيرونيكا عازفة الفلوت

الى غرفتها القريبة من الجسر

لتسمعك شيئاً من فيفالدي ، شيئاً

من باخ ، وتفتح أريكتها الزرقاء

فاذا بها سرير.

شموئيل

أعرفُ أن شموئيل

سكران هذه الليلة بعد أن أفلت

من الوجوه التي تهمسُ له

وتكمن بانتظارهِ ، في هذه المدينة المشهَرة

في كل زاوية من زواياها

عن ذراعٍ

متلّهفة للاطاحة ، تجندلهُ

كرأس اللهانة بسكّينِ بائعِ الخضار

بعد أن نسيَ أوراقَ اللجوءِ

في أيدي الجندرمة

لتقلّبَها بتمهُّلٍ مقصودٍ على أحد

الجسور، في ريح " السين "، مرةً أخرى.

هناك الآن سببٌ

لابتسامته المشحونةِ بالتمنـّي

وذقنِهُ الحليقة تشقّ هواءَ سان جيرمان بشكيمة بحّار.

هناك الآن سببٌ لهزائمه الألف

كي تنتهي بنصرٍ صغير.

سببٌ للذهاب والمجيء ، للبقاء

في بيت مهجور، للخوف من الأفعى

التي تعيش في السرداب
وريادة أزقة خلفيّة تندلعُ فيها
قططٌ ضالّة ، كالشرارات
بين قدميه المترنحتين في اللانهايات
من براميل الزبالة.
لو أن الآخرين عرفوا
لو أن العالم
أكثرُ أمانة ، لكان هناك سببٌ
لكلّ مماطلةٍ
لكلّ أكذوبة ضروريّة ومتينة ، لكلّ تراجعٍ جديد
أمامَ حتفٍ واضحٍ كالمرآة.

لو كانت هناك عينٌ
أو كاميرا سينمائية تراه
رغمَ ستار الظمأ الأبديّ ، ورايات التهرُّبِ
والخسران ، رغم النادل الناقم
وجَامةِ البار المكسورة ، لبات واضحاً
أن شموئيل ، ابنَ الحبّانيّةِ الشارد
وسليلَ الملوك الآشوريين
سكرانُ هذه الليلة.

سكران يحلمُ بأبراج الدم الضائع

عالياً فوق أهرام المنافي ، أعلى

من زقّورات باريس ، لا مَدىً ، لاسَحابة

لاحمّى تضحكُ في عظامه

لا هياكلَ عظميّة أنيقة تدعوهُ من مداخل الأبواب.

لا معارك كلامية في بار " الأطلس " حتى الفجر

لامشادّة بالأيدي والياقات

مع الصعلوك الفرنسيّ

الذي يراهنُ، ويخسرُ عادةً، على الخيول.

لا مترو أخير

يختفي من دونهِ في أروع الأنفاق.

لو عرفَ الآخرون سرّهُ

أو معنىً لحياتهِ ، لو عرفوا القوى

المجهولة التي تعصفُ فيه لتدفَعهُ نحو أبواب السينمات

ولو كانت هناك

عينٌ أو كاميرا تراه ، لأمضى

على أيّة هُدنةٍ مواربة بتوقيعه الصحيح

وتقيّد لمدّة ساعةٍ بكلّ بُنودها – أنا الموقّع أدناه

شَمُوئيل ، ابن الحبّارتّية الشارد

وسليل الملوك الآشوريين

سكرانُ هذه الليلة.

رجل يعبر التاريخ

أو ملاحظات الى صاحب الملكوت (فيلم بلا نجوم)

إذا كان المجهول يشرق

كالوجه بين يديك

كلّ صباح ، كلّ ليلة

من أنت

الى أين تمضي

لامتلاك ماذا

كيف تحيا

ومن أجل مَن تموت

إذا كنتَ

أنتَ

صاحبَ

الملكوت..

*

من أنا

لأشتري أقنعتي

من نفسي

بالعُملة الصعبة

في بورصة الأيّام

من أنا لأمشي طويلاً

حتى ألتقي

بآخري

وأروي

ولست واحداً

(لساني

برُج بابل)

لأقيّم معنى

السقوط والقيامة

في كلّ مرّة

بينما

أسرقُ حصّتي

من النار غارفاً بيديّ

من هذا

المستنقع المائر بظلّ ظلّي

وظلّ آخر قاتل يهرب

بين عواميد القصر

بعد أن

أفرغَ رصاصهُ

في جمجمة المؤرّخ الذي

لاتكفّ يدهُ

مع ذلك

عن

الكتابة.

*

أرفسُ النصّ الحجري

بقدمي الحافية:

خليّةٌ فائرة من النمل

بين جناحي طائرٍ

لن يطيٍ ثانيةً.

في قناع الإمبراطور الذهبي

دودةُ القزّ تستحيلُ

الى فراشة.

يسكنُ الحيَّ

أمواتُه. تحت جلد الغزالة

يكمنُ وجهُ اللبؤة.

وكما للنهار

أجنّـةُ ظلامه ، فالليالي لها

شمسُها: كتابٌ أحرقهُ

المغولُ منذ قرونٍ

مازال يحيا

بجمرةٍ

واحدة

وما الحرائق

سوى مقاطعَ من نشيدهِ

الذي يطربُ له

الموتى في مقاصيرهم ، بين

صفحاته المتربة

وما القراءة

سوى قشرةٍ أوليّة

لعينٍ مؤرقة تملأ شاشات

السينما سركوب

وسوف تنام ملء جفونها

بعد قليل.

*

أيتها النار المفيدة استريحي

قليلاً

أيها الظلّ استدرْ

وازحف الى الوراء بدوني .

موسيقى في زقاق بغدادي

أيّانَ ترابطُ أو تهيمُ

لكَ تلك النغمة الأولى..

في كلّ وصول ، في كلّ مغادرةٍ

سيلقاك وجهها الحيّ على المدخل الباقي .

واذا سرتَ

وفي وجهك ريح ، والريح معاكسةٌ

والموت وحدهُ البديلُ

لتسمعها جانحةً بين العوالم حيث أنتَ

ذاهبٌ وآتٍ –

ألم تسمعها ذات ليلة

وأنت عابرٌ تحت شرفة

مازال شوقك يُرسيها في قلب الطوافِ

ينفضها من تجاويف عودهِ عازفٌ ضريرٌ -

ذاتَ ليلة ملأى بالنجوم ، ذاتَ بلادٍ ؟

نعم سمعتُها ذات ليلة ملأى

بالنجوم وأنا عابرٌ، عابر تحت شرفة

واليوم سمعتها من جديد..

أينما انتفضت أزمنةٌ

أينما سلخت جلدَها الحيّة

أينما التأمت أمسيةٌ على سرّها

من قلب تيّار التواريخ تأتي

لتُترعَ قلبي براووقٍ

لم يعد بامكاني أن أستافَهُ وحدي!

قوسُها يرجفُ بين يديّ

لكن ريحها تُحني نظراتي

عندما تأتي راقصةً من بيت أبي

على ايقاع خساراتي

لتقول لي

أن أقامر على آخر فلس أملكهُ

وأعبدَ صوتها المسجون في كلّ خليّة.

اذا استطعتَ ان تدلّني

على أسرارها ، اذا استطعت

ان تدلّني على آثار تلك الليلة

وأنامل ذلك العازف الخطير

اذا كنت تعرف

من سمعَ عنها خبراً

اذا شئت ان تنام معي

بين ذراعيها المليئتين بالتراب

وكنت تحمل منها علامة يا صديقي

ولو أكذوبةً، ولو نطفة

من زيتها السائل على هذا

الضلع المختار

إذاً لأعطيتك كل ما أملك من الفضّة

أو الذهب..

لركعت بين يديك لحظةً

وقطعتُ هذا الحبل المفتول من الأيّام لأمشي

عارياً كالطفل الى الوراء

وأسكن تلك الليلة

كأنّها أمّي.

بقيت مرساتي

في قاع تلك الليلة

عندما غمزت لي نجمةٌ

وانسرحت فوق جبيني نسمةٌ ليليّة

وعرفتُ بأصفى اليقين أنّني أبداً لن أموت.

غناء على إيقاع الطبلة والسيتار
لنصرت علي خان

إلى عبد القادر الجنابي الذي أسمعني إياه

يصلُ الصوتُ

الذي ربّته الدياميسُ ويدعوني..

حفيفُ العالم الآخر في غابة الليل ، ليلِ ليليَ ، يأتي

في آخر ساعة

ليكسر َختمْ النعاس الهش

ليقلّبَ أوراق تقويمي بأدقّ ما يتقنهُ الشرقُ

من تجسّدات اللوعة

موّظِفاً لمستَه القدريّةَ في مكان الجرح كإصبع الربّ

ويطيّرَ القفلَ عن الصُندوق

بسهمٍ واحدٍ من البرق!

أنينُ العبيد في اوطأ السراديب

ضحكاتُ الأمراءِ من أعلى الشرفات!

مشهدٌ أعرفُ سحر تفاصيله ، أزمنةٌ

واماكنُ أعرفها في صميمي

وكم زحفتُ على أعتابها أثناء كوابيسي

لكنني أرفض أن أستسلم لآلامها

السخيّةِ في هذه الساعة

وأربأ بنفسي

أن أعانق عالمها اليتيم الآن –

لذلك أيها الدلال الذي يرشدني

لألاقي تلك العروس (في أية نافذةٍ لم تعد هناك

تحتَ بقايا أيّ بيتٍ

أشعلت أصابعها العشر بانتظاري):

إذا كان حزنك مزدوجاً هكذا

إذا كان حزنك مزدوجاً ، قل لي إذاً قل لي

قل لي أيّهما أقوى -

الحزنُ الذي يرفرفُ مذبوحاً

على ضربة السيتار ولا يموتُ ، أم ذلك الحزن

الاضافيّ ، ذلك الحزن

الاضافيّ، ذلك الدرويش الذي يقبعُ على ضَفّة الكنْج

بانتظار النيرفانا

ذلك الضيفُ الذي جاء بلا سيفٍ إلى بيتي

لكنه مضى حاملاً رأسي؟

وكيف لي أن أنامَ هذه الليلة

أيا نُصْرتْ علي خان؟

هذه ليست أورفليس

(كلمات الى جبران)

((وظلّ المصطفى ، المختار الحبيب ، الذي كان فجراً

لذاته ، يترقّب عودة سفينته في مدينة أورفليس ..))

جبران، ((**النبي**))

بضربةٍ

من يد السيّد

بلمحةٍ في الشِغاف

من باب البيت

الى الدوّامة

إذا بها

تمتدّ في ساحاتها المقفرة

هذه الأشياءُ ، هذه

الأشياء يا

جبران

أنصاباً مبذولةً

لسلطة الوهم تُوسيها ظلالُها

في مدى رؤيتنا لحين

سرعانَ ما

تزولُ بغمضة عينٍ

في أوّل منعطفٍ يدلفُ اليهِ

عابرُ السبيل ..

*

إذا به يأتي

ليطرق على بابنا ذاتَ ليلة

طرقته الواحدة

الأليفة

ذلك

العرّافُ

الأعمى (البصير ؟)

المصيب.

*

إذا بنا هنا

نعيش ، لكننا نحيا

هناك.

*

إعطني الناي

أو لا، لا تعطني الناي

سيّان أن أغنّي

أو لا أغنّي في هذا الهدير.

هنا تشتري المغنّي

بدولار

وهذه

ليست

أورفليس.

*

هنا بين الضحك

والنحيب

والروك والبلوز والجاز

بينما الموت يجول في غابة

الغرافيتي

حيث تقيمُ الفرائسُ احتفالاتها

الليلية الصاخبة

ويلبسُ العبيدُ تيجان الملوك

يستأنف النيوترون السالب تحليقهُ

في كلّ مدار ، ويكبرُ

حجمُ المصيدة.

*

الزائرُ

لم يعد يذكرُ

أسباب رحيلهِ

أو غايتَه من الزيارة.

(لعلّهُ

أبحرَ

باحثاً عن

أورفليس)..

*

رحلتنا يا سيّدي

بلا دليلٍ

تستغرقُ ألفَ عام

وهذه ليست

- أكرّرُ -

ليست أورفليس.

*

(أنا

« السابق »

و « المجنون » والراقصُ في

مركز الإعصار

من يدلّني

الى

أورفليس ؟)

دليل

عندما انسدّت في وجهي الطرقات

عرفتُ قوانين اللعبة لكنني لست نادماً على خسائري.

عندما انسدت في وجهي

ولم أجد لك أثراً لا هنا ولا هناك

تذكّرتُ اغنيتنا القديمة لكن ما جدوى الغناء لوحدي.

كلما وسّع الظلام حدوده مددت يدي امامي

لألمس جدار النور، لحمك المتألق من الداخل ، هالاتهِ

الحسّاسةَ تحت يدي ، روحك المضطربة في مهبّ نفَسي

عندما نزلتِ الدرج الحجريّ ، وغبتِ

ولم تستديري .

كلما عدتُ في الحلم الى بلدتنا الاولى

وجدت رمالاً تكتب عليها يومياتها الريح .

من يقرأ هذا الكتاب ؟

من يقرأ ، وما فائدة القراءة ..

أفي مهاوٍ كهذه نطارد وجهنا الأول

ونهدهد من كنّاه في ذراعي من أصبحنا..

« أياً كانت وجهة سيرك ، عد في النهاية اليّ. جسدي

بلادك الأولى » قال صوتُها فيّ

بينما اطوف هنا وهناك .

ذهبتُ لأطرقَ على باب عرّاف

ذاع صيته في استقراء الخفايا حسب اعلانٍ قرأتهُ

في مجلة مصوّرة : قيل لي

انه طلّق السحر منذ أمدٍ ، ومات .

ذهبتُ لأرى عطّار المحلّة في صيدليّة الزمان الاخيرة

لكنه اغلق دكّانه ، ذات يومٍ ، واختفى

لا أحدٌ يعلم أين ، او يدري

السبب ...

كيف اختفيتِ ، اين يمكن ان تكوني

وكنتِ دليلي .

الرابع

جاء وتحت مئزره سكّين

جاء لأنّ العرسَ كانَ

سيُقام في ذلك المساء، ليذبح الخروف

من ذلك المبنى

الواطيء في نهاية السوقِ، جاء

من ذلك المبنى الواطيء حيث يتصاعد

ثغاءُ الخراف

خلف الجدران في الليالي ويمشي

القصّابونَ بجزْماتٍ عاليةٍ

في بوكٍ باخرةٍ من الدماء -

جاء وتحت مئزرهِ

سكّينٌ ، وسلسلةٌ حديديّة..

ظهرَ من الباب الخلفيّ إلى باحة الدار

حيث الحَمَل الصغير ينام

تحت الشجرة .

طارده قليلاً حول الشجرة

وهو يغنّي متغزّلاً ، مُخفياً وراء ظهره السكّين:

أين المهربُ ، كيف الفرارُ !

يا خروفي المسكين ، لن تهربَ اليومَ منّي..

ثم طارده بين الكراسيّ حول مائدة الضيوف

حتى حاصره على الدكّة الطينيّة

كأنه يريد أن يأسَرَهُ

كما يأسرِ الثعبانُ عصفوراً ، بعينيه :

اليمنى مطفأةٌ

تنظر باستعطافٍ ذليلٍ

الى الأعلى ، واليسرى

تنحرف باتّجاه الأرض شزراءَ ومخبولة

لاترفُ إلاّ نادراً كعين العُقاب.

وقال متندّراً عدّة مرات

عندما انتهى ، بعد أن ألقى

في سطل الماء بالسكّينِ أخيراً

كأنها سيخٌ محمّى..

ذاهباً إلى مائدة الضيوف الخالية ليستريح

(مئزرهُ مفروشُ على المائدة ، حذاؤه

ثاوٍ على الأعشاب) -

قال الجزّارُ متندّراً عدّة مرات:

- ليس أشهى من لحمِ الحَمَل على النار.

لحم الحمَل على النار، وجرعةِ ماء

من تلك الجرّةِ الباردة

تروي الغَليل

في عزّ هذه الظهيرة.

وأشار بكأسه لأختي الصغيرة

مومئاً برأسه إلى جرّة الماء..

لأختي التي كانت تراقبُهُ

كغزالةٍ عصبيّةٍ من تحت الشجرة

واقفةً وحدها

بعيداً عن مَطالهِ

في هالة من ثيابها البيضاء..

لكنّها تقدّمت غيرَ هيّابة إليهِ

وقبل أن تهربَ شاردةً من يديهِ

بصقت بنقمةٍ في الكأس.

حلم الحمّال على جسر القلعة

إلى جليل القيسي في كركوك

قيل أنـّه حزنٌ

ينخرُ القلبَ كقطرةِ تيزاب

ويجعله يحومُ حول بيتها كالطيفِ

لعلـّهُ يحظى بمرآها، تطيحُ أعطافـُها أمامَهُ مرةً أخرى

لكبَاطيةٍ من النبيذ الغالي، كانزةً تحت العباءة ملذّاتٍ

تسري فيه الرعدةُ إن تخيّلها ، ويبكي

كلـّما تذكـّرها ..

بدأت تختلط أمامه الأشياء كخارطةٍ يتقرّاها مسافرٌ

محموم، يذكر الأمسَ أحياناً

كأن أحداثه ليست لهُ -

من دَعاهُ ليحمل بضاعتهُ ، في أي الزوايا استدار

أو لم يستدر، في أيّ الطرقات سار.

هل كانت الشمسُ مشرقةً

أم كان يهطل المطرُ..

الاشاعةُ ساريةٌ، باحترامٍ ساخرٍ

يسمّونهُ الآغا أو البيك الآن

يضحكون في لحاهُم من وراء ظهره عليهِ

كلّما مرّ ساهماً يغنّي :

" قلعنْ ديبنده

بيرداش أولا يْدمِ "

ليتني كنتُ حجَراً

في أسفل القلعة

ليتَ القلعةَ ظلّت عاليةً

وأنا في أساسها حجرٌ

وقيل: " شايف اللّي ما ينشاف "

أو أنها أعجبت بعضلاته المتينة

فاتحةً له ، لمرّة يتيمةٍ ، سريرَها..

ولكن، كما يلمسُ الأعمى بمحجريهِ

رداءَ النبيّ ، ويغزوهما النور للمرّة الأولى

يومَ رآها ، يوم توقّفت أمامهُ

عربةٌ – حوذيّها جارٌ لهُ

في الخان – ترجّلت منها سيّدةٌ

يتوّجُ رأسَها شعرٌ ذهبيٌ

كلّما ضربتهُ الشمسُ انهارتْ عيناهُ إلى داخلهِ

في إثرها خادمةٌ

أشارت إليهِ

بالاقتراب –

على رأس الجسر المؤدّي إلى قلعة كركوك

والمطلّ ِ على نهرها المشهور بالجفاف !

قلعتها المجَنْزَرة بآلافِ

الأدراج تسلّقها مئات المرّات

حاملاً على ظهره البيوت

حيث النساءُ كإناث نسورٍ يتبرّجنَ في نوافذَ عاليةٍ

أو يتفرّجنَ على المارّةِ من تلك الأبراج.

كلٌ حبّةٍ لها كيّال ، وهذا هو موعدهُ..

شكراً أيها الحوذيّ الذي

أرسلته الأقدار، جازاك اللهُ ، جازاك

لكن لماذا اخترتني

وكيف أعودُ اليومَ إلى مكاني

الذي كان لي قبل أن أراك ؟

ليت القلعة ظلّت عاليةً

ليتني لم أرَ التاج !

أتعويضاً إذاً

يا سيّد الخسائر والأرباحِ

عن بقيّة أيّامنا البخيلة

ومن يحسب الفائدة

من يسدّد لنا الحساب ؟

ليت القلعةَ..

من ؟

.. وأنا في أساسها حجرٌ.

نَقدَتْهُ الخادمةُ درهماً وهي تدفعه من فتحة الباب

حيث تعثّر مذهولاً يحدّقُ في يدهِ

وطبطبتْ على ظهره بكفّها المحنّاة

فارتفعَ الغبارُ من لبّادتهِ الثقيلة.

حامل الفانوس في ليل الذئاب

من جاءَ

في الليل يستدعي أبي ؟

من الطارقُ بقبضتهِ على الباب قُبيل الفجر

آتياً ليُقلق تهويمةَ طائر النوم المقيّدةِ أرجُلهُ

بحبالٍ ينسجها سيّد الحالمين، في تلك

الخفقة المذعورة من جناحيهِ

في تلك الساعة المليئة كعيني مَرْيَم بالزرقة

عندما تنامُ حتى الكلاب؟

الريحُ جاءت تستدعي أبي

صبيّ لاهثٌ ركضَ المسافة بلا توقّفٍ جاءَ يستدعي أبي

عامل مهموم يطلّ بوجهه الشائك من فتحة الباب :

أحملُ لهُ الفانوس، ويسبقنا ظلّه المترجرج على الجدران –

تحت إبطه منديله المليء بالأعشاب ، مساحيق الفِطر

والناردين، بَصلةُ خشخاش ، قرنفلات يابسةٌ

لتهوية الكوابيس ، لطرد الشياطين

من شقوق الجدران الداخلية ، لإرساءِ

مركب الصرَع المتقاذفِ من قِبل أمواجٍ

غير مرئية، وكل علّة خفيّة اخرى

ماعدا " المكتوب على الجبين ".

في جيبه علبةُ كبريت

ومحْبسٌ يمرّر في فتحته المنديل

لفكّ أية عقدة مجهولة قد تسدّ طريق المعافاة.

في هالة الفانوس اذا تأرجحتْ

راسمة حذْوةً من النور في الفضاء

وجهُ البومة قناعٌ طائرٌ يبرق في مرآة الظلام مرةً ويختفي –

كورَسٌ من الجنادب يزردُ النجومَ كالخَرَز

في حلقةٍ من الصليل الحادّ

آخرُ ذئب يطلق عواءهُ الختاميّ من جهة المقابر

وشرائح الصقيع في الغدران المتجمّدة كالمرايا

زجاجٌ مشجّرٌ، أرقُّ من خبز الرقيق

يمكنُ كسرهُ بدعسةٍ خفيفة من كعب الحذاء.

الطفلُ الصارخ في الليل خوفاً

من زيارة الجنيّة ، الأبلهُ الذي تزبدُ شفتاهُ

كلّما اكتملَ البدْرُ ؛ الصفعة التي كالها للشاب

المصاب بصفراء اليرقان ، تلك التي جعلتهُ

يدوّم كالخذروف

أمام أهله الذين هبّوا واجمينَ ..

ثم عادوا ثانية الى الجلوس.

زوجة الشمّاس التي تسير في نومها
لتزور زوجها النائم خلف سور المقبرة.

يدفعُ رأس الليل بيديه
في رحم الظلام ليمنعه من الولادة
يأمر الموت بالرجوع صارخاً: « شمّتْ بابا برونا روختْ قجة »*
شاهراً قبضتهُ وفيها الصليب ومسبحةُ الصلاة .
امرأةُ العامل استفاقت ذات صباحٍ
دون كوابيسَ مظلمةٍ تطاردها حتى في رابعة النهار .
الشاب الذي استعاد لونه جاء الى بيتنا في صبيحة العيد
وبين ذراعيه حَملٌ صغير ، كغريق عائد الى البشرية من
عالم البحر.
شوهدت أرملة الشمّاس تغتابُ
زوجةَ الكاهن في باب الكنيسة من جديد
واستُدرج القمر الهائج من سمائه
الى فخّه الآمن في كنف عباءةٍ سوداء
غطّى بها أبي
رأسَ الأبله الذي كفّ عن الإرتجاف.
الطفل في مهده الهاديء ، نام.
وكنتُ أحملُ الفانوس ..

---

* بالآشورية : ((باسم الآب والابن والروح القدس)).

إذا كنتَ نائماً في مركب نوح

الى

يوسف الخال

« الأب »

في ذكراه الدائمة

والى

أدونيس

سيّد الهجرة

في أقاليم النهار

والليل

أودية الرسالة

(1982-1969)

رسالة

بعد أن خرجَ
الى الأرض التي ليس اليها دخولٌ
ورأى أدراجاً تقودُ الى الأرض التي أتى منها

بعد أن نجا بجلده من النار وقضى أيّامَهُ حالماً
بالاحتراق فيها ، بعد ان سار أيّاماً
من المدينة المظلمة

في يده اليسرى الى المنيرة في اليمنى
ليحمل الرسالة من هنا الى هناك ، ومن هناك
الى هنا ، كانت الرسالة

هي المدينةَ التي احترقت فيها
كلماتُها النبيلة ، ورأى بعينيه أدراجاً
للصعود والنزولِ ، وناراً وماءً في عالمٍ يجري

نحو المكان حيثُ الرسالةُ التي تستيقظُ وتنامُ
وتموتُ وتحيا فيها المدينة .

صندوقٌ ، عروسٌ ، في الفجر ، الى ميناء

عروسكِ المهجورة تجلسُ القرفصاء
في مهرجان اللغة الصاخب ، تلك الحانة الوحيدةُ في البلد
حيث يشرب الشعراءُ بالدَيْنِ ، فودكا رديئةً
مع الليمون والملح والمرارة .

كلماتك اليوميّة التي تبتلعُ سيوفَها
كحاوٍ حزين أمامَ الغوغاء ، مومسٌ نساومها
في زقاقٍ ضيّق آخرَ الليل بعُمْلة الحزن
والندم والخسارة ؛ واللإنارة ، أحشاؤها ، أحشاؤها التي
تلتفُّ حول ملويّةٍ من عظام الملوك
أسهرُ تحتها مهلوساً أبياتي حتى الصباح
حتى يطرق الجنودُ بأعقاب بنادقهم على بابي .

النبيّ يهذي في حرّائه لأنبل العناكب
في سلطانها الهشّ على التراب ، وتحت رأس الضحيّة
الذي ينوصُ كمصباح المؤرّخ

في برج بابل رأسي ، مدينةٌ لم أرها
تظهرُ أحياناً سرابيّة الزوايا
فيها بيتٌ مهدّمٌ على بابه امرأةٌ تبكي .

هذه الكلمةُ، هي تلكَ التي

تلك التي لم تكن أبداً هذهِ : غداً، أو اليوم .

والكلمةُ أيضاً

نبعٌ سحيقٌ في مثانة الشيطان

صندوقُ عروسٍ تهربُ في الفجر الى ميناء .

صندوقٌ ، عروسٌ ، في الفجر ، الى ميناء

والغبيّ الذي لا يفهم أنها العاصفة يخرجُ واثقاً ليرفع

مرساةً يقيني .

أخطار وأبعاد

أردتَ أن تعرف
أيّةُ ايماءة جرّتني وراءها
منذ البداية ، أيّ نهرٍ فيه سبحتُ ،
كم مرّةً غرقتُ ، أيّ قدمٍ دخلت مجال الإصابة ..

أيّ خطرٍ أعمى يهاجمُ باتّجاه نغمةٍ
تنطلق عفواً من فم السائر في أزقّة ليليّة
اختارت قدميهِ وحدهما
لتسبُراها .

ومن أجل أن أُجيب
جواباً ثابتاً على مَرماه كحجر الرَّجْم
كان عليّ أن أعبر ساهماً في المناطق المالحة

في دساكرَ مقهورةٍ بالسيف والكتاب

حيث يختفي كلٌّ من تجرّأ بحكمة الأطفال والبهاليل

أن يفتح الهديّة المحرّمة .

الريحُ تفقد طريقها

في مدن الموصوف المستحيلةِ عن قصد

كأنني دخلتُ خليّةَ نملٍ بحجم نيويورك

أو وضعتُ يدي في جدولٍ ماءٍ حفرتْ سطحَه الأخاديد

حالما مشّطتهُ بأصابعي الخمسة .

الذاهب الى المكان

مثلاً هذه العقبة ، كأن تشفى
وتستيقظ على مخدّةٍ حجريّة بعيداً عن وصولك
النقطة التي تضيء وتنطفيء ، كعين حيوانٍ ليليّ
يفكر بالمطاردين ..

تظهرُ في هيئةٍ ، مكان ، في ساحةٍ
لها حشدُها الملثَّم وأنت على وشك ان تعانقَ ما
يمرُّ بكَ، وتمضي .

مثلاً هذا الغدُ المُصْلَّتُ مثل سيف
على رأس الضيف الذي يعبر باب الجحيم
حاملاً على ظهره مطبعةً، صنماً هاذياً ، امرأةً
بين ساقيها شلالٌ متجمّد
لن يسيل إلا اذا جلدها الشيطان !

لأنك إمّا لم تُجب على الرسالة
أو لم تذهب الى أيّ بلد . لكنّك وصلتَ الى المكان .

قارب الى ألكتراز

الى إيتيل عدنان

التي أرتني ألكتراز لأوّل مرة

(ألكتراز جزيرة هندية صغيرة في خليج سان
فرانسيسكو أحيلت الى سجن مشهور بمناعته ، وقد
حاول عدد من الجنود الامريكان بقيادة الزعيم دينيس
بانكس في سنة 1969 ، ان يستوطنوها ، بعد اغلاق
السجن ، كملك شرعي للأمّة الهندية ، حيث
يمكنهم أن يعيشوا كما يريدون طبقا للشرائع
الاصيلة التي يؤمنون بها. لكن الحكومة الامريكية
طردتهم بالقوة) .

في الساعة الثانية ليلاً أعود مع امرأة هندية من
المدينة الى منطقة الخليج ، ننتظرُ القارب الذاهب الى ألكتراز
وهو آخر القوارب. الهندية التي اسمها فالو
ننتظر آخر قارب –
قال البارمان الأبيض بلهجة
مراهنٍ مُدمن : أراهن انك لن تلحق بالقارب !
وأضاف بأسف كاذب ، آمل ان تلحق به ، على أيّة حال ...
جلست فالو في الرمل وجلستُ في الرمل ، مع فالو

وأمامنا ألكتراز في الماء

جزيرةٌ كالإبهام

في يدٍ هنديّة أكلتْ أصابعها الكلاب .

قالت عاهرةٌ كانت تعلن بإصرار

أنها من مارسيليا ، مجدها الميّت :

أراك قريباً مون شير !

وتركت عينها المؤرقةَ كالرُتيلاء

ترعى على سراويلي وأنا اخرج مع فالو . في الرمل في الرمل مع فالو

وكيف رسمت لي في ضوء البار الفوسفوري

صورة الزعيم الراكع وخلفه الشمس ، دائرةٌ

تخرج منها سهام مستقيمة كما يرسمها الاطفال

لأنني قلت لها أنني رسّام

وكيف

رسمت فالو جبلَ قبيلتها الضائع

والشمس المائلة بنصف سهامها على سور المخيَّم

حيث يمرض الاطفال حيث مات طفلها حيث يهذي

جدّها في المطر – يُجنّ الشيوخ يهربُ الشبّان

ليتحولوا الى مدمنين ليُقتلوا في المدن لينا‌موا في الشوارع

وينتهوا في السجون ، النساءُ بغايا ..

وكيف رسمت فالو جبل قبيلتها الضائع

والشمس الأجنبية تقبع عليه كالسرطان ، بمخالب

عمياء ، شمس أمريكية داجنة روّضتها البنادق

شمس رعاة البقر شمس رجال العصابات

شمس الأدمغة المغسولة ، دجاجةٌ في قفص ، دجاجةٌ

مذبوحة تبحث عن رأسها في الظلام

وكيف بصقت فالو على شمسها

وأمسكت بالورقة وعليها شمسٌ تنظرٌ

كعين حرّاس المخيم ، كعين الدولة الآن وليس كشمس القبيلة

وليس كأي شمسٍ الآن وليس شمس فالو

الآن

وكيف مزّقت بأسنانها

هذه الشمس ، وكيف قذفت بها

كالروث في وجه البارمان ، وفي وجه العالم

اللامعين كالأحذية

وعلاغضبها كنهر من النخاع يَضرب جدرانَ جسدها

وغربانٌ مجنونة تنعق بين أسنانها

تطير من عينيها الضيقتين

وذلك

عندما نصحني البارمان ، لفائدتي

بأنها خطرة حين تغضب

بأنها نصف مجنونة ، هندية من قبيلة « شايان »

هربت من سبعة مخيمات حكومية وتشرّدت بعيداً

تشرّدت بعيداً في وطنها الذي اغتصبوه بالآلة

في القفص الذي يحلم فيه الدولار بالمسدّس

والمسدّسُ بالدولار

وفالو

التي كانت شيطانيّةً وصغيرة

تحاربُ البوليس والقوادين في الشوارع

أرتني سكّيناً هندية كانت تخفيها في جيب سرّي

في جزمتها الطويلة المصنوعة من جلد الغزال

ذهبنا في الساعة الثانية ليلاً ننتظر آخر قارب الى ألكتراز:

أنا والهنديّة التي اسمها فالو .

(سان فرانسيسكو1969)

في وسط الولادة

ثقيلةٌ كالحتْف ، ناريّةٌ هذه الليلة
بنجومها القلقة ، أشواكها المغروزة في لحم الكلمات
هذا التاجُ المجدول لرأس امرأةٍ
تتطوّحُ في مخاضها الصعب
صرختها الثاقبة
ستمزق مشيمة الليل
وتجعلني أرفعُ رأسي .

تحت النجوم أرى القاتل من نافذتي
يطلقُ النارَ مرّاتٍ ملاحقةً على باب القصيدة
ثمّ يتوارى في شارع فرعيّ يقودُ الى أحلامي يحدثُ هذا
في وسط الولادة حيث ينتظره قاربٌ
وآلافُ الأقدام من زوايا الأرض الأربع تأتي
راكضةً دون ان تطارد أحداً ...

يحدث هذا في وسط حياتي

مرّاتٍ متلاحقة : أرى القاتلَ من نافذتي

يطلق النارَعلى باب القصيدة ثم يتوارى في شارعٍ

فرعيّ يقودُ الى أيّامي وقطرةُ الدم ، قطرةُ الدم

قطرةُ الدم تسافرُ على حذائه نحو المحطة التالية .

يخرجُ القاتل

في الريح تندفع الوقائعُ الى محطّات الاصطدام
مجنَّدةً في خدمة إلهٍ لا يبالي بالعبادة ، نسورها المشلولة
تطفرُ صارخةً في الظلام ، طافيةً بين أقدامنا ونحن نحلم في السرير .

الخارطةُ صابرةٌ كوجه عابدٍ لا يتوقّعُ مَنّاً وافراً من السماء
اللحظة تأتي مواربة كالباب الذي تفتحه
لنا في آخر الرواق ، امرأةٌ لقيناها ذات مرّة
في حلمٍ سابقٍ لم نستيقظ منه الى الآن .

إنه المساءُ الآن . القاتلُ يخرج صامتاً من الحانة
ليتبع حبل كوابيسه السُرّي الى مخبأ
الضحية ، وفي ذاكرة الليل
ترنّ النقودُ المتساقطة
في رأس المرابي الذي يحلب بقرةَ الليالي في حظيرة الرساميل
المسوّرة بالجماجم :
تأتي اللحظة أخيراً ،
تلك التي تأمرُ الدماءَ بالركوع في قاع القلب المدبّب
حيث تسهرُ أوثانه المجهولةُ النوايا ولا تريدنا أن تنام .

الرجل الجائع

جائع ، ليس لخبزٍ أو لخمر، ليس لصوتٍ عابرٍ

لا فرجَ امرأةٍ آت بفردوسه ، ليسَ حتّى لروحها الجميلة .

كلماتُها المريميّة ، لحمها الواقعيّ ، عُريها الإلهي ، قبلاتها

المعمّدة بالماء والولادة .

لا لحيوانٍ يؤنسني ، لا لإنسانٍ يوحشني . حتى الحقيبة

المفتوحة وسط الطريق

دالقةً في الوحلِ جواهرها المسروقة . حتّى ملاكي البابليُّ

متجسّداً بكلّ بهائه الترابيّ أمامي .

حتى السفينة المنتظَرة . جائع . وهناك هذا الطعام . ومائدتي

عامرة .

توفيق صايغ والسيف والصارية

أطوفُ في شوارع بيركيلي باحثاً عن شبح توفيق صايغ
ـ جئتُ حاملاً اليك سيف k ياسيّدي
آمناً أخيراً في غمده المتواضع .

في مقهى « ميديتيرانيوم » حيث كان يجلسُ أشربُ
الكابوتشينو المُرّة بالحليب
وأكتبُ قصيدة نثر فيها قافيةٌ واحدة ، حقّاً يتيمة .
في المساء أستمني على أفخاذ راكيل ويلش المستلقية
عاريةً من أجلي كجاريتي المفضّلة في مجلّة « بلاي بوي » .
أمارسُ الحبّ ليلاً مع شاعرة بوذيّة تدرس اليوغا وتكتب
الهايكو ، وأفعلُ أشياءَ أخرى كثيرة
بينما صاريةٌ سكرى باكتشافاتي اللانهائية لها ميناءٌ
لن تخطئه في آخر المطاف
رغم أنه جدّ بعيد ، تُبحر طوالَ الوقت ، مع الريح أو
اللاريح ، في مجاهل نفسي .

اكتشافات ومعجزات

اكتشفتُ اليومَ كلمةً
تتصاعدُ منها الأنواءُ ، اكتشفت اليوم
كلمةَ صُوفان ، والضحى ، بخاراً يتسلّل من تراكيب
الأرض تحت المائدة
بأحشائها المتكلّسة على شكل طائرٍ
يتهيّأ للتحليق ، والمساءُ قنّينةٌ مكسورة
تُنيرُ شظاياها حدود جنوني ، صفحةً صفحة .

اكتشفتُ اليوم أن الحظّ في حكمته المُرّة
بغيٌّ تتلكّأ في مدخل زقاقٍ مسدود .
من كل شبرٍ في جسده المُعذب حلبتُ معجزةً .
قطفتُ بالعناقيد حلولاً ضائعةً
لمشاكلَ مستحيلة .

قتلتُه بحفنةٍ من الكلمات وهو صابرٌ ، شجرةً
تستقبلُ بكلّ أوراقها البرق .

هكذا في نهارٍ واحد عرفتُ

كيف استعيد اللآليء من بطون الخنازير

كيف أنتشلُ من البئر سرّ الراحلين

تحت ستْر أعمق الليالي ، وماذا جرى ؟

الكلمة المقتولة بأنوائها ، ترسو في كلّ مرّة

قدّاحةُ الحظّ الذي لا يرعوي ، بلا زنادٍ ولا فتيلة .

الحظ ! يتلكّأُ في قلعته الصغيرة

أزرقَ ومعجَباً باشكاله الحائرة : دخانٌ لا يكفّ عن الوحدة .

أودية الرسالة

في تلك الأيام

كان هناك طغاةٌ في الأرض

يستحمّون بالدم الطازج من أعناقٍ بشريّةٍ في حمّاماتهم

تأريخٌ يعوي

تحت القفل والمفتاح

عندما يعبر السوطُ مصفرّاً فوق السقوف

يركعُ السكّان على سجّادة المسامير بأصابعَ مرتعشة

تقبّلُ الهواءَ الجريح

تهبطُ في القلب مطرقةٌ

واللهُ للتسْلية

يظهرُ من حين إلى حين

وراء النوافذ حيث ينام الأطفال مع الدُمى

وتحت الشجرة الجرداء تمضي على بطنها نحو صحارى

النشوة الزرقاء حيّةُ الريح

يظهر في إنسانيّةٍ تجدلُ حبل الطواريء

كلّما هبط الليلُ تنبثقُ منها آلاف الأنوار الضارية

تضرب كيفما اتّفق في الأنحاء الأربعة

شكاوى تفجّر الأفواه المخيّطة بإبرة الإرهاب

يزرقـُها الفجُر بمصْل المسافاتِ مقذوفاتِ البراكين

خُرّاجِ الليالي الداكن

عمارةُ النوم الحلزونيّة

تُبحرُ مائلةً في بحرٍ من الأفيون

عندما مرةً واحدة

عندما يتجلّى

عند

ما

يمجّدُ وهو يظمأ

الحجُر الأعمى وذو العينين

عندما يمجّد صحوةً تحقنُ البُعد بالحرارة

بأكياس المرارة النقيّة تندبُ في الأنحاء

وتعرِّف :

شيء خارقٌ واحد يقرعُ بعناد الضحيّة ناقوسَهُ في الظلام

منادياً كقابلة المعجزات

في مملكة وعرة تضيء تضاريسها عربةُ الغازي

مواكب الأجنـّةِ تطفو بصمتها على أبواب الرَحِم

في أبخرة المنيّ الجديد

منادياً

بحكمة العجائز العمياوات والقردة

نداءَ السكين إذ تنحدُر نحو مصبّ مصائرنا في الأنهار

تلكَ الأيام الموغلة في القِدم عندما كانوا

يزرعون سياطهم في الأودية
لتنمو في أيّامنا هذه وجاء من يُخبر بالعاقبة
بطريق القِبلة القاتلة بصلبان المسافرين
وقوداً ليليّاً يطبخون به أفكارَ الوصول إلى الأرض
بالحجّاج الصائمين في أعماق صخرة التوبة وكذلك
بالكفَرة
يمشون خِفافاً على شفرةٍ أزليّة وببراعة فهود الله
بالرسُل الذين وصلوا وآذانهم مقطوعةٌ بالأمواس ، ألسنتهم
أكلها البرابرة
بالتوابل والثوم عندما قوبلوا بالنيران في أفاريز الصحارى
رفعوا إلى الأسوار عيوناً زائغةً كحّلها السراب
وفتحوا أفواههم ليكلّموا بالرسالة
جماجمَ الملوك المولودةَ في الصواني
ويحشرجوا كجرحى الحيَوان ولا يموتوا

لكنّ الخبر العظيم تفشّى مع الأنوار بأن الفارس الذي
خرج على جوادهِ من أقصى وادٍ في المملكة
ليأتينا بالرسالة رؤيَ أخيراً يهبط الجبال حافياً في طريقهِ

إلى وادينا ولكن بعد أن خرجنا عن بكرة أبينا لا ستقبالهِ

بالجرار والدفوف والمظّلات ، نظر الينا مستنكراً ونحن

نسقيه الماء

وحاول الهربَ باستماتةٍ كأنّهُ أسيرٌ ونحنُ ذئابٌ كاسرة

وكان قد نسيَ الرسالة وكان قد نسيَ الكلام

إرشا (في الطريق الى الجمرة) دات

إرشا (في الطريق الى الجمرة) دات

عجائبُ القدم اليمنى (هكذا بدأ القصيدة)

تكمنُ في انقاذ الشاعر الذي كان يؤمنُ بالسفر

كنوع من الاعتماد على الطُرق والطرق وحدها

في استنطاق الحقيقة

أو اذا لم توجد هذه – إجبارُ المصير على الانفتاح

كساقي امرأةٍ خجولة

ومنْحُه جائزةً او صفعةً مدوّية (أخذ يدخّنُ هنا

دون ان يقوى

على احتمال الجو) إنقاذ الشاعر الذي يُمضي

حياتَه في البحث عن مفتاح

يتبيّنُ له انه لايصلحُ لبابهِ

لذلك يقضي حياته من جديدٍ

في البحث عن بابٍ

يصلحُ للمفتاح الذي وجدَهُ (هنا

أخذ يفكّرُ عمليّاً بقتل عددٍ من الرمزييّن

والبلابل الغنائيّة ، حتى أنه عبّأ مسدّساً وبدل ذلك

أكلَ تفلحةً قديمة وجدها تحت يده بالصدفة)

أو ، هرباً من السقوط في هوّة الذاكرة

اللعينة الى الأبد، الإغتسالُ بنتويك السياسة الأسود

وتبنـّي رايةٍ من الجلد

حيث يشعر الشاعر المسكين بأهميّةٍ ضئيلة

لكنها مناسبة ، 99 % منها هواء و 1 % للتشجيعِ المجاني

من قبل أصدقائه (هنا أحرق راياتهِ

القديمة والجديدة بولاّعته

وألقى بالولاّعة في الحريق

ثم ألقى برأسه

خلف الولاعة فقويت النار واشتدّت لأنهُ

كان طويلَ الشعر . كثيفهُ .

وبعد ان فعل ذلك أنهى هذه القصيدة

وبدأ يكتبُ قصيدةً جديدة هذه المرّة عن عجائب القدم

اليسرى .

لا أنا ، بل من يتكّلمُ من خلالي

بألسنةٍ يقطعها حالما ينتهي

بملابسَ يخلعها على هضبة ويزحف وهو عارٍ

في بيضة الفضاء الضائعة آكلا أحشاءَهُ

كذئبٍ جريح في مرآة العراء .

لكنّ الرحلة لم تكن قد بدأت والمرأة التي
فتحت ذراعيها كانت بعيدةً ينيرها من الأسفل مهبلُها
المغلَق
والخطوةُ تتفرّسُ في لحم العالم ضالّةً في ما قبل الخطوة
بأسلحةٍ مستعارة من الأعداء والعين ! نازحةً عن وطنها
البيضويّ لتشمل الارض الجديدة
بنظرةٍ نهائيّة قبل ان تستيقظ وتسترجع أرضها القديمة ،
بالقوّة .

حَرْقاً ! والرحلةُ لم تكن حتى قد بدأت .
أستيقظ فأجدُ سكّيناً منسيّةً على حنجرتي . الشمس تُدلي
في غرفتي مسبحتها الطويلة من الرصاصات
الساعة 9
وانا ابدأ هذه القصيدة
بدل ان اكتب رسالةً طويلة الى يوسف الخال
وانا ابدأ هذه القصيدة
التي تنبش العالم بيتاً بيتاً ، باحثةً عن عُنقي بسيف
وهذا النسر الذي يعيش في حنجرتي كسكّير في حانة هو
الله
هو مومس السيّاب العمياء هو آخر نيران بني الأحمر
هو مارا واليعاقبة هو أحذية جبران خليل جبران تقيسُ
أوردةً مقشعرّة

في الطرق المنحنية نحو الداخل هو الداخل في مدينة العادة

والغيمةُ في سراويل ماياكوفسكي قبل الانتحار .

العربيّة لغةٌ مقدّسة مليئة بالطيور الجارحة والسكاكين

حديدُها ممغنَطٌ قليلاً

هذه السكاكين

بعيني جائع تدور الارض حولهما ، رغيفاً مسكوناً

بالأشجار .

اجنّة الحرب تولد وأصابعُ الشعراء

في مقاهي العالم للمنفيّن

تشعلُ نهاية الحلم الجافة ، سيجارةً في الفجر

ساحبين عباءة الجنوب البرتقاليّة الى حريقٍ هائل يُقام في

قصيدة

تُكتَبُ على شكل قبضة .

القادة يشربون نخباً مطوّلاً على شرف الليل

والشعراء في الثكنات البعيدة يسحرون قامة التمرّد

بالقصائد

ويصغون الى الطبول المنصوبة في الجبال ، أيدي البرابرة

الكبيرة ترفرفُ في المضائق

وهناك ساهرون في البراكين

يأكلون نظائرَ مشعّةً ضد الظلام وأسلحةٌ
تكلّم الشعوبَ الضائعة التي تبحث عن جبالها في الاودية .

صعد هذا الرجل ولم ينتظر .
انتظر في بيت سلالته ونام صامداً في رماد السلالة
أكلَ في حديقة الكبريت عشاءَهُ من الشمس والافكار
جالساً تحت مظلّة لسانه أيّاماً
وانتظرَ المرأةَ الجميلة في جمجمة
انتظر اليمامةَ في الشمال وأكل ثمرة القادة المرّة
بزئبق الخيانات القديمة
ونام مجنوناً ، أخذنا رأسه الى شاطيء
عليه رماةٌ عميان يتدرّبونَ بالسهام
على اصابة امرأة مقيّدة وعبرنا النهر
غوصاً حتى العنق نحو المنجم ثم نحو السكّين
أخذوا منّا السكّين فجأةً وجُلدنا مدّة سنةٍ تقريباً
ومُتنا قراصنةً وأنبياءً ومدمنين
كانت المجاذيف صناعته الوحيدة وكان
مجنوناً يتسلّق لسانَ اليمامة في المساء
ولم يسبح أبداً إلاّ نحو السكين الخالدة في العنق
ولم ينزل أبداً الى منجم ، لكنّه أخذ رأسَهُ
بنفسهِ الى حديقة الكبريت
وأحرقَ مكتبةً كاملة بجمرة عينه الضعيفة

بأنتظار ان يأخذوا منه السكّين ، أخذوا منه السكّينَ أخيراً

واعطوه جمجمةَ المرأة الجميلة وهودجاً

قديماً فيه سمكة برتقاليّة تؤشّر الى جنوب العالم .

أقفُ في سمْتٍ غريب .

انا رجل يشقّ طريقه بين الغابات

لي هذه العيون : عينُ الدم

عين الإشارات المقلقة

عينُ رجلٍ تُربَط يداهُ من قبل عدوّ

عين رجل يرى وطناً يبكي امام عينيه

عين غراب مدرّب على كتف قائد

عين يمامة في يد مجنون

عين السياسيّ المسيّجة بالبنادق

عين بوذيّ أحرق نفسه احتجاجاً

عين الحزب

عين المصير العمودي

عيني الغريقة وعينيَ الأنثى

عيني التي تحارب حتى النهاية

عيني التي وقعت في الكمين

عين الحلم التي تتفجر في فجوة الحرب

عين القصيدة التي أحرقت الصفحة بتحديقها

عين العزلة المنتفخة بالنيكوتين والليالي

عين الجنس المرصّعة بلؤلؤة القبيلة

عينُ قتيلٍ على النهر

عينٌ نصبتها في الجبال يدُ الماضي

عينُ الرصاصة

على كل جدارٍ أسندتُ اليه ظهري

بقعٌ من الدم بعدد الرصاصات التي اخترقتني

أقفُ في سمت غريب : عرّاف أور
(سيرة كاملة)

ظهر كلّ شيء في كتاب العرّاف

ظهر الغراب

خرقةً تمسح مرآةَ الجبال

ظهرت المرأة الشاحبة فوق صخرة (أكلتْ

وجبةً كبيرة من النار الطازجة

وأيضاً سمادَ البحر المحفوظ في خصْيتي)

ظهر الرجل – القرد وفي يده هراوة وعيه المدبّبة

ظهر الفأرُ الابيض

يطاردُ الفأرَ الرمادي

ظهر الأنبياءُ في مراكبَ من أضلاع المجانين

ظهرت أرملةٌ حاملٌ بنجمة المغول

ظهرت الرايات في مزبلة الليل

ظهرت الرايات

فوق المصاطب التي قذفَ عليها الجنود

ظهر زرادشت في الاناشيد التقليدية واختفى ثعبانه في الكتب المقدَّسة

ظهرت الآلةُ في يد المجنون

ظهر الجسر

ثم ظهر اللّه في نزهته الانتحارية على حبْل العدالة

ظهر الحاكمُ تحت المشنقة

ظهر الجلاد من باب التوراة

ظهر الطفل من الرحِم الى العالم

ظهر البرق ظهر الرعد ظهرت المزولة

سفينةً يحاربُ عليها

بحّارةٌ عميان

ظهر البدويُّ في المدُن المضمَّدة بأحزان العاهرة الريفيّة

ظهرت الحيوانات من سفينة نوح

ظهرت الايام ووقفت في الابواب

ظهر برج العقرب

وبرج الجوزاء

وبرج الأسد

وبرج الحوت

وبرج الميزان

ظهر كل شيء في كتاب العرّاف

ثم اختفى كل شيء من كتاب العرّاف

حتى الرصاصة التي تحمل الدنيا

كالدولفين على أنفها

حتى اليد التي كتبت

حتى اليد التي لم تكتب أبداً

حتى عين السهروردي الناقصة

حتي ملابس النبيّ الذي عاش في نيران التواضع

اختفت القبيلة في الثقب الثالث في الناي

اختفى السمندل ما بين الأرض والدبّ الأكبر

اختفت الصحراء في الرسغ الملتوي

اختفى الرسغُ في التربة

ونمَتْ منه أصولُ الطاعة

اختفى السرّ في الأعجوبة الفاشلة

اختفى المفتاح في الطابق الثالث

اختفت الريح في أُور بشكلٍ غامض ذات يوم

فاختنق الناس ، وماتوا جميعاً من الخوف

واختفى حتى العرّاف

اختفى العرّافُ في الهند وجلسَ تحت أشجار التمارند

تحت مظلّة من سيوف

كانت أفكارُه تنصبها فوق رأسهِ

لتحميهِ من الشمس القويّة اختفى العرّافُ في المظلّة

وبقي في الليل مدّةَ سنة

أسيراً في مصانع الحلم وبين جدرانٍ

أسيرَ يديه اللتين ضاعتا في ارض الخمور ينامُ

بعمقٍ قرب المفتاح الذي فقده أسيراً

في عيني التي تحرس دجلة

في أرخبيلاتٍ بعيدة يعيش فيها العبيد على كلمة السرّ

ويخطّطونَ تصميمَ ثورة حتى الإبادة –

ألقيَ في الجبّ

حيث أخذ يفكّرُ أيّاماً بما جرى لهُ

ومن الكوّة الوحيدة رأى نجّاراً حافياً يقادُ الى خشبة

الصلب

ساحرةً عمياءَ تُشَدُّ من شعرها الى محرْقة

ملاكاً يطيرُ وفي سرّته خازوقٌ من الذهب

قدّيساً يجلس بجلالٍ في مهبل الماضي

وعلى رأسه المجزور حدأةٌ مجوسيّة.

رأى جمعاً من العذارى

ينتظرن دورهنَّ للنوم

مع التنيّن الذي احتلَّ نبعً المملكة

ورأى العبيد يصنعون الخمورَ القويّة للأمراء

ويُجلدون حتى الموت من قِبل عبد –

كان أسيراً في سومطرة

وظُنّ خائناً وشنقه ماجلان على ظهر سفينتهِ

التي كان أكثرُ بحّارتها قد جُنّوا من الجوع

ثم رؤي في القرون الفائتة يتسلّقُ

جدراناً شاهقةً على هيئة مصّاص دماء

يرتدي بدلة سوداء لها جناحان طويلان من الجلد .

في ملابسه الأرضيّة الضيقة

يتاجرُ بالأجوبة الصارمة والمجرّات البعيدة

يشرب قهوته مع الفأس والفقراء الذين

سوف يرثون الأرض بالقوّة .

في آخرِ أيّامه يحلم بحرائقَ عظيمة

وتقتله بسكّين مسمومة بغيٌّ مقدّسة تتقنُ أسرارَ اللذّة

والموت .

*

ذهب أحدهم الى باب الحبيب

وطرق . سأله صوت ،

من هناك ؟

فأجاب ، هذا أنا .

قال الصوت ، المكان لايتسع لي ولك .

وأغلق الباب . بعد سنة من العزلة والحرمان عاد فطرق .

سأله صوت من الداخل ، من هناك ؟

فقال الرجل ، هذا أنت .

وفُتح له البلب

جلال الدين رومي

(عن « طريق الصوفي » لإدريس شاه)

*

لستِ الألف ولستِ الياء

لكنّك بينهما مقيّدةٌ بحبل

مع أنّك لستِ مقيَّدة مع أنك

ياءٌ تفتحُ فمَها لمنيّ الألف

النازل من عُزلته في الجبال ناشراً جوعَه العظيم

كعباءةٍ من الأعصاب على كتفيه

ونحو نهركِ ونحو نهرٍ تجلسُ على جانبيه شعوبٌ عظيمة

تلمّع أوسمة الضّباط مع أنك مقيّدةٌ لتمزيقٍ لا

يتخيّلهُ أحد .

أراكِ في نهْر القصيدة

وأحدهم يجدّف بنهديك في النهر

أرى صورتك محفورةً على قيدي في سجن بعيد

أرى جسدك مقيّداً على سنام العالم المليء بالمنيّ والذهب

وأجيالٌ طويلة من الرجال تهبط الى مهبلك وتخرج في الجهة

الثانية من الموت .

لسانكِ مطْواة

ثديك فنارٌ يرشد سُفنَ التجّار الى اليابسة

حيثُ العدالةُ شحّاذ

أفتح جنوبَكِ برأس أفعى وأقتلكِ ثم أُحييك ثانيةً

لاقتلك من جديد .

على المياه العميقة حقائقُ لها أسنان

على ألف الأنا ، على الألف

أشهر حرباً صليبيّة وأقطفُ النونَ بأسناني

وأنصبُ الألف ثانيةً فناراً تدور فيه عينُ الاحياء .

الليل ، مرتزقةٌ يدخّنون بانتظار أول ثائر إفريقيّ يتقدّم

وهو يتقدّمُ في شوارع نفسي

التي تكتظّ بالكوارث والأنوار:

الجميعُ فيّ ينتظرون الخروج –

الشمسُ قامرت في جسدي

(الشمس قامرت في جسدي)

عرفتْ صخوري (عرفت صخوري)

صخرةً بعد صخرة

(صخرةً بعد صخرة)

وهربت بين ذراعيَّ

(وهربت بين ذراعيّ)

وأضاءتني وهي في صدري

(وأضاءتني وهي في صدري)

نجمةٌ

تظهرُ

على

نافذة

رجلٍ

معدَم

يتضوّرُ

أطفاله

جوعاً :

كامرأة مليئة النهدين

(كامرأة مليئة النهدين)

حتى سكرتُ

(حتى سكرتُ)

حتى أصبحَ كلّ عظمٍ فيّ

(حتى أصبحَ كلّ عظمٍ فيّ)

سكّيراً يدمنُ على الطيران

(سكّيراً يدمنُ على الطيران)

بلا أجنحةٍ ولا هدف

بلا أجنحةٍ ولا هدف

يرفس

النجمة

بقوة حتى

تعود الى

مكانها !

يلتقط

سكّيناً

وينزلُ

الى

المدينة .

الشمسُ في الخارج وحيدة

تدخل الشمس الى غرفتي وأنا ببطء أدخلكِ

تجذُني ألعق نهديك كأنـّهما

ملحُ الأرض ، أقامرُ عليك وأنت بعيدةٌ عنـّي

تجدني وتركعُ معي في رحِمك التائه

ننتظرُ أن تستيقظي كنهرٍ يقتربُ من المصبّ

نقترب من المصبّ أنا وأنتِ

وشعرنا مشعّثٌ كشعر صيّاد في الجبال رأى الفريسة

امرأةٌ تخرج من الظلّ
نحو أبواب المدن البركانيّة تأكلُ في طريقها
خرائط المنجّم وتطرح أطفالها
في برج حامل الدلو وبرج الأسد
وفي برج العقرب تنامُ وعلى دائرة الاستواء
تنزِف من رحِمها ثوراتٍ حمراء وتترك ملاءةَ
الأمومة في الصحراء
لابنها الضالّ وعيناه الجمريّتان تضيئان آثارَ
غزالة الليل
يضرب بين ديانات المستقبل ومن أطراف
أصابعهِ
تنطلقُ مخلوقاتٌ لم يحلم بها اللّهُ في غزوٍ
كثيف .

أصوّبُ هذه المرآة المنصوبة في دمي بكل قوّتي
نحو مخلوقات الكلمة الجديدة
رطبةً ومشعرةً على مياه العُزلة تسطعُ ولا تظهر
تزحفُ في بنايات نومي الى أطراف قبضتي
تسحر رأسي
وترجمني جماهيرُها من تحت جلدي
لكنّني أُصغي طويلاً واسمعُ حياتي وحدها

تقذفني بإشراقاتٍ شرّيرة الى نقطة الغليان
مرفوعة الذراعين عاريةً كامرأة تغسلُ ثدييها في نهر ...

أذهلتني امرأة بشعرها الكثيف الذي كان
سرّياً كطبيعة مدوّرة ينحني في مركزها رجلٌ
يتسقّطُ إشاراتٍ
لا يعرف من أين
ووضعتُ حياتي على الطرق التي وطأتها
قدماها البيضاوان تركتُ في كل خطوةٍ
بعضاً من جلدي
عبرتُ الروافعَ والسفُن المحطّمة وأكواماً من الخرائط
لا تفيُد أحداً ، رجالاً
يتعلّمون فنَّ الطباعة على لحم المحيطات
آلاتٍ سكرانة تهذي
أو تتقيّأ في المدنِ عبرتُ قبيلةً
جلستْ على نهر تعبدُ صورتَها في الماء
وحاولتُ أن أعبرَ في الظلّ الى النار لأحترق
لكنني وجدت أنثى مفقودةً في التيّارات الكبرى
وبغيّاً تخفي عينيها تحت المخدّة
قبل ان تطفئ النور في الغرفة
كنتُ في مركز عيني قبل ان تظهر أنتظر

وكانت تنتظر ظهوري محفوظةً في انابيق سيميائيٍّ يتعاملُ
بالمطهّرات الناريّة في قلب الظلام
ويُعْرف في القرية الجبليّة بأطواره المريبةوانشغالهِ
في الليل بغلي الذهب تحت عدسة
في مركز عيني قبل ان تظهر عيني أنتظر
وعيني تنتظر ظهوري في شعرٍ كثيف لأنثى
وخلف كتفي الساعةُ الحيّة تفترسُ سمكَةً في كل دقيقة
تخفق في حوصلة الفضاء وتلطمُ ظهري بموجةٍ
من عيون الغزاة المنتفخة بأحلام انتحاريّة وسهامٍ
لم تسدَّد جيّداً فأهتزُّ كأنني بابٌ
بلا مفاصلَ على حافّة الكون
تحت عتبتي موادٌّ نجميّة لا يمكن النظرُ اليها بثبات
لكنّها تحدّق الى الداخل آتيةً من أقصى نهاياتي
لتُعلنَ بدايةَ حياتي بنجمة

عندما عبرتُ بمساعدة الأحياء الى عيني
ثم قالت لي امرأةٌ اعبرْ اليَّ
وكنت قد عبرتُ وأخذتُ أسبحُ حين قالت
آه من هذا العبور فلم اعرف ما أفعلُ وبقيتُ في ذلك المكان
تقتربُ منّي موجةٌ وتبتعدُ عنّيَ أخرى
ألمعُ على حافّة اليابسة كبندقيّة مصوّبة نحو الأمواج

مضمّداً رسغي الملتوي بورقة السلالة الرطبة بالمنيّ ثمّ
أخذت المرأة تغنّي

من يأخذني
يجدْ عيْنَهُ في نهاية جسدي
محفوظةً في بئر أعضائي
معتّقة كالخمر

على العجائب والأنوار لكنّهُ في كل فجر
سيفقدني فجأةً دون أن يعرف متى
لينسلّ هو وسيفُه
خارج بركان حيامني
الذي بَرَدَ كالقطب
حين اقتربتُ من قامتها أُصبْتُ
بنوبةٍ من البروق السحريّة كانت تصدرُ من مكانٍ ما
لم استطع ان اكتشفه تماماً وعرضت عليها جميع ما أملك
من نقود
وبضعَ كتابات لا يفهمها أحدٌ غيري فقبلت
وفي سريري الضيّق كدتُ أُجنُّ وأنا أبحث في جسدها عن
عيني لكن عبثاً وأخيراً
نمنا ، وفي الفجر استيقظت وسألتني عن الساعة
فقلتُ أنّني لا أملكُ ساعة

وأخذتُ أفكّرُ بطريقة مهذبةٍللتخلّص منها

ثم قال رجلٌ

تقدّمْ اليهم سائراً على حبالٍ قويّة تستطيع ان تنسجها

من أعصابك أو عروقك والإضاءةُ تأتيكَ من جهازك

العصبيّ نفسه احذرْ قليلاً

لكن لا تبالغْ في الحذر كلُّ ماعدا ذلك

معدٌّ ومكفولٌ اخطُ الخطوة الأولى

يسمّى هذا بالتفكير الخطّي

كنت بجانبها نصفَ نائم تسحبني اليقظة

الى أوكارٍ جديدة والشمسُ في منتصف رأسي

أنزفُ من أنفي على الأرض البعيدة التي

تدور وكل ما تحمله امرأة بيضاء

توحي بأنها غرقت حديثاً (لشدة بياضها) تبدأ بالحركة

عندما تسقطُ عليها قطراتٌ من دمي

وأحاول أن أكفّ عن نزيفي

لكن يظهر لي فجأةً ان ذلك مستحيل في مثل هذه الظروف !

ويبدأ العالم بالظهور وإذا هو عينٌ حيّة تسمّرُ الكواكبَ

بنظرة

ثم تطلقها حول رسغي بعنف

بضعُ قبائلَ عارية تنتظر تحت نخلةِ أصابعي

لأوقدَ لها ناراً تفصل بينها

وبين الذئاب القريبة

الواقفة على شكل جدار ..

في المركز مفكّراً بنهر حتى أكونَ النهر

أكون النهر وأعبرُ ذاهلاً بين الأراضي

والنساء المعلّقات في الأبواب

لا أستطيعُ أن افعلَ شيئاً وأنا أرى امرأتي تُربَط من شعرها

في باب مسرح وبعد أيّام

تُحلُّ وتُوضَعُ على أرضيّة مِشنقةٍ

على قاعدة المشنقة رجلٌ يداعبُ مسبحةً

مصنوعةً من أسناني

يعلنُ لا تذهبْ الى المصبّ ليسَ هناكَ مصبٌّ أمينٌ يا بُنَي

إجرِ الى الأبد

كان تمساحٌ سكران يغنّي على المسرح

جلستُ في أحد المقاعد مع الآخرين الذين كانوا

صامتينَ في الظلام وبعضهم

يتحرّكُ في الظلام وثمّ قاماتٌ

تتجوّلُ وتلمعُ في رؤوسها فجأةً

عيونُ حيواناتٍ زرقاءُ جائعة وكان ذلك يحدثُ كلّما

رفعتُ عيني أو حاولت ان انظر حولي

لأعرف أين أنا

بعد قليل حاول رجلٌ مجهول ان يغادر

المسرح فأُطلق عليه الرصاص وقُتل على الفور

بدّلوا الاثاث ونصبوا بدل الأثاث تماثيلَ خفيفة من المطّاط

لملائكة وشياطين

موزّعةً في انحاء المسرح كيفما اتفق جعلوا الأشعة الصناعية

أكثرَ خفوتاً

لتخفّف من البياض الأصلي ثم أطلقوا مجموعةً من الغربان

المنقوعة بالفُسفور في الهواء وظهر أستاذٌ

جامعيّ ذو شعر أبيض ونظّارة

بحجم رادار فأخذَ يقرأ مختاراتٍ من " الأرض الخراب "

وفي أثناء ذلك استُحضرتْ على المسرح

مبولةُ دوتشامب

مغزلُ غاندي

نظّارةُ تروتسكي

سيجارُ تشرتشل

معطفُ ستالين

شاربُ هتلر

مقصلةُ روبسبير

بابُ زنزانة

رأسُ يوحنا

عربة أبوّللو

قُرنا الاسكندر

صندوقُ باندورا

عباءةُ دراكيولا

وحصانُ طروادة

الذي فتحوا بابَهُ من فتحة الشرج بمفتاح

لايقوى على حمله رجلان فطار من داخلهِ

نسرُ نيتشه وزحفَ الى الخارج ثعبانه المشهور

وشرعا يبحثان عن بعضهما وسطَ تصفيق الجمهور

الذي كانت بوادرُ جنون سرّي قد بدأت

تظهر في سلوك أكثريّة أفراده ثم وضعوا موسيقى

كارمينا بورانا لكارل أورف للتخفيف من حدّة الجوّ

لكنّ أصعب شيء هو هذا كأنّني أنظرُ الى شظيّة لامساً

شعركِ أو بطنك عليكَ أيضاً

ان تلتقي بهم ثانيةً بعد عدّة سنين تحت جدارأو نافذة

أو تتضخّمُ بأن تتنفّسَ متذكّراً أحلاماً مشتركةً

أو تشرب دواءكَ الكونيّ وتُظهرُ لوناً حقيقيّاً مفقوداً في 12

مرآة !

ترى وجهاً خلف خطوات مسرعةٍ على خارطة من الحجر

ساعاتٍ دقائقَ ثمّ لحظات

في آلةٍ صغيرةٍ ضيّقة لكنها كذلك مسكونةٌ بالمرآة

تحت الشمس

أو في ظلّ منارةٍ من الصقور كنت نائماً والأفكارُ سكاكينُ

موجّهةٌ نحو الفضاء

تلتقي بهم ثانيةً عندما يدركون نهائيّاً ان الماضي

غيرُ كاف لوضع السحْر من جديد

في القبضة التي تصلّي مستقلةً على العالم كغيمةٍ من

الأعصاب وهناك المرأة

الأكثرُ جمالاً

من المرأة الحقيقيّة دائماً والتي يتحللُ وجهها في البداية

بين شظايا الهواء حيث أقفُ أو بعد ساعات

من التركيز هناك مركزٌ في الشوارع

محورٌ وحيد تدور حوله كواكبُ ناريّةٌ من الاحتمالات

أو أنّ المطر

يتوقف مع مخلوقات مرمّمة بالأسلاك

تتوقفُ وسفُنٍ قديمة في نهاية الممرّ الأرضي وحين قالوا

لاينبغي ليس صحيحاً ان ننتظر آباءنا أو الجنود

وأن ننزل أخيراً من اليابسة

الحقيقية ُ في داخلي وهي مليئة ٌ بالأخطاء

في هذه الارض التي تتجعّدُ القنبلة ُ لحظةً واحدة

قبل ان تضربها أو تظهرُ بقناعٍ مختلف

أو تحت التماثيل العصبيّة الحقيقية ُ تنقل رأسها المحترق من

اليد اليُمنى

الى لحظة الانفجار

ولن يريني أحد ٌ وجهَهُ الحقيقيّ كلُّ ما أصغيتُ اليه

نظرتُ اليه عرفتهُ تنقلتُ فيهِ

حملتُ فأسَهُ صوّبتها الى نفسي

في منطقةٍ مجهولة دخانٌ أشعّة ٌراديوية هالة ٌ

حول جميع الرجال والنساء هلالٌ من الجوع

وهناك لغتهم الخاصّة التي هي لغتي

وأقدامي على طرقهم التي ليس طُرقي

لكنّني أسالُ عن اسمي أنهارٌ وسكاكينُ

تدفعُ في وجهي رجلاً

تطرقُ فيه مساميرَ أو مطرقةً أو لساناً لا أحد

يحتاجُ الى ان يفهم شيئاً أيَّ شيء

في كلّ شيءَ لا شيءَ في ايّ ُ شيء فُهمَ كلُّ شيء أُعطيَ الى

الأبد ..

الحلُّ اذن أن تنبعث في يديك اسلحةٌ قديمةٌ كان ،

قديماً ، يستعملها شعبٌ واقفٌ على الأبراج !

أن تستعمل الحقيقةَ كأنها قمْعٌ

يصبُّ فيه نهرُ الإشارات

وفي هذه الحالة ، تقفُ جميعُ الاسئلة

من ورائك محتميةً بمشنقة ، في حضرة

أفعى السياسة . أن تقول لماذا

في هذه الحالة ، هو ان تصافح رجلاً بيدٍ

تحمل قُنبلةً موقوتةً في كلّ إصبع (الرجل الذي قضى

حياتَهُ وموتَهُ

في مطاردةٍ لا هدفَ لها . في نهايتها يصل الى الارض

التي خرجَ منها ليبدأ المطاردة)

الصرخةُ بوصفها باباً ، بوصفها حياةً

تُطرَقُ فيها مساميرُ ثلاثةٌ بهراوةٍ من الحجر ،

وفي الليل عادةً

او مجرّدُ أن تنظر الى رحِمِ حيوانٍ يكتملُ في الرمل

بمساعدة موجةٍ وحيدة المدنُ وحيدةٌ تعبرها امرأةٌ

مجهّزة بصورةٍ لا تنتهي في حديقة

غير حقيقيّة تلدُ فيما بعدُ سلالةً من العميان

أو عينُ رجلٍ حيّ تنظر جانبيّاً الى مشنقة

عسكريّة منحرفة في الدلتا على رأس نهر التاريخ وقبل

المخرج

حيث غلايين تدخّنها في الجبال قبائلُ لا حصرَ لها

تتراصفُ في عالم يختنقُ أو يُخنَقُ في الحقيقة

وهذه الأفعالُ كلّها في داخل خليّةٍ

سريّةٍ أو عاديّةٍ إذا شئت

كلسانٍ يُقطَعُ لينبُتَ كغابةٍ في قلب 1972

(سان فرانسيسكو)

مسافرون الى اللحظة التالية

مسافرون الى اللحظة التالية

من كرسيّها الذي يغوص ببطء في رخاوة الليل
تبتسمُ لي ، في بارات ٍ يُنزل اليها عبرَ عالمٍ سفليّ
مضاءٍ بالنيون ، عرّافون مقرفصون على الأرض
يُصغون الى زلزال بعيد لا يسمعهُ أحد
وطلقاتٌ مخنوقةٌ تمضي
في اتّجاهٍ واحد أهدافها مختومةٌ
على جدرانها الداخلية ، أسيرُ ولا تصلني
ألتفتُ فيسكن كل شيء
ويغلي بانتظاري
وحين تنحني هي ، يهرعُ سيلٌ من الرجال أرواحهم
في أيديهم ليتسلّقوا الأسوار ، يتصاعد اللهبُ
من شعرها كبرج قلعة وفي عينيها العمياوين
يبدأ نهران من الزئبق بالسيَلان ..

أسيرُ الى البعيد في نورٍ غريب
يمتلىء تدريجيّاً بكثافةٍ حيّة ، يخفق كحوصلة طائر
يزدردُ مخلوقاً سحريّاً بضربة واحدة .

قدماي وحدهما حملتاني الى هذه اللحظة
هذه اللحظة وحدها حملتني الى قدميّ

مكانٌ يسفرُ عن وجهه بلادٌ تخفي وجهها بيديها في عاصفةٍ
تفترس الخراف
والحشرات الليلية وأعناب القرويين ، تبتلعُ أمواسَ الريح ..
كان في يدي منجلٌ لكنّ أحد العرّافين سرقهُ
وأخذ يحصدُ به حقولاً بعيدة .

بناياتٌ سراديبها مليئة بأجساد العبيد وفي كلّ صندوقٍ
للقمامة
رجلٌ يتأمّلُ الغروب أو يعوي كالكلب كلما طلعَ القمر
كلما مرّ حاملو السياط وامرأةُ على كل باب في المدينة تريني
جرحاً
يحفر فخذيها كالوادي كلما وصلتُ على ضوء شمعةٍ
أو مصباحٍ يدوّي يضيء بضعف كعينٍ رجل دُفن حيّاً وفي
ابتسامتها كلامٌ
بلغةٍ أفهمها لكنني أحاول أن أتفادى
سطحها المليء برؤوس تحترق ، أتجاهلُ ان أرى المصبَّ
الهاوية المنبعَ السحيق الذي تنبثق منهُ
بعيدةً كطفلٍ يبكي في كوكب آخر ، حشرجةِ أوّل انسانٍ في
التاريخ . عندما وصلتُ كانت قد مرّت ألفُ سنةٍ على
رحيلي.

نمتُ تحت الأشجار وجدتُ بدلة ً من المسامير

على ضفّة نهر . عشت في كهفٍ ضربت على وجهي في اليوم التالي

هرب وجهي وأخذ يضرب على وجههِ

فأخذت أسير بلا وجهٍ متقدّما ً

أو متأخرا ً واقفا ً وحدي

أعبرُ في الساحات في السراديب

أهبطُ أصعدُ أطيرُ أزحفُ على رجْلٍ واحدة

بثلاث أرجلٍ على يديّ على رأسي

ثم وحين أتعب أسيرُ أفُقيّا ً عموديّا ً

أنتهي أسيرا ً سائراً الى سريري

حائرا ً في سرّي سارحا ً ساهرا ً كأن أحدهم يرفض أن يعيدني الى غمدي .

وكلّما أعلنوا مجيء ليلة أخرى

في الساحات بالطبول والرايات

يستيقظُ المخلوقُ النائمُ على وجهه ومن ظهره تنمو أشجارٌ باسقة

لكنني الآن خفيفٌ كأنني تخلّصتُ من عظامي

وفي داخلي فضاء يلمعُ ويستديرُ على نفسه كسكّينٍ

أعرفُ كيف أطفو على ضوئها في الوديان ، وحين أطفو

أراه يسبحُ تحتي كالحوت

ويبلّط الشارع بلسانه تحت قدميّ

لكنني أترك الشارع الى البراري

حيث أستريحُ تحت شجرة

فيكون فأساً ، أكون قلعةً ، هو المنجنيق .

اسطوانةً ، هو الإبرة .

وذات مرة تحوّل الى عصفور فصرتُ بندقيّة .

وكان طاغيةً فتحوّلتُ الى ثورة

وعندما أصبحتُ قدَماً لا تعرف أين تسير

تنصلَّ عن حياتي في هذه الغرفة هارباً ليمتزجَ بالظلام

ليدخلَ أنفاقاً بعيدة

ليحاور رجلاً لن ألاقيه أبداً

في مدينة لن أصل اليها أبداً حيث تبتسم لي

من كرسيّها الذي يغوص ببطء في رخاوة الليل . الليل ،

و« العالم الجديد » .

(1972)

دليل الى مدينة محاصرة

كقبضة ،

او كتلة من الاسفنج المجفّف ، المتبلور عبر عشرات السنين

ومروراً بتجارب لا حد لها يجريها عليها البحر كيمياوياً : او

مجرد دائرة كاملة من مادة متصلدة نتيجة تشنجات

مسلَّطة عليها من قبل الشمس : حرّة من الخارج ، عمياء في

الداخل مكهربة بالغياب الذي تحتويه المادة ولا تستطيع

الا ان تحتفظ به في وجه قوانين **الحركة**

أو محاولاتنا الجدية في إبراز الدلائل من داخل دوائر النوم ،

على وجود اليقظة ، وانتشال لحظات قصيرة من الضجيج من

قطعة من المعدن المطروق : احياناً يسحر هذا الشعور المؤلف

من حركاتٍ لا نهائية دقيقة ،

من **أقدام**

نملة عاملة **مثلاً** ،

عيننا الداخلية كأن كل شخص ، منتصبا على قدميه

المشرئبتين في زوج من الاحذية الغامضة ، هو مجهر كبير

مغطى بالثياب : تمثال قبل ان يزاح عنه الستار ، وهذا

التمثال لفرط امتلائه بالانعكاسات المترددة الوافدة عليه

من الخارج هو مطلق فريد من أصوات هيارية وانبجاسات

مشيرة الى مناطق التحرك ، بحيث انه ، نتيجة حياته التي لا

تعرف التلف وإنما الاستيعاب المطلق ــ يبدو مستعداً

دائما لاطلاق النار على أبعد رجل يحدث انه يسير في طريق

فرعي ، في **بلدة**

ثانية

لكي يثبت ، مثلاً وعلى الاقل

1- ان هناك دلائل قاطعة على وجود حياة كثيفة وخصبة في

أ- اليد الملتزمة بألا تتحرك الا ضمن المسافة المعطاة لها في

حدود الفضاء الذى يحيط الجسد الذى ترتبط به الى

الابد (إلا في حالة البتر)

ب- العين التي تشارك في الاحداث وهي معلقة ضمن

قناع علقته يد معينة على مسافة معينة من الارض

لمجرد الاطمئنان .

2- ان عملية الجمع بين اليد والعين في خط منحنٍ واحد

يميل على القاعدة ويساعد على توجيه حركتها الكلية ،

نحو

أيما هدف

تضع بين أيدينا ، اي هذه العملية ــ

تضع بين ايدينا جهازاً خطرا يمكنه اقتلاع مدينة كاملة

من جذورها القديمة ووضعها من جديد في حدود الاشعة

الجنونية التي تنطلق من هذه الفتحة العميقة التي لاتتخذ

اسمها الحقيقي الا بمشاركة عضو آخر يتخذ اسمه

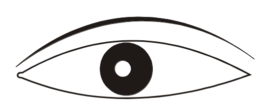
الحقيقي (**اليد**) حين يقدح غيابهما المزدوج **معاً**

في

مركز الجلد ، وبقسوة ، عنف ، ضروريين

انذاك تدفع القاعدة مصيرها الى جانب هذه القابلية التي

كانت خاماً حتى الان :



وتمضي مندفعة الى خارج الاسوار كرسول يخرج من

مدينة محاصرة ذاهباً الى نقطة ثابتة ترشده اليها الرصاصات

المنطلقة من حوله والموجهة اليه بالذات .

مرآة بحجم العالم

1 رحلة ح

2 رحلة ب

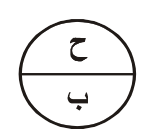
3 ح يرحل على شكل مثلث

4 ب ترحل في دائرة

5 كل منهما يرسم زنزانة هندسية في الفضاء

6 حين يلتقي ح ، ب يذهبان الى فندق

7 في داخل الفندق



8 يجلس ح في سرير ضيق (يشعل سيجارة

9 تنحني ب على عضو ح

10 يذهب ح الى النافذة

11 في خارج النافذة جسر عليه 4 رجال يضربون رجلاً خامساً

12 في الميناء القريب طيور ساكنة في الهواء كطيارات ورق

13 عمال يضعون مرآة كبيرة في قارب

14 ينزل ح الى الميناء ويتناول حجراً بيده اليمنى

15 تخرج ب من الفندق وعلى فمها آثار امتصاص عميقة

16 تقف الشمس في مركز الكون بالضبط

17 يتجه القارب شرقاً (تواجه المرآة هيكل الجسر أفقياً

18 في المرآة : ح عارياً

19 يتجه القارب شرقاً

20 تتلقى المرآة الشمس في قلبها تماماً

21 يطلق ح الحجر بكل قواه مصوّباً نحو المرآة

22 يلقي الرجل الخامس بنفسه من أعلى الجسر ويأخذ بالسباحة

23 ينظر الرجال الأربعة اليه بصمت

البحر في انسينادا

كنت في ذلك الوقت

قد كففت عن السير ومن تعبي المفرط لم أرَ

نفسي الا وانا في الرمل والبحر يزحف من حولي وأذناي

ترتعدان بالضجة الشبيهة باللهاث كأن بين صماخيهما

مجرى يهدر في داخله الموج . بين جانبي رأسي وليس على

حافة اليابسة قادماً من هوة المحيط : البحر، بلا وزن في شبه

الليل كأنه آلة حية . ومن ورائي غرفة الفندق وبعض

السياح المتأخرين . كان ينزل في صماخي الايمن هارباً في

فضاء رأسي تاركاً نوعاً من الاحلام الحرة . قدماي في الرمل ،

كطائر بشري له يدان من الجلد بدل جناحين . ودخل مجال
نظري عابرا سبيل ، قامتان . رجل وامرأة يسيران على حافة
البحر . فكرت بأنهما يتكلمان او ربما كانا صامتين . لم
يكونا قريبين مني .

كانت لهما

اقدام سرية تخفق بهدوء كأربعة نباتات متشردة تحمل
أكواماً هائلة من الجذور بالمقلوب ، متوازنة بفعل معجزة او
بفعل قوانين لا اعرفها . في الحقيقة ان الأشعة المنوّمة التي
تخرج من البحر هي المسؤولة ، كثيفة ومسيطرة كيدي فنان
يحرك الدمى من أعلى المسرح . او ربما كان هذا هو ما
يحدث : الاشعة التي تحيط بهذه المنطقة ، قريباً من البحر
تحيل الجو الى ما يشبه الاعماق ، أية اعماق او الأعماق
البحرية بالأخص . لذلك يبدو الفضاء نفسه ملموساً
بيضوياً كمادة والهواء يتحرك بكثافة .

لذلك

كانت قامتا الرجل والمرأة تسبحان بمشقة في موجة واحدة
تحملهما على الرمل قريباً مني الان حتى لأرى جانبي
وجهيهما وفتحة الفم الجانبية للمرأة وحفرة العنق ثم
يبتعد كل شيء سابحاً نحو نقطة التحلل ويبدأ الرجل
بالأختفاء تدريجياً وبعد ذلك المرأة عندما أغمض عيني
اكتئ **هكذا**

غرفة اليوناني

لن أزعجك اكثر من هذا.

كلا ، أنا نفسي خرجتُ لأجد أحداً أتحدث معه .

خرجتَ في الليل تسير لتجد احداً تتحدث معه ؟

نعم .

ليس هذا غريباً .

لكنني لم اتوقع ان يهطل المطر بهذا العناد . والبرد ايضاً شديد .

انك لا ترتدي ملابس حقيقية . سروالك صيفي ؟

انه خفيف لكنه جيد .

لن ينفعك كثيراً . خصوصاً هذه الليلة .

رأيتُ عينيه تتحركان في قناع مظلم من الجلد . انتظرت ان يكمل .

هذا هو يوم الطوفان .

يوم ماذا ؟

الطوفان ، الطوفان . (يداه ترتفعان) أنا ، أنت ، العالم : كل شيء سيغرق ، سيغيب .

اليوم ؟

اليوم .

وبعد ذلك ؟

لم يفهم . ــ بعد ذلك ماذا ؟ ماذا تريد ان يبقى **بعد ذلك** ؟

صعرت في انفه النحيف نبضة قوية من الدم والشماتة،

وسمعته يلهث .

فكرت وانا انظر الى حاجبيه ، متحاشياً كرتي عينيه المطفأتين

الى الأبد :

من هذا الرجل ؟ وعلى المنضدة يداه : طويلتان وعظامهما

بارزة ، وقفازان احدهما مثقوب على نفس المنضدة يبدوان

مثل سمكتين من القطن احداهما لها عين واحدة ، او فتحة

شرج ، في الاسفل . لم انظر الى الغرفة فقد كنت اشعر تلقائياً

ان البرودة ستشتد عندما أرى الكراسي الخشبية وبقية

الاثاث العاري : كان الرجل يونانياً وأعمى .

اجنبي مثلي .

وعندما لم يتكلم ، قلت

مثلي

مرة أخرى .

انك من بلد آخر ، مثلي . نحن اجنبيان .

لم يكن يدخن لكن أنفاسه كانت من الثقل احياناً بحيث

كان يبدو لي ان نوعا من الدخان يرتفع ببطء من بين اسنانه ،

كان يدخّن سيجارة لا تنتهي في الداخل . لم يكن يسمع اي

شيء اقواه واغاظني ذلك قليلاً ، وعرفت ان الرجل من العناد
والجنون بحيث لا يريد ان يفهم احداً او يسمع احداً . لا
يريد الا ان يجعل شخصاً آخر لا يهمه من كان يصغي اليه
وهو يتحدث عن الطوفان في غرفته الضيقة التي تهزها
اصوات المطر في الخارج . كنت اعرف هذا النوع من
المتعصبين جيداً سوى ان الرجل الجالس امامي لم يكن له أي
طموح حقيقي في تلك اللحظة سوى اقناعي بأن الطوفان
حقيقة صارمة وضرورية ، وكأنني بتصديقه سأثبت ذلك
الوهم حقيقة الى الأبد لأنه لن يكون وحده ، وهذا هو
الفرق .

حفر على الخشب

حفر على الخشب

في وسط الحقيقة ، الخطأ الذي يزحف كالدودة . الحقيقة =
تركيب فسيفسائي من التناقضات : العلاقة بين الأجزاء ،
تسميرياً وفي نوع من المنطق الاعمى . منطقة المحاق حيث
الغرائز والاحلام في حرب . كاستعمالات السكين : القتل ،
او كشط البقايا القذرة عن مائدة ليجلس عليها الضيوف.
او لمجرد الإخافة . حرارة الشر والنشاط الغريب لأدوات
التحريك في اللغة العربية . تسمي الأنا المنهكة عاريةً الى

جدار صلد من الأسمنت ، بواسطة فأس . الشمس تتكيء
على عمارة بعيدة . على المائدة ، سمكة مقلية في صحن.
الباحث الحقيقي عن الحقيقة هو الذي يجد ما تنبىء جميع الظواهر عن انه الحقيقة وحين يتأكد من انها الحقيقة ، يعمل على تجاوزها بكل ما يستطيع من القوة .
مسيح ، حفر على الخشب . اسنان مكشرة بأتجاه الأرض ،
والعنق محني هندسياً وبحدة كأنما تحت ثقل ألوهة
عمياء لا اتجاه لها الا نحو الاسفل . الفنان : مجهول .**عمليـة التجاوز تلك اصعب من الحقيقة بكثير . قد تكون هي الحقيقة الوحيدة**
الشمس قنفذ دائري ، في الليتوغراف . منحوتة القلعة
(برونز في الفضاء) :
القاعدة لها أرجل محدبة الى الداخل ، كمخالب طائر
ضخم متجمد من الجوع . حلم : في الصحراء . إمرأة عارية
تقود هيكلاً عظمياً لجمل يحمل على سنامه طفلاً نائماً.
رجال مقنعون لهم ذيول طويلة يعملون على نصب انابيب
بترول ضخمة في الرمل . أحدهم يصوّب مشعل لحيم
ملتهباً نحو وجهه عندما يحاول ان يقترب من المرأة
كل حقيقة تصل اليها مغطاة بالدم ، وبعض النمل . عندما
يناما ، مجرد رأسين . مسرحان ترتفع فيهما ستارتان عن
مشهدين مختلفين . الجموع التي تزحف تائهة أو تتنقل ،

حرة ومختلفة في كل رأس . الأحداث غيرها والحلم
مختلف . الحلم الذي يتحرك مستقلاً وبشروطه الخاصة في
الظلام الذي لا يعرف فيه احدهما الآخر . يناماں ثانية .

تقرير

أطعمناه قليلاً من الزبدة على قطعة خبز لكن الحرارة سرعان
ما أذابت الزبدة فأخذت تسيل على فمه وصدره العاري
حرارة تذيب البلدة نفسها كقطعة من الزبدة تسيل على
أعمدة الافق وهناك جماعة من الرجال في واحة تختبيء في
ظل يتقلص بسرعة لكننا في الليل لم نستطع ان نسيطر عليه
اذ اخذ يعوي بصوت عال فوضعنا على فمه قطعة من
المطاط وبعد ذلك اقترح أحدنا ان نحشو قطعة المطاط في
فمه أي نستعملها بصفة كمامة وفعلنا ذلك فهدأ قليلاً
وحاولنا ان ننام ونمنا بالفعل ساعة ونصف قبل ان نستيقظ
على هذيانه الذي عاد أعلى هذه المرة وبعد ان رآنا أخذ
يصرخ خفنا من ان نعيد الكرة ثانية لانه كان قد ابتلع
الكمامة وأخذ يعوّض عن فترة صمته بنشاط أكثر في
الصراخ حتى ربطناه الى شجرة ورحنا نحشو فمه بالخبز
بزعانف سمكة كبيرة بدفتر التقارير واخيراً بحذاء أحد منا
لكنه لم يهدأ الا قليلاً وأخيراً رأينا ان نتركه وحده ولمصيره
على حدود البلدة المؤدية الى الصحراء ووضعنا حول رأسه

إكليلاً من عيون الاسماك الميتة تستعمل أحياناً بدل الخرز لدى بعض القبائل النهرية ولكن سرعان ما استولى علينا الشك ثم القلق ثم الفزع جميعاً عندما رأينا بوضوح ان العيون الجامدة في إكليله بدأت تتحرك أو تنبض او تلمع وهي تحدق فينا بثبات مميت حتى لم تعد لدينا قوة كافية نواجهها بها ورأينا أنفسنا واحداً بعد آخر نتراجع ثم نهرب بقوة متزايدة دون ان نعرف الى أين .

البلدة

ظهرت البلدة من النافذة ، في الغرب حيث تجمع القمامة على شكل جبل هناك مثلثات بيضاء وأخرى سوداء يظهر أخيراً انها طيور ، وبعض الرجال المقوسين يبحثون في أعماق الفضلات التي يتصاعد منها بخار برتقالات متفسخة . يبدو أحدهم وفي نهاية ذراعه علبة فارغة الا من سمكة سردين واحدة متيبسة قليلاً . وجد أحدهم نظّارة بزجاجة واحدة وأخذ يجرّبها بوضعها على جسر أنفه ، ثم نظر الى أعلى

بعينٍ واحدة

مفتوحة في الاطار المفقود والاخرى مغطاة بالزجاجة ، فرأى العالم مفصولاً في وسطه بخط أفقي حاد يترجرج كحافة بحر عدسية متلألئة في جانب وفي الجانب الآخر ظلام

شاحب تظهر على سطحه قامات طويلة منحنية تشق

طريقها بين البيوت بصعوبة .

الحانة المكسيكية (البلدة 2)

في الاعلى حيث الكوة المنفردة يدخل منها النور وذات مرة ،

لدهشتي ، يدخل طائر ضائع بالخطأ مفكراً بأنها تقود الى

الخارج وفيما بعد ظلّ يضرب بجناحيه جدران الغرفة مدة

ساعة دون ان يستطيع الخروج

قبل ان تنهض المرأة وشعرها الكثيف الاسود

يغطي ظهرها العاري وتحاول

ان تمسك به وهي تضحك

حين امسكت به في النهاية وبعد ان اتعبته، بعد ان يئس ،

بعد ان استسلم أتت به اليّ

بينما كنت ادخّن في السرير ووضعته في يدي المفتوحة وهو

يرفرف بين حين وآخر ، أسيراً في كمين

وقالت شيئا بالاسبانية

EL PAJARO

لم نكن نتكلم كثيراً لأن اسبانيتي ، التي جربتها معها يائساً

كانت رهيبة. لكنها كفت عن الضحك وأخذت تمشّط

شعرها رغم انها ظلت واقفة تتأملني والطائر في يدي وانا

احدق في عينيه الخائفتين : كانت الغرفة مبنية من أخشاب

نحيفة واصوات البلدة تأتي الينا بسهولة
من الخارج. وفي الأسفل كانت الحانة الفارغة التي تجلس
فيها فتاة تدخّن بعصبية ، منتظرة ..
ارتديت ثيابي ونزلت الى الاسفل
حاملاً الطائر معي
وحقيبتي
ولم اسلم على الفتاة التي أخذت تبتسم وسحقت سيجارتها
على الارض ، ثم رأت الطائر فأخذت تنظر الى يدي كأنها
تتوقع ان افلت الطائر في وجهها ، او ان امرغه على شفتيها
الحمراوين كعضو جنسي مرَّيش او ان اجبرها على اكله حيا
وحاراً كالرغيف
في الباب اضاءت الشمس وجهي
منتصبة كفرن ذرّي ينطفيء فوق البلدة
حيث فلاحون فقراء يتسكعون تحت قبعاتهم على حافة
المحيط الرخوة متحدثين بأصوات عالية وبسرعة وبضع
دجاجات بيضاء تخطو بين احذيتهم المصنوعة من القماش
ونساءٌ بدينات يتصايحن على عتبات أكواخ ، بعيداً عن
الكانتينة التي تركتها ذاهباً الى البلدة
في الاشعة الضعيفة بدا الطائر ضئيلاً ويدي التي تحتويه
كقفص ناقص ، عظميةً جدا
ونحيلة كيد سجين يذهب الى البيت بعد ان أطلق سراحه

وبعد ان قضى مدة سجنه الطويلة صامتاً ، حالماً بكل شيء في العالم المقدس.

تركيب حلم

تتبع المستقبل في مجراه الدموي أفقياً وبأستقامة وعلى إيقاع واحد هو الخطوة . في الوسط هضبة . على اليمين أمرأة منحنية وشعرها الطويل يغطي حفرة فيها اضاءة ضعيفة تأتي من وجه طفل ، وعلى اليسار ، البلدة . تراقب نفسك وانت تقترب من الهضبة كأن شخصاً أخر يراقبك وأنت تقترب من الهضبة ، كأنك لست انت ، عارياً و وحيداً في فضاء . تجد طيرا يقترب من يدك اليمنى ، وتفتحها فيجلس فيها منهكاً . هذا الطير ...

البحر (2)

عبّادة شمس على المنضدة
على الشاطىء لوطيّان أسودان وفتاة تسير بمهل ناظرة الى المحيط ، قريباً منهما ، حافية
وشعرها طويل واحدى يديها مفتوحة امام وجهها ، تطرح على الشاطيء ظل أصابعها كشوكة هائلة تزحف الى الامام بحثاً عن مادة تنغرز فيها ، وكل شيء في شمس الشاطيء طويل او عريض او مدبب ، مستقيم ومقلّم كالشفرة . حتى

الرجل البدين الذي يدرب ابنه على السباحة ، او الغرق ،
على حافة الماء . وسرطان متقلص من الموت ينكفيء في
الرمل ، مسحوقاً وقريباً من صدَفته الأهليلجية إحدى أرجله
تنطرحُ وحيدةً
منفصلة ، وفوقها نملةٌ حية منهمكة بشكل سري
أحد اللوطييّن الزنجييّن جلس في الرمل ، كان هناك كلب
كبير من نوع كلاب الرعاة يلهث بالقرب من قطعة خشب
اسقطها لتوه من بين فكّيه ناظراً الى صاحبه متوقعا إشارة
ليحملها اليه ثانيةً
في لعبة مملة ، لعبة الرجل والكلب
الأقدام ، الحرارة . سماءٌ ترعى غيمةً واحدة تشبه امرأة حبلى
نائمة على ظهرها ترتدي البياض وفي اية لحظة قد تمنح
طفلاً للعالم دون ان يكون حولها أحد ، وحيدةً في صحراء لا
يسمع صراخها جميع هؤلاء فآذانهم كعيونهم تتسقط
أصواتاً قريبة ومألوفة تأتي من اليابسة حيث القمامة
والكراسي ، او من البحر حيث الامواج الداخلة تواصل
مهمة غير مفهومة وبلا هدف ودون ان تحقق شيئاً سوى
إنتاج هذه الضجة وربما كانت تلك هي مهمتها ولكن
فجأة ترتفع يد ، يدٌ واحدة عصبية قليلاً تقذف بعلبّة
الشمس من على سطح المنضدة الخشبي الى مسافة أربعة
أمتار حيث ترقد ساطعةً بلا حرارة ، كحيوان خرج من

البحر الى اليابسة ذات يوم ، في هذه اللحظة ، ليعلن جنسه
الغريب الآتي من الأعماق الى العالم
كما فعلنا نحن ذلك من قبل .

دم صحراء شمس أيقونة مفاتيح

لم أستطع ان احدّق طويلا لأن الأشعة كانت تؤذي العينين ،
لكُرتي العينين بالأخص واطراف الجفن حيث الجلد الداخلي ،
حين تكون العين مفتوحة ، معرَّضٌ بلا رحمة للأشعة .
لذلك تقدمتُ وعيناي نصف مغمضتين وانا اشعر بغطاء
الجفن يرتعد مسالما فوق سطح العين وأحيانا ينفتح رغم
إرادتي مسحوراً بالأشعة البربرية التي تنبثق من جميع
جوانبي .
دم ، كان احدهم ينزف كنت انزف من انفي
كنت انزف من أنفي في الرمل . كنت أنزف من أنفي على
ملابسي وأخذت اسير وانا انزف من انفي على الأرض
ونظرت الى الخلف الى بقعة من الدم على حصاة عريضة
وأخذت اسير الى حيث السيارة على اليابسة وانا انزف من
انفي على يدي التي حاولتُ أن أمنع بها أنفي من النزف
لكنها أمتلأت بالدم فمسحتها بملابسي وكان قميصي
الأبيض دبقاً والبحر دبقاً يشبه الدم أو الغراء الحارّ وأنا أسير
بعيداً عنه وهناك إمرأة تنتظر في السيارة تفتح الراديو في

يدها مفتاح شعرها كثيف ذراعها بيضاء فمها ينفتح تحت
أنفها من الحرارة وهي تنظر اليّ وخلفي صحراء متحركة
تحت اليابسة تحت البلدة ورأيتها واضحةً في الحرارة
وأخذتْ تتموج في القيظ كأنها **تسبح** وجلست الى جانبها
والسقف المعدني للسيارة يحمينا من الشمس ونحن
نحدق الى الأسفل حيث البحر يشعّ دامياً والحصاة تواجهه
ببقعة من الدم كأيقونة تحرس اليابسة من العدو

هكذا أنقضى النهار وتبعه الليل

صوتان قرب المحيط ، حانة مكسيكية . الجوارب أمتلأت
بالرمل وبعض الماء ومن ثم حافٍ وأصابع القدمين تطبق
على اليابسة تدخل مجال الرطوبة وبعد ذلك شعور بتسمّم
بطيء يصعد من الأسفل يطرح نوعاً من العمى تحت
الأجفان أو كلونٍ تتشرب به ورقة ، لون كثيف رمليّ صلد في
داخل الأنف . في داخل السيارة ، الصوتان والمحيط القريب
وإبر مضاءة تحت الزجاج رؤوسها تخترق غابةً من الأرقام ،
سلسلة مفاتيح ، أربع أيدٍ موزعة على المكان . رملٌ أيضاً .
مساحة شاسعة من القامات ، قوارب ، بنايات ، أعشاب
ليلية وعينان في هيكل عظمي ، عينان قرب مرفقي . وفي
نفس الوقت الرائحة البعيدة تنظّف حين تقترب ، تلمس
أحياناً أكواماً غامضة على الساحل تبعث بعفونة زائغة في

الهواء : تنظف الصمت المرهق المتطاول هنا ، كعروق تمتدّ
فوق اليابسة حمراءَ تنزف ، حارة أيضاً ومليئة بذهول البلدة
البعيد . وفي لحظة واحدة تُلفتُ نظري . وفي لحظة واحدة
التفت فأكتشف إن البلدة في أعلى المحيط وعلى طول
اليابسة : تحترق .

تخطيط أولي للنظرة

تطرح المدن الراسية محتوياتها الى الثقوب ، الى البالوعات
وأحياناً الى الأنهار . لكن دائماً نحو حفرة . لكن دائماً نحو
هوة . أحياناً في الليل تحاول مخلوقات ذات أطراف مضيئة
أن تصعد واضعةً أيديها على الحوافّ ووجوهها مرفوعة الى
الأعلى. فهناك دائماً سحر في الأعلى ، آرتعاشات عمودية في
الخارج .نافورة قديمة من الحلم ،
قوانين النزول . **محكمة القوانين التي هي العالم ، مغلقاً على نفسه ويُفتح تفجيرياً بالضرورة .**
الرجلُ يقف وحوله سبعة سهام موجَّهة نحو الخارج ، مولودة
منه حاضرة للإنطلاق . حين يشرب كأساً من الماء ، ينطلق
سهم . حين يرفع عينيه لينظر الى باب ، طعنة . رصاصة ،
قنبلة برَمتْها أيدي حياته المشرَّدة في قلعة الدقائق . وحين
يحبّ نائماً على جسد إمرأة ، عليه أن يفصل من داخله
مادّة . حتى العاطفة تتحّول الى لحم ، وحبّ يتحول في قمته

الى أيام بيضاء تسيلُ منه سيَلانَ عنصر مقدَّس . الطعام يذهب لا الى المعدة بل الرأس ، فالرجل الذي يأكل يعرف إنه يغذي ذلك الشبح القابع في وعيه ، لا ليُحييه بل لينومّه أو يرشوه . فالجوع الجسدي يغذي الغياب وينقّوه للفتك بأن يشحذ يقظته وبأن يُضعف بالمقابل الجسدَ الذي يقاوم تلك المدن المليئة بالأشباح والمنتصبة في الداخل . قوة اللحم ضد ديانات مجرَّدة مؤلفةمن ضوء الأعصاب وأفكارٍ إنعكاسية ؛ أحد أسباب الحيرة لكن أيضاً العناد: الرجل الذي ينظر الى الباب ، لم يعد يكتفي بذلك بل أنه يتحّرك نحوه . العين بوصفها أدق أداة للأمتلاك تصبح كاملةً في نظرة ، والنظرة تمتدّ الى حدّ ان تتّخذ دورَ يد .

البابُ ينفتح

الوصول الى المركز بالصدفة

يقف رجل في وسط العالم فجأة ويبدأ بالصراخ .

يتوقف رجلٌ عن العمل فجأة وينظر الى الباب .

يخرج من الباب

يخرج الى ساحة مليئة بالناس . يسير بينهم مدة طويلة حتى يسمع أنفجارا ويراهم يتفرقون في أتجاهات مختلفة .

يدخل الى مقهى ويراقب دبابّة من خلف الزجاج . يدور

القسم العلوي من الدبابة ببطء دائرياً ونحو اليمين ،
الخرطوم كمجهر فارغ يلتقط القامات البشرية والصدور
بصمت يخترقه صرير المحور الحديدي الذي يدور عليه ،
كصوت آلةِ حصاد قديمةً. تمر فوهة المجهر بالمقهى ثم
تستمر عمياء في رحلتها الدائرية حتى تمر بالمقهى ثانيةً ،
وتتجاوزه ثلاث مرات . في كل مرة تبدو الفوهة حين
تواجهه وكأن عيناً كبيرة تحدق من خلالها ، عين حيوان أو
زاحفة بحرية تقبع في نهاية الآلة .

جسور بعيدة في الهواء

صغير جداً على الجسر ، لكن عندما يتحرك مقترباً تبدأ
الدلالة بالبروز أكثر ويعُبر معنى حركات الأعضاء
المتحركة بالتوافق مع قوس الجسر ، والنهر في الأسفل على
الظهور، ثم هناك أصوات النهر . أصوات النهر على الأكثر.
تطغى الحركة أحياناً على الأصوات . عندما يتحرك الرجل
تراه العين وتخفّ أهمية الأصوات ، ويكون النهر مجرد
خلفية في الرأس : لكن عندما يقف، تأخذ أصوات النهر
بالسيطرة . لكنه ما زال صغيراً على الجسر ينتظر أحداً ، أو إنه
قد سار كثيراً

ذراعه اليمنى فقط
تتحرك كمجدافٍ يدفعُ

قارباً الى حتفه

قبل أن نراه على الجسر . ومن هذه الغرفة تنطلق نظرة ثابتة

لتستقر على قفاه لكنه لا يشعر بها الا في ما بعد عندما

يلتفت كأن أحداً هتف بأسمه فجأة من نهاية العالم الأخرى

أكوام

كومة على الدرج ، كومة ، (في الخلف ، أنسيادا ،

المكسيك : فضاء ، محيط ، غرفة فندق ، حيوانات ، سيّاح ،

تاريخ ، أهرام ، الى آخره) تظهر على سطح العالم وتختفي . في

الشارع أنوار تُضاء لتُطفأ بعد وقتٍ معين ، بعد أن ظلّت

عمياء تحاول أن تضيء قامةً حقيقةً ، وجهاً . أو مجرد

كومة تتحرك في ما بعد وتنحدر الى أدراج أُخرى

بعضها يقود الى رائحة الملوحة ، الى رائحة العفونة التي

تتدفق من البحر ممتزجةً بالملوحة وحرارة الحمّى ، أصواتٌ

كأصوات أغتسال ، سوى إن الذي يغتسل في هذه اللحظة

هو الدماغ الذي يحاول بقوة بسُعار أن ينطفيء سوى أنه

يحترق أكثر، طافياً في الكحول ومثل قطعة حادة من

الزجاج تلمع بضعف وسط كومة من الملابس واللحم ، مثل

عين

كل ما كنته ، لن أكونه ثانية .

ما سأكونه لا علاقة له بما كنته.

حياتي ، لا أكثر ولا أقل . حياتي المحتواة بين ملابسي .

الجرح القديم في أسفل ذقني .

شكل أصابعي ، أنفي ، وجميع الأخطاء التي تحدث

حولي

وتتسرب الى داخلي

دون أن أدعوها ، من خلالي .

البقية غير مهمة .

هذه القبضة المتشنجة على مفتاح فندق ، غير مهمة .

غير مسمّاة ، حركة تمثل كل ما حوله : غيمة من الضباب أو الدخان تعبر حول مرفقيه وتختفي ، ثم تظهر إمرأة يطاردها رجل طويل ذو منكبين عريضين ، المرأة تفتش في حقيبتها بهلع عن شيء ما ، عن سكّين ، عن مسدس ، عن الحقيقة . ثم تبتعد ، الماء ، الماء البليد ، الرتيب بلا صفة بلا حياة بلا موت يحاول أن يقول شيئاً ولا ينقطع عن الأستغاثة لحظةً واحدة . جلس على صخرة . وضع يديه في شعره . وراء ظهره صوت أقدام المرأة ، صوت أقدام الرجل كظل مشترك من الماضي يلوّح في رأسه ، يصعد ويهبط على الماء ، فلّينة ، خرقة في

داخلي ، أين ؟ داخلي ، ولكن

أين ؟ طيورٌ واطئة ، مفتاح في جيبي .

بحر ، جلدي ، أخشاب طافية .

ملابس تظهر منها

يدا رجل . يدان بيضاوان . ولكن

أين ؟

فتح فمه ثانيةً. نظروا اليه ثانيةً. رأوه ثانيةً. توقف ثانية. ركض ثانية. المحيط ثانيةً. من الباب ثانيةً. نحو جسور بعيدة في الهواء . الأرجل ثانيةً. المحطة ثانية. نظروا نحوه ثانية. قاس الدائرة ثانية وأخذ يحتج ورأوا العمود علقوا الرجل ثانية. تحرك ثانية.

أنتهى.

قال شيئاً ما ثانية

المحيط.الخطان الممتدان كطريقي رصاصتين تخرجان من بندقية واحدة في الظلام . اليد الموجهة نحو الصخور بدقة ثاربة. بدأ ثانية. تبعه المقامران الى الغرفة. رآها في الغرفة ثانية. وضعت يدها على المائدة . أخذا ينظران اليها. نظر اليهما ثانية. واليها ثانية.

شربا القهوة . ثم أخذت الأكواب الى المغسلة. ملأت المغسلة بعصبية .

شرب قهوته صامتاً . رأى الباب ثانية والسرير ثانية. ذهبا، أنتهى. نظرت خلفهما وتنفّست ثانية . أغلقت الباب .

الرجلان يتكلمان

بينما

ينزلان

الدرج

ببطء شديد

جلسا وحدهما الآن . نظرت اليه ثانية. وضعت يدها على كتفه وقالت شيئاً ما ثانيةً. فرجها الغريب الدافىء ثانيةً

من ---الى

طعن أحدهم المرأة بمقص لكنها لم تُصَب بأذى كبير وأخذت تعوي فهرب الرجل الذي كان ذا لحية ، وأفلتت من يده حقيبة أراد ان يتوقف ليلتقط الحقيبة لكنه قرر أن مطاردية أقرب من اللازم ووضع حياته في ساقيه الطويلتين وأخذ يهرب بين بناية عالية وأخرى قصيرة على أرضية دبقة بأوراق خفيفة تستعملها البغايا لمسح العرق والدم ، وبرجل يقف أمامه فجأة وبيده المقص ضاحكاً بلثة قريبة من وجهه تقف فيها بضع أسنان كحراس سكارى يتطوحون على برج المدينة ولحية وحقيبة تحت بناية كان بابها مغلقاً والسيارات تهرع تحتها من نقطة غير مرئية الى نقطة غير مرئية . من ، الى . من هذه النقطة تنطلق قدمان لتعبرا على

جميع النقاط التي تقود الى بعضها . الحركة في الظلام. في النور كومة ملابس ، جسد امرأة أغتسلت قبل قليل .

وحوش برية تختبيء في المسرح ، تقرض أقنعة تمثيلية مزيفة تمضغ حذاء أمبراطور صيني أجنحةَ ملاك أو خفاش ثم الستارة الكبيرة . هناك أسلحة فارغة تستعمل في المعارك الوهمية على المسرح ، خنجر خشبي ، تاج من القماش والأسلاك بلون الذهب أو الغائط . أختبأ في المسرح قبل أن يكتشفه مطاردوه ، مطارده الوحيد الذي كان يشبهه.

مطارده الوحيد الذي كان يلهث على المسرح . أخذ يقضي أيامه في شرب القهوة والنوم في التراب ، الصراخ في القاعة، تصليح الكراسي ، قتل الفئران قناع الجلاد حزام عريض قبعات عريضة وضع قبعة عريضة على رأسه ثم خرج . عاد فحلق لحيته ثم وضع قناع وزير متآمر وخرج. عاد فأرتدى سراويل إسبانية وسترة راقص إسباني وقبعة راقص إسباني وخرج. عاد فحمل حبلاً خرج فذهب الى الميناء. أخذ يجرّ قارباً وفي اليوم التالي شكّ فيه عمال الميناء فحاصروه بين قاربين وأخذوا يضربونه بالحبل. جره أحدهم الى جانب . جره أخر الى البحر،وضعه أحدهم على اليابسة. أخذ يجف على اليابسة . أخذ ينظر الى الشمس وأخذ يجف. ذهب الى البلدة جافاً ،غير معتدل في مشيته وسنحت له فرصة أن يقف في أحد الأبواب ليصغي الى أصوات في الداخل **أصوات**

إضراب تمرد سجناء حفلة غرفة تعذيب غارة على مبغى لم

يستطع أن يقرر. أخذ يقرع فلوداد اللغط في الداخل .

وأخذت أحذية ضخمة تطالب الباب بالأنفتاح لكنه قرع

بكل قواه وأخذ يصيح. أخذ آخرون يصيحون من الداخل

أخذ رجل ذو حنجرة قوية يقول شيئاً بصوت أجش. سمع

امرأة تنتحب بضعف. ثم قالوا له من الداخل ان هناك امرأة

عارية واخذوا يغرونه وهو يقرع بثبات جوابه الوحيد الذي

لم يكونوا يفهمونه،ثم أخبروه بطريقة سهلة لفتح الباب

لكنه لم يفهم بدوره لأنه لم يكن يملك مفتاحاً. وأخذ

يقرع . من الداخل والخارج كان الضجيج والدويّ يتصلان

في أنفجار صوتي غليظ يهز الباب.

من الداخل والخارج كان الدوي يهز الباب وأختلط عليه

الأمر فلم يعرف ما اذا كان هو الذي يطرق من الداخل

ليفتحوا له أم انه جاء من الخارج ووقف وما زال واقفاً في

الخارج وهم يطالبونه من داخل المبنى بأن يفتح الباب من

الخارج / ليخرجوا .

(سان فرانسيسكو 1971-1972)

حانة الكلب

حانة الكلب

إذا كنت نائماً في مركب نوح وأنت سكران

ما همك لو جاء الطوفان

رومي

لا أخفي عليكم أنني أنا أيضاً

أفكر أحياناً بماهية الشعر بخطورة القضية

بنوع من التوبة كما هي حالُ الجميع وفقر العصافير

الأسطوري وفي أغلب الأحيان

وأنا نائمٌ أحلم أنني أتعثر برجل نائم تحت جبلٍ

وأركله لأوقظه برفق أولاً ثم بتهورٍ وصراخ حتى يستيقظَ،

ويوقظني

وأحيانا يكون الفرق الوحيد بين الحياة والنوم

هو هذه العلاقة الزجاجية بين المصادفة والقصد

بين أن تستيقظ بنفسك ، أو أن توقظ ، بواسطة حذاء

حتى إذا لم يكن هناك جبلٌ حتى إذا لم يكن هناك !

ذات فجرٍ يقع المحذور برمته ودون مصالحةٍ

كما يقول صديقي

الذي كتب أطروحةً عن صمت أبي الهول

لنيل شهادة الدكتوراه باليانصيب

ذات فجر يقع المحذور ينتقل فيه نبع القرية

من وراء السياج الى فم رجلٍ نائم يرصّعه الظمأ

يحلم أن فرقة مدربة من الأعداء

تهيلُ الصحراءَ بالرفش وطول الليل

في قصبته الهوائية ، دون كلل ، ذاتَ فجرٍ

عندما يقع المحذور ويُحظر التجول ويُفشى السر

تحت شبكة الأحكام العرفية غيمةً واطئةً

تركب أبخرة النهر

تتلصّص على النائمين في ضفّتيه

بثقوبها المطَريّة الأثني عشرة ، أو ربما

كنتُ أؤمن ببساطة ، أن هذه التورية هي المسؤولة

ترفع بالسطل مخلوقاً أخضر كان ينام بانتظاري

في بئر السبعينات ومنذ الطفولة

أو ربما كنتُ أؤمن ببساط الريح

إيماناً أعمى لا يشفيني منه علماء الجاذبية حيث القصائد

لا تحتاج الى مجداف لتعبر بنا جميعاً الى الضفة الثانية

وكل كلمةٍ فيها ، كوةٌ سرية يتجسّس منها الماضي

على الأحياء .

في حالاتٍ كهذه عادة

أحوم حول أسوار العالم حيث أسجّل في دفتري

مواقع الثغرات بدقة
وأضيفها الى الخارطة بالمسامير
أفكر بجبران بن خليل يسير في نيويورك
بشجاعة الحالمين ،
بأبي فراس أسيراً في بلاد الروم
يخاطبُ (على بحر الطويل) الحمامة
وعندما أكاد أنسى العربية أغمض عينيّ وأحلم
لأستحضر المعجمَ من الذاكرة في رأسي
مركبَ نوحٍ في بحر متلاطم من المخلوقات
تدوزن كل سمكة فيه حراشفَها وهي تسبح
في /على عتبة / خارجَ نافذةٍ
مشرعة على مصراعيها
وسطَ لساني
موسيقى رُبع اللحنِ
بيات أصفهان سيكا همايون
الشرق يدندن على العود في آبار الجهة الغربية
وعلى حين غرّة
وعنوة
وبالكاد ولكن تماماً كأنما في موسم للرجم بالحجارة
يصبُّ فيه الجميع سخطَهم على النوافذ

في قصور الذئاب المالكة

يظهر راويةٌ

ذئب مُهلهل الثياب

حادٍ يهلهل هامساً يهمهم بالهلاك

يروي عليّ كالسيل

ويل الشعر : رأس مشعثٌ يثب من مناماتي

من قِراب ذاكرتي

من حجارة المعرات حيث الشعراء يطالبون بأن يسمَلوا

ليفتحوا حواراً مع رهين المحبسين

أو أقرب العميان يهمهم بالهمس يهلهل بالهلاك

كأنني فتحتُ حنفيةَ المحيط بمطرقة

يروي عليّ كالسيل ويلَ الشعر رعْشَ الليل

وقيل إن شاعراً جاب ممالكَ مؤرقةً

تحكمها بمشاعلَ من ذهبٍ

خالصٍ رعشةٌ وحيدة

تحاول الفرارَ من ثغرة في رسغه

كان يجلس في الإيوان المهيأ لذوي المظالم البعيدة

كان يجلس في الديوان المهيأ لرملٍ لا يعرف مستقراً

ينتظر قافلةً منسيةً في بئر الآلآف

بيدين ضارعتين

ديباجاً ترفوه يداه اللتان تتجاهل إحداهما الأخرى
وحبراً وفيراً يسيل على حين بغتة
الى وريد البائقِ الأبهر من قبر الحائية الكبرى
من يديّ الأعمى الذي نظر الى أدبي
بعينه الثالثةِ وبكى .

كان رحمه الله يصبُّ العزلة في إناء من الفضة
كلّ مساءٍ أو نحوه وما أن يشرفَ الغروبُ
على الهروب وإذ يرفعه الى شفتيه
(أي الإناء لا المساء) كانت
والله أعلم
(هنا قد يهز الراوية كتفيه
أو يقهقه بجنون أو ربما يجهش بالبكاء)
أفعى رقشاء مكحولةُ العينين بتوابع الزوابع الرمادية تصعد
بدلالٍ
وغنجٍ من باطن الإناء
وتقصد الراحةَ
في حاجبيه الكثّين = رأسٌ
يثب فجأة من خندق فمي
حين أفتح شفتيّ من الظمأ
يتسلق أسناني

أكياساً من الرمل

هاجماً الى الأمام

شعره مشعّثٌ ولكن

في فمه كالإعجاز

تتذأبَ الحمامة

يهدل الذئب

يذكّرني

بالحروب بالحصارات

وأحياناً بحزن

ينصب

منجنيقات الضوء الصدئة

حول قلعة أوهامي التي نهضت

وتركت مكانها على التلة

ذات ليلة

ذئبي

الذي يهدل بين الخمائل بعذوبة ، حمامتي

التي تصيد الحملان لتذكّرني

بالطرق الطويلة التي قطعتها

لتصل

وتنقذني بوصولها

من التبوّل في فوانيس القطارات

ومضاجعة التلال المجنزرة بأفخاذ العذارى

ثم نامت الصحراءُ وأستراح التراب .

وجدتُ نفسي نائماً

في حانة السلحفاة والأرنب

في حانة الكلب والثعلب ورجل الأعمال

في حانة الخلد والفراشة والعظاءة والقرد

بجانبي مقامرٌ نائمٌ

تتدلى ذراعه من الكرسي

وفي يده ملكةٌ ديناريةُ وجوكر.

أطباءٌ ملتحون ، حلاقون وعارضات أزياء

أساتذة وتجار ماشية وتجار أسلحة ومهندسون

يدلّلهم الحاكم والنائب والله

وتحرسهم الدولة بالمدافع

بحياة آلاف الشعراء والعاطلين إذا أقتضى الأمر

يتقاضون أجوراً عالية لن أطالها حتى

في أكثر أحلامي تفاؤلاً

في عطلة رخية على المحيط الهادي تحت القمر الغربي

الذي يحمل كتابات بالأنكليزية وبالروسية

في جانبه المظلم ، لافتاتٍ

في " بحر الهدوء " تُعلن مالكيه

وجدتُ نفسي نائماً في الجانب المظلم من العالم

أنقبُ كلَّ صباح في مكتبة الآلام العامة عن جذرٍ

يربطني بك ، أنتَ ، دائماً وحتى

أنني أتردد في أن أُسميك لأنك ، لستَ إمرأةً

أو الأرض أو الثورة: شجرةً فقيراً حذاءً في الطوفان

لا أُسميّ أحداً بالضبط لكنني

أُريدكَ أن تشعر بخطورة القضية ! لكننا نبدأ عادةً

بالبداية أي الخروج بكل ما نملكه من الصدق

نحو الفريسة

التي ستقودنا الى قلب المعنى

لأن المعنى دائماً هناك يدخنّ صابراً في نهاية القصيدة

منتظراً وصولك وهو يبتسم باحتقار وأنت

تلهث أو تبكي أو تصل بقدم واحدة

أو مشلولاً من النصف أو ميتاً من التعب

يطاردك الدائنون بهراوات القانون أو في نقّالة المرضى

أردتَ أن تكون هذه قصيدةً

تجرّبُ فيها أن تهاجم نفسك بالقلم بالجوع والمشاعل

والحجارة ؟

ليصبّ بعض الدم في حضن القارىء؟

لكنني ويجب أن تصدّقني (أعلم إنك ستصدقني !)

أؤمن بأنها ضرورية إيماناً غريباً يفاجئني

لأنني لستُ واثقاً من نفسي حين أقول هذا !

لذلك أخرج لأشتري علبة سجائر

في أعماق الليل وأزور صديقي

لنناقشَ الشعر ونقذف المسبّات في وجه الغرب

حيث نعيش كلانا مؤقتاً بالدَيْنْ

وبنوع من الشعور العميق بالعمى

والتبول بإسهاب على تابوت الرأسمالية الباهظ التكاليف

كأننا شربنا برميلاً كاملاً من البيرة الرخيصة .

أطرق على الباب

ثم أطرق على الباب ثم أصيح ولك قوّاد ! لك أخي

أفتح ياهذا

وأسمع حركةً متراجعة كالريش نحو الأعماق

ثم صوتاً بانكليزية زنجيةٍ تشوبها لكنة فلسطينية لا تخُطِـأ

ولـّوا يا أولاد القحبة

ماذا تريدون

لن أعترف لكم لن أعترف ك ، س ، م ، ح ، (غمغمة غير

مفهومة بأية لغة /// (ضحكات يائسة بالعربية)

في الصباح أذهب الى فلمور وهو حيّ الزنوج

في سان فرنسيسكو على طريقة هارلم في نيويورك

لأزورَ صديقي الفلسطيني

في دكّانه المسيَّج بالقضبان (جميع الدكاكين في أحياء

الفقراء بأمريكا

مسيّجة بالقضبان) صباح الخير

كيف الصحة أبو الشباب؟ وكأنه يقذف بإتجاهي

قرحةً مزمنة :

بلاد العرصات

بدّك تشنق حالك ، مش هيك ؟

بيخلّوك تروح تستأجر شجرة ! وإلا عمود تلغراف؟

كيف حال الشعر هذي الأيام ؟

لعلك أدركتَ قصدي ، من الواضح كما ترى

أنني أهدف الى شيء غامض قليلاً

لأنه لم يكتمل بعد وأقول هذا بمنتهى البساطة

أيها الصديق لا أريدك أن تسيء فهمي

هذه كلمات بسيطة مكتوبة بالعربية بالمناسبة

أذكر هذا لكي لا تتهمني بأنني تأثرتُ في كتابتها

بشاعر "عالمي!"

أي شاعر يخاطر بالكتابة على هذا النحو

لن يكون حتى محلياً ! وسيقضى سنواته الباقية

بعيني نسرٍ محموم أو رجلٍ ينتظر زيارة صاحب البيت

الشهرية وهذا يعرف جيداً أنّ الرجل الفقير لا يستطيع

أن يدفع الإيجار

لكنه مع ذلك وللتسلية ، أو إشباعاً لنزعة غريبة في

الإرهاب ، أو ربما لأن الكلب

يعرف إن شرطة العالم والتاريخ كلها تقف من ورائه

يقرع الباب بحذائه، وخصوصاً بالكعب

المليء بالمسامير ...

سيقضي سنواته الباقية إذن بانتظار الجلاّد

الذي سيأتي متنكراً ببدلة ممرّضٍ رسميّ طيب القلب

يخفي وراء ظهره سلسلةً حديدية وسترة للمجانين .

أبتسامته الكاذبة ستملأ الأرضَ بموضوعِ هذه القصيدة

(سان فرانسيسكو 1975)

هنا ينتهي العالم المعروف

(1982-1979)

بقيتْ هذه الطريق

بقيت هذه الطريق وحدها أمامي . إنها غابةٌ أو حكاية ،

المناطيد تحطّ على السقوف، والقوِرية تنقل تحت جنح

الليل، في عربات الطاعون موتاها ، الاسكافي يغطّ في النوم ،

الأقزام يصنعون له الأحذية . تنهض الصحراءُ بطولها في

منامي ، منقوشةً بأخطار وأمثال.

الرسالة نصفان ، كلّ في طريق هي ليست الأخرى .

واحدهما يختفي ، كالنسناس ، في مملكة النبات في رأسي ،

والآخر ينتظرني كالحارس أمام بابي .

وهناك ، في مقهى الليل الذي يحبلُ بأسنانٍ مهشّمة يخفيها

المهاجرون في أردانهم بقطرة الحبر التي تسافر ضدّ الأوامر

من بؤبؤ الى آخر وفيها الرسالة ؛

هناك يدعني أعرف السر: الكأس فارغةٌ تصلّي على المائدة .

العيون شاخصةٌ الى البعيد ،

بيللي هوليداي تغنّي من قاع عذابها الأسود:

صرتُ لك عبدة.. **..** I slaved for you

والأرض تطفو بين الكواكب.

الراحة على الراحة

اذا وضعتَ هذه الراحة على الراحة الثانية
ونظرت نحو الأفق بكآبة لن ترى الا البذرة التي تطوف!

سترى واحةً نخيلُها ألم بالعناقيد
إذا هربتَ مع الهاربين، ورأيتَ الأسوارَ من الخارج..

في أكثر من محجّة عارية ، في أكثر من سراي
حيث يُقتل الزمانُ فوراً كالكلب
بعبوةٍ بين العينين
على حافة بئرٍ
عويلُها
سبع عواصفَ
تتململ في بؤرة الضيم!

سترى. سيرثيك حجرٌ، ستأويك زنزانة
إذا حلمتَ أحلامك في العراء،
وأتيت..

امرأة من قبيلة الرخّ

تطلقني بقبلاتها في العالم أحياناً

امرأة مليئة بأفخاخ يرتجف فيها الفجر لأنه الفريسة

التي لاتعرف مهرباً

(- رأيناها

تجدّف في نهر الأقدمين العميق بساقيها

والشرق يصل بها الى المصبّ

حيث انتظرناها بشعرنا الأبيض

- كانت فانوس المنجِّم

تلصق فيه الأحلام كالفراشات

مجرّةٌ في مهبلها انفرطت وتاهتْ

- عدِّد صفاتها الأولية

صرف تفاحة آدم

- تفضلِّ الحب

مجرداً من ألقابه ، تريد القلب

مخدةً حية لوجنتها اليتيمة)

وأنا الهارب من بيت الى بيت

أرجم أسوارها بوابلٍ من الأوهام لأراها عاريةً في حديقة

الملك

ورسغها وحدهُ يمارس الإشارة السرية التي تأمر

أبواباً بعيدة بالانفتاح.

أوامر من الغد

من قرحةٍ في العانة

من قرحة في الناي الذي يلفظ الرمل

والمغنّي تغادره الأغنية

في قطار الفجر..

في محيط الحبر الصامت

تُومى شبكةٌ.

تتآخى السمكة والصنارة .

في مركز القرحة أنصبُ فناراً

لأكتشف حركات الملاحين وتوقيت الكواكب

تحت سيطرة ساحرٍ عارٍ: هنا ينتهي

العالم المعروف إذاً ، وأترك أمتعتي على مفترق الطرقات

مفتوحةً كميراث العائلة المسافرة

بعد أن اختفى اللصوص بالجواهر في الغابة.

أنهض من نومي بكثيرٍ من الضجة -

عواميد الملح تتساقط من حولي الى الوادي

وببطء نوّاصة القافلة التي لا تذهب الى مكان

أحاسب اليومَ سحر الأمس الرديء

بأوامر صارمةٍ من الغد.

شرقاً حتى الموت

أحببنا ماتفعله فينا

يا شرقَ الجهات لكن العاصفة

تهب فيِ الخارج الآن والأسوار تنهار بأختيارها

بين بقايا مأدبةٍ مجهولة : يد هنا ، يد هناك

تقاتل الكلاب من أجل عظْمة.

انت الآن ماسّةٌ بليدة نخدشُ بها زجاجَ الذاكرة

لتطفر بأحشائك الراقصة على الموائد

في مآدبك الخيالية

وما زلت تتبجّح كسلطانٍ بعددٍ لا يُحصى من الآبلو!

لن تكون لأحد سوانا أيها القديس المجرثَم بالمعجزات

ما من يوم ستكون فيه لسوانا..

القائد المهزوم والنملة

(تفسير للحكاية)

جاء مما وراء الألف

ونام تحت نخلةٍ لأنه الظمآن !

العناصر بعيدةٌ

تحتفظ بالكأس في يد المسافات لمن يأتي

دائماً

على مرمى حجرٍ سحريّ على شرط أن يُرمى

بمقلاع القلب..

مما وراء قرى الحكمة

وقد سلط عليها الظلام إحباطَه المشبوك

من هذه الرحم عندما تلفظ وعودها

في أجسادِ من ينهضونَ ، وأيقاظاً ، ليمضوا

في موعدهم مع جدار..

مما وراء الألف لأنكم لا تعرفونني

أنا العنصر الذي أبكى

العنصرَ الذي يجهل أن مسيرتي

غضبٌ

لمنبعهِ السحيق كهوفٌ

أكثر عدداً

أكثف

من كهوف الدم حيث يستشري هذا الصوت

كلما تسلّق سلالمَهُ مصيري

مباعداً بيني وبين ما لن يمرّ بيَ إلا مرةً ، حيث أسيرُ :

رجلاي أمتلأتا سيراً ورأيتُ

الى أين أسيرُ ، على ضوء هذه القوافل ..

في حديقة سعدي الشيرازي

(عندما كان أسيراً)

النهر يجري ، والأدلاء يختفون في الأحراش . أنا يومٌ واحدٌ
يجرّ خلفه قيامة من الأيام . كتائبُ جريحة تشمّ الهواءَ
المحترق بالدم اليابس في الأنف . لأن مدينة الماء لم تعد
بعيدة . إنها هناك .

هناك بستان الورد ، وكأسُ سمّ ذهبية يحرسها ملاك بيديه .

النهر يوميء لي من بعيد بعينين مغمضتين لمحظيةٍ
سكرانة . وهكذا حتى يصل في حلمه المصبّ .

لكنني بشفتيّ أتقرّى ، أفضلَ من الأعمى ، من الجدار الى
الغصن ، من القيد الى الآفاق ، تلك الصيحة التي أضاءت
بسيفها الممالك ، هذه العلامة التي نزفتْ لها قيودي .

ريشة

أعيش في قلب عاصفةٍ

بإشارة من أيامي التي تحمل وثيقةً مزورةً في يد

وفي الأخرى مجدافٌ صالح لأي نهر

لأية لغة يشقى بها الواجب

وها هي عظْمة القصيدة تتلألأ قربي

فتوقظ لساني من نومة الكهف .

لحظة أعرفها .

ليلٌ مرّ بمجلوديهِ على بابي

وأعرفه جيداً .

أيٌّ صوتٍ خائن قد يمرّ .

وفي مستودعات الذاكرة ، يهبُّ هباءً ، كريشة .

مشهدٌ بلتجاه واحد

بين القصبات المحطّمة طائرٌ أحمر

يجري أو يحلّق نحو نقطة مجهولة

شيءٌ ملفوف على بكرة

في يدي إمرأةٍ تنام بين الأشجار

إنها تحلم

بعد أن طردوا من عينيها الشياطين

وفي المثلّث المضاء بين ساقيها المفتوحتين

الخيطُ ، ثانيةً ، يحاول أن يدخل ثقب الإبرة

والذكَرُ عكازٌ يطرح ظله عبر صحراء .

مديح

سأمضي في مديحي

العالم معلق من شعره الطيني في أبراج القصائد

والشاعرمُحاصرٌ يحرق وثائق الليلة الماضية بنظرة ختاميةٍ

لا تعرف الصلح .

سأمضي في مديحي

حتى في الحدود الشعرية ، التي لا يعرف أحدٌ ما هي .

حالة إنذار

النور يعيش في حالة إنذار ، دائماً على أستعداد .
خطاب النور الذي يبكي في بذرة حنطةٍ ، على الطريق
المؤدية الى رغيف .
نورٌ ونيران . هرم ضائع كان قبضة ساحرٍ مدفون في
الصحراء .
أنا الذي نمت خلف نافذة ، في قاع نهرٍ مليء بالبنادق
القديمة ، جماجم مليئة برمال تهذي ، برسائلَ ضدَّ العالم لم
تُكتب ، بخطط جريئة لم تُنفَّذ ، أصغيتُ ذات ليلة ، الى
الأجداد اللاهثين بصعوبة يعبرون على خيولٍ نائمة يغطيها
الزَّبَد ، نحو رائحة الفريسة التي تركبُ الريحَ حتى آخر
الآفاق .
نحو فانوس القرويّ
الجائع المتأرجح على رأس القرية .
سمعتُ ملاعقهم الخشبية ، مفاتيحَ بيوتٍ لن يدخلوها
ثانيةً ، معلّقةً في أحزمة الجلد ترنّ كالأجراس جنباً الى جنب
مع الخناجر التي تحنّ الى ليل المعارك .

اللكْمة

البريق والصوتُ معاً وفي لحظة واحدة .
العالم يعوي في أنفجار منظم على مبعدة قدم مني وتلمسني الرجّة آخذة جسدي الى النهاية الأخرى ، الرجّة التي كانت تجعل يديّ ترتعشان وفي إحداهما السيجارة ، منطلقة من مكان ما في رأسي أو خلف عينيّ ، وهادرة بقوة ، لتتمركز في أصابعي . ضغطتُ على السيجارة حتى تقصفت وتفتّت الورق تاركاً التبغ يتساقط كالرمل على الأرض ، والرأس المتكوّن من الرماد ما يزال يحتوي على الجمرة ، يرسل الدخانَ الى أعلى حتى يصل عينيّ فيحرقهما . سقطت السيجارة وأحسستُ بقبضتي ، بأصابعي التي كانت قد تشنّجت ، على حين غرة ، لتتّحد معاً وتنطلق حرةً، تنقذف في الهواء وهدفها ، كما أكتشفت ، الوجه المقابل لوجهي وبالأخص ، الأنف الذي كان زائداً يغري بالبتر ، بالإزالة . لكنني أصبت الفك من الأسفل وللحظة ، إرتجّت العينان اللتان كانتا تسودان ، مسيطرتين ، على بقية الوجه وهما مركزتان بتحدّ أولاً ، ثم بعنجهية مواربة ثم وأخيراً ، بذعر فطري وأكتشاف متأخر للعداوة من جهتي – في عينيّ ، وبالطبع في قبضتي بالذات والتي لم تترك للعينين ، لفرط السرعة التي أنطلقت بها ، أن تأسراها . لم التفت الى غير

الأنف، لكنني أصبتُ الفك الأسفل والتهبت أصابعي
قليلاً وهي تعبر هيكل وجهه لتصبّ في الفراغ ، بحركة بدا
فجأة إنها تتباطأ وجسدي كله يتبعها كأن نهاية الذراع
المركّبة على شكل منجنيق مغلق ، بسلاميّات صلدة تتآمر
تحت الجلد – قد مغنطت فجأة هذه القلعة من الأعصاب
والشرايين والأحشاء التي تحمل أسمي وأعيش لأبرّر
وجودها وفي هذه اللحظة ، أتبعها نحو اليسار ، منحرفاً عن
القلعة الآدمية الأخرى (عدوّي) التي جمدت مقابلي ،
بعنف ، لأبرر ما فعلته للتو مخلصاً لكل ما تأمر به . لذلك :
هذا الأنزياح نحو اليسار بالنسبة لقامة الرجل المنتصبة
أمامي والتي بدأت تتزحزح متطوّحةً بعيداً عني بتأثير
اللكمة ، والأنقذاف بعيداً بمسافة ثلاثة أو أربعة أقدام ،
حتى أتمالك توازني وأقف لاهثاً وأنا أواجه عالم الشارع
الذي فيه أنا والرجل ، وظلّ آخر كان يقترب بسرعة ويبدو
أنه يحمل في يده هراوة بدأت تلمع في الرذاذ الخفيف الذي
أخذ يتساقط من السماء .

إعدام صقر

رجلٌ سكران التقيتُ به في محطة بنزين

قريباً من "رينو" بصحراء "نيفادا" ، ملتحٍ ، عيناه زمرّدتان

من حديقة الشيطان ، تحت قبعة الكاوبوي ، يده مدفونة

في قفّاز ضخم لتدريب الصقور ، قال لي إنه قضى أعواماً

طويلة في تدريب صقره على الصيد

لكنه فقد « حاسة القتل » ، كما أخبرني ، كأنه يتكلم عن

ملاكم ، ولم يعد أكثر من دجاجة . « تطلّعْ ، يابنيٍ » ،

ثم أراني صقره الذي أكتهل في الأسرْ ، وأطلقه من الحلْقة

ليطير، وبيده الأخرى العارية ، تناول بندقيةً وصوّب بعين

واحدة.

ما كاد الصقر يحلّق حتى سقط الصقر في التراب ، وحرّك

جناحَه الأيمن للمرة الأخيرة

ناكشاً به الى الأعلى غيمةً صغيرة من الغبار،

كومةٌ من الريش ، التقطها الرجل بحنان وأفرد جناحيها

بأصابعه ثم ألقى بها في صحن سيارته البيك – أب ، وانطلق

هادراً باتجاه الصحراء.

فلاديمير إيلليتش في زيوريخ

جاءني في أصعب وقت

فرض حضوره الصاعق والنبيل على طاولات قديمة

كانت أرجلها تهتز كأرجل المرضى

حتى قبل أن تقترب العاصفة من جلد المدينة

بمسافةخمسين ميلاً ، في مقهى يملأها تجّار سويسرا

رائحة الماشية المبتلة (أرقام البورصة

تتساقط من جدران الجرائد على أحذيتي)

في بانهوف شتراسه (شارع المحطة) بزيوريخ

قصيراً كبرميل من البارود ينحدر على حصباء الليل

نحو أسوار القياصرة ، وقاطعَ أضغاثَ الحلم التي كنت

أتخبطّ فيها كفأر غريق

بلحيته المدببّة التي طالما ثقبت صفحات التاريخ

وكانت تمخر دخان التجارة القاتل كحيزوم سفينةٍ واثقة

الآن ، قائلاً لي أن اهزّ أحزاني بقوة

كتلك الأشجار التي تسلخُ شعرها بثباتٍ خارج المقهى

أراملَ في جنازة غامضة ، وأشار اليها بسبابته وفيها خاتمٌ

طالما شخّص به الأموات

في توابيتهم السرّية .

لا تخشَ شيئاً ، لا تستسلمْ ، هؤلاء

لن يحكموا شيئاً في يوم سوى الضرب والقسمة

والأقزام لن يحرقوا وراءهم سوى جسور العودة . جئت من

مسافةٍ بعيدة

لأقول لك هذا ، وأيضاً ، لأقاطع أحلامك الرخيصة؛

إذهبْ الى المكتبة ، إذهبْ اليها الآن ...

***كان فلاديمير إيلليتش أوليانوف (ليلين) يعمل نادلاً في مقهى فولتير ويقضي أوقات فراغه في مكتبة زيوريخ العامة عندما كان يعيش في سويسرا، قبل أن يعود من منفاه الى روسيا ... و ...**

المحظّية

بمجرّد التحديق في السقف ،

يمكنك أن ترى الكون

من مفكرة ليوناردو دافنشي

أرقد على ظهري محاولاً ان أنام لكنني بدل ان انام احدّق

حتى الساعة الخامسة صباحاً في سقف

الغرفة: خرائط رمادية يتساقط منها الدمع ، مشاةٌ يقتلعون

خطاهم بصعوبة

في خطوط الطول والعرض ، شقوق مثل كهوف ألتاميرا،

أسواقٌ ، نفق يهدر فيه قطار سريع

كحيوان يهرب من مروّضه منذ بداية الكون جاهلاً سبب

المطاردة :

في آخر عرباته أفتح باب المقصورة مستنداً الى مقبض الباب

بثقلي ؛ المنعطف الذي في نهاية النفق يجبر القطار على أن

يقذف سكانه النائمين بشدة

خارج الايقاع المزدوج الذي سحرهم حتى الآن

كفوهات البنادق في فرقة إعدام ، ويجعلني كذلك

أنقذف عفوياً الى الأمام ، فاتحاً الباب الى داخل المقصورة

المضاءة بمصباح أزرق ضعيف لتشويش النظر، للايحاء

بالليل لإغراق الوجه تحت سطح المرآة.

هالو!

أقول بلهجة عالمية .

أرجوك أن تخرج ، أخرجْ أرجوك !

تهمس المرأة التي كنت أنظر اليها بلهتمام

كمجنون ينظر الى واجهة مطعم ، رافعةً أحد فخذيها لتغطّي

المثلث الأسود المعلق بين ساقيها ، دلتا سرية للسفن

والتجارة .

ولكي أُهديء أعصابها أخذت أتمتم في أذنها بأشياءَ عذبة ،

بقصيدة مضحكة

كأنها طفل يرفض أن يأكل ، وأضفت : هذا العالم أيضاً

الف ليلة وليلة !

لكن ما فاجأني كان توتراً خاصاً كالوتر المشدود من أمعاء قطة

على ضلعين منخفضين ، وحتى الأنقطاع ، بالقرب من القلب

ينبعث من خيالاتي عن اليوم التالي ، عن حقائبي

التي تربطني بفكرة الوصول الى مكانٍ لم أكن أريد الوصول اليه

رغم أنني في طريقي اليه، ورغم ان وصولي اليه في نفس الوقت

يبدو الآن مستحيلاً كالعودة . وكذلك بالقطار .

ومما قالته الآنسة في الأثناء ، عرفتُ ان الرئيس بالذات كان

هو الذي

أوعز اليها ، مع الأجراءات اللازمة ، بأن ...

أي إنها كانت رسولته ، المحظية **Numero uno**

لكنّني بضربة واحدة أستعدت شجاعتي

وحملتها كمنطاد أبيض يفوح بعطر الأدغال الخطرة

الى الخارج ، الى خارج المقصورة ، وكانت لا تزال تهمس

ولكن بعيداً عن أذني هذه المرة .

وفي المحطة شبه عيد ،مواكب عسكرية تراوح في البرد

فرقة موسيقية وأطفالٌ عددُ رمال الأرض

رجال ملتحون وآخرون يحملون أسرّة ، وسلالم وصناديق ،

مرايا وبنادق

مدافع هاون ، قناني شراب

صحتُ ، أعطونا ملاءةً يا إخوان !

أعطونا غطاءً لهذه الليلة

والرئيس وحده هو الذي ، وبالأجراءات اللازمة ...

بطانية سميكة من الصوف . تلّفعنا بها.

ضاجعتها حتى اختفى القطار والعالم متعانقين .

الرغبة والموت في مدينة مكسيكية صغيرة

الليلُ يقترب

المرأة المسمّاة ديانا

بنيفيدس من نيكاراغوا تهربُ في غابةٍ

من الرصاصات نحو حياتي :

تنزلق من بين أيدينا حفنةٌ من الرمل

يضطرب المرجان في سرّة المرأة .

بيتنا الرغبة . بيتنا على النهر

أو بين ذراعيها ، مضاءً

بثدييها النافرين .

الليل يقترب والنسر يدرّبُ جناحيه على الهوة

قلب

صورة تمثل قلباً

يستظهر يحفظ عن ظهر قلب

يسحقُ قلبَ فلانة

حزنٌ غم أسى ساحقٌ للقلب

ساعةٌ مسافرة من قلبي الى رسغي

لحظة من النشوة

تنتج يتيماً في شرق الزمن

وكبطن جارية كسولة تتلوى لدى قدوم الملك

هذه الطريق التي نام سالكوها أو أختفوا.

صيحاتٌ ما زالت تسحب وراءَها

أفواهاً هاذيةً بأنصاف أناشيد.

تتلوى كبطن جارية كسولة .

من مدّها أمام قدميه ولفها بهذا الفضاء ؟

ينصرف بكليّته الى

بشدة

يهن عزمه . يسترد شجاعته

يعقد العزم على

يتوق توقاً شديداً الى

يفكر جدياً في

يتأثر تأثراً عميقاً بـ

يُفضي بسريرة نفسه الى

يعمدُ الى الصراحة من غير

تحفّظ ، واعياً بسحر المداهنة ..

شيءٌ يذكّر بالعالم بين فخذيْ ديانا

حين يهلوس كصرعات ستار

في نافذةٍ آخر بيتٍ يغيب .

كل شيءٍ صفةٌ من صفاته ، ويخفيه عنّي .

لذلك أجري بركبتين في كل منهما نرد لا يعرف الأستقرار

بين الليل وأيدي اللصوص الدربة .

البنك المجاور للفندق

أشهرَ إفلاسهُ و «خوزيه» ، اللص الصغير

ينام في النهار عند قدميَ أخته العاهرة

في الجانب الشرقي من « تخوانا »

البلدة المشهورة بالبغايا والقديسات

وبعض الطيور المتربة

هناك وجدتُ مصفاةً للأنتحار

في عينيْ ديانا بنيفيدس التي كلما تذكّرتها

نسيتُ ماذا كنتُ أريد

أن أقول .

قصيدة تولد في ليل واشنطن

(مع ميرين غصين وكمال بلاطة)

هل كان حتماً كلُّ هذا

هل فـُوضِيَت علينا هذه الليلة أيضاً

بمخدتها الحجرية ومركبها الذي يختار راكبه الواحد

حتى مصب القدرة والموت ؟

لم يكن المفروض إدانة هذا الصمت

بعنقود من الذكرى كعاصفة تأتي من بعيد للإعتراف

ولا إدانة شبرٍ واحدٍ ، قصبة واحدة

لكن المحكمة ترفض إن تنفضّ والشاهد مقيدٌ

الى قطرة الدم الأولى ، فلا ذلك الخطّ الجميل من السقوف

يطوي نفسهُ أخيراً كشفرة تعبت من تجريح الهواء

ولا هذا الدخان ينسى نارَهُ في خندق الذاكرة.

هناك حتماً سقفٌ مائلٌ يدعو المسافرَ

كالكفّ الى العودة، هناك الديك

الذي يحمل عُرفَه على سقفٍ هارب في بيروت

كجمرة النبوءة والله مازال يعيش تحت مظلة الحرب

حيث يلعب الأطفال في الغبار

والبريق الأبيض للساعة الثالثة ، تناديهم أمهاتٌ على عَتَبات

أبلتها أحذيةُ القرويين الكبيرة ، لمعّتها خطوة الضيف ،

تعالوا أيها الأطفال، عودوا الينا ...

ما لون النجمة التي لا تعرف كيف تغيب

لماذا لا تسقط خطانا على حتفها هذه المرّة

وماذا أفعل الليلة في مطعم « إل كاريبه » ،

في « كافيه دوباري »

هنا حيث القشّةُ تسمح أحياناً

ان يركبها الغرقى

(واشنطن 7/ 7 / 1981)

هنا ينتهي العالم المعروف

هنا ينتهي العالم المعروف، أنا أيضاً

جئتُ من مناجم الملح، تركت الأسنان علاماتها

الفارقة في عظامي، حيث يتساقط الكلس عبر العصور.

تعلمتُ كيف أحتفظ بحرارة سرٍّ أنسانيٍّ صغيرعميقاً في

جيوبي

بقبضتيّ المتشنجتين، كأنما على نقودٍ نادرة

لن أشتري بها شيئاً في دكان الأرض، بينما الفئران تلعق

أسرارها

على موائد التاريخ الطافية وحدها

كأرخبيل من الجزر تحكمه أسنان شوكة.

هذه الحياة عندما أيقظتني بزئيرها المنتحبِ ، نسيتُ

الى الأبد كيف أعود الى النوم .

يسحق الجبلان،أخيراً ، بعضهما .

الليالي مثقوبة بالطلقات الطائشة ، قبلتكِ نوعٌ

من التطواف .

وحيث تحلّق الغربان ، بهذا البطء الستراتيجي، لابدّ

أن تكون هناك بقايا معركة خاسرة .

كل خروف يتيه عن القطيع، ينقلب ذئباً .

القارب انسلّ خفيةً

وأخذ يجذف نفسه عبر النهر.

وبينما ترقد في سريرك ، يركضُ نعلاكَ وحدَهُما في طُرق

الوطن .

وداعاً أيها الألف: تتلعثم أسلاك اللغة ، والخطى

تتفرّق ، دجاجاتٍ مذعورةً أمام دبابّة

تحرث قريةً هي مركز الرحلة .

يحمل الصباح الى أبواب القرية على محفّةٍ

من عظام محظياتك ، وهذا هو مركز الرحلة .

أذا أردتَ أن تصيدَ

سيحضرُ العصفور!

جميع النوافذ مشرعةٌ بإتجاه الريح

كلُّ جملةٍ تأتي وهي تنوءُ بحمْلها ، قافلةً

من الجِمال تحملُ عروساً الى خليفة.

عليك أن تخطو إذاً

كمن يصُوِّب مسدسه بعناية لأنه لايملك الا طلقةً

واحدة.

كلّ من تاق

لكل من سمع الأغنية ، نائيةً

لكن غيرَ خافتة ، خاملةً ، لكن خمولَ شعلةٍ

يجدلها في نومه حتى إذا كانت المحطاتُ باردةً ، متباعدة

والنيران قليلة

تبدأ من فوران الرقصة كلما اينعت في أرجل العشاق،

أينما شككّت اوتادها –

لكل من سمعها ، لكل من تاق الى سماعها أقول أن

السيولة

صفةٌ من صفات اليقين والمحطات تتوالى حتى اذا توقف

القطار..

الأتجاهات تشابكت

والرياح

نسيت أن تفرّقها ، سجّانك مخمورٌ في حديقته

والليل من خلفك يميل موزّعاً أنجمَهُ كأحرفٍ في كتاب.

ملاحظات على القصائد

كتبتُ هذه القصائد في السن وات الأولى من حياتي في أم يركا أي خلال الفترة الممتدة من 1969 الى 1982 وهي بهذا تتقاطع وتتزامن مع كثير من القصائد التي ظهرت في كتابي الأول **الوصول الى مدينة أين** الصادر سنة 1985 في أثينا حيث كنتُ أقيم وأعمل منذ 1983 . فهي نتاج مرحلة واحدة تقريباً بدت لي فيها جميع منافذ الكتابة بالعربية، لأول وهلة، مسدودة في وجه التجربة الجديدة التي كانت تكتسحني آنذاك والتي توقفت عن الكتابة زمناً ، لأنغمر فيها بكامل جسدي ومخيلتي وأمضي بها الى النهاية . ولم تكن لدي في هذه الأثناء أية رغبة محددة (أو بالأحرى ، همة مناسبة) للتواصل مع عالم النشر أو التركيبة الثقافية العربية بأكملها التي كنت أراها ، آنذاك ، بعين أودن الساخرة عندما قال في قصيدة له : ((يتكلمون عن فن الملاحة، بينما تغرق السفن)) . وكان من الممكن أن يستمر كل هذا لولا أنني تلقيت فجأة، كأنما من زرقة المجهول، رسالة جميلة من أدونيس (تبعتها رسائل أخرى فيما بعد) بيد سيدة زارته في بيروت سنة 1972 ومن جميل الصدف أنها كانت تعيش في سان فرانسيسكو، بحثت عن عنواني الى أن وجدته ذات يوم . وهكذا بعثت الى أدونيس بتلك القصائد ، التي بدأت تظهر تباعاً في مجلته (مواقف) وفي مجلات وصحف عربية أخرى . قلت أنني توقفت عن الكتابة زمناً، لعامين أو أكثر، من 1973 الى 1975 على الأرجح، سافرتُ فيهما الى أ ميركا اللاتينية وأوروبا ، عشتُ بضع مغامرات وزاولتُ مهناً عديدة . قطيعة شبه كاملة ما زال صدى وقعها يرن في أذني كقافية صارمة مع كل ما كنت أعرفه من شعر مكتوب بالعربية ، في الحاضر أو الماضي ، ومن ضمنه كل ما نشرته أنا قبل ذلك ولم أجمعه الى اليوم في كتاب . وحاولت، عندما عدتُ الى الكتابة ثانية ،أن أعبر عن ذلك في قصيدة طويلة نسبياً عنوانها **حانةالكلب** كان هذا العنوان قد خطر لي ذات يوم وأنا أسوقُ سيارتي في شارع ((إل كامينو ريال)) EL Camino real أي (الطريق الملوكية) وهو أطول شارع في ولاية كاليفورنيا يمتد من سان فرانسيسكو الى لوس أنجليس ، ويرمز الى الطريق التي سلكها كهنة المكسيك الى أديرتهم المقدسة في كاليفورنيا (التي كانت تسمى كالافيا وتعتبر جزءا من المكسيك) وهم ينثرون بذور الذرة أينما خيموا ، أو شيء من هذا القبيل لم يكن ذا مغزى جليل بالنسبة الي في حالتي تلك لولا أنني لاحظت في الطريق بالصدفة ، يافطة على باب بار أسترعت أنتباهي للحال لفرط غرابتها وتوقفت عندها كأنني وجدت سر أميركا أخيراً : (حانة الكلب) . حرفياً ، حانة الكلب على طريق الملوك . والملوك هنا طبعاً يقصد بهم ملوك الروح مما يزيد طين المعنى بلة ذلك المعن ى

الجديد المتأرجح بين الكلبية والقداسة، بين حضارتين متضاربتين ، عالمين بينهما فروقات شنيعة كتلك التي بين أميركا الشمالية والجنوبية، أو بين الغرب والشرق.
هكـــذا عـــدتُ الى الكتابـــة ثانيـــة، وكانـت (حانـــة الكلـب).
وإذا كنت أخترت للكتاب عنواناً مستوحى من (رومي) فأنما لأنني، في هذه الفترة بالذات وأنا أقرأ بالأنكليزية – بعد آخر للتغريب – في ترجمات آربري و إدريس شاه خصوصاً في كتابه ((طريق الصوفي))، كنت معجباً لا بصوفيته التي لم تكن تهمني في نهاية الأمر لمجرد كونها صوفية حسب ب ل بطريقة قوله للأشياء : تغريب العادي ، المسلم به ،المؤسس على الثقة وخاصة رموزه المستقاة من التراث الديني عن طريق قذفه في فضاء الحكمة الأنتشائية التي لا يهمها بالنتيجة الصواب المنطقي لما يقال بقدر ما يهمها توظيفه في مجال الوثبة الشعرية (بالنســبة الي)، الروحيــة (بالنسبة الى رومي) التي تريد ان تعبر بالقول الى الجهة الثانية من الكلام .وأذكر هنا إن يوسف الخال في بيروت فاجأني ذات مرة وجعلني أصحو قليلاً كأنما من أغفاءة قلقة في مركب سكران عندما وبخني بشدة على قصيدة نشرتها آنذاك (ربما في 1968 في مجلة "الجامعة" البيروتية) تحت عنوان ((سكين الحلاج)) بأن سخر صراحة من محاولتي الكتابة عن مواضيع صوفية ونصحني أن أترك ذلك لأصحابه وأن أمضي في طريقي الخاص وأكتب عن عالمي أنا وبلهجة لبنانية قاطعة في حكمتها التعبيرية لم أنسها الى الآن : ((شو بدك بهيدي القصة !)) كان كل من يوسف الخال وأدونيس بالنسبة الي شعرياً وأنسانياً قدوة نادرة وضوءاً كنت وما زلت أهتدي به وأعتبر نفسي محظوظاً بل أحصي بركاتي لأنني التقيت بهما في تلك الفترة الحرجة من حياتي فأنا أعرف الآن، كم حاسمة يمكن أن تكون لقاءات كهذه، بالنسبة لأي شاعر في بداية حياته الشعرية، وما إهدائي هذه القصائد اليهما سوى بادرة أمتنان متواضعة متأخرة أرجو أن تفي بقسط صغير من دين كبير . كان حلمي المثالي أن أجمع هذه القصائد مع تلك التي ظهرت في كتابي الأول بحيث تؤلف معاً مجموعة واحدة تمثل تجربتي الشعرية بكل زخمها وأبعادها مذ غادرتُ بيروت الى نيويورك في آب 1969. لكنه بقي مجرد حلم وكلما أردت العودة الى تمشيط دفاتري وأوراقي لاختيار مالم ينشر،وجمع مانشر، وجدتني أفضّل التركيز على نشر الجديد من شعري ،وهكذا من كتاب الى آخرحتى كان أكثر من ربع قرن قد أنقضى على كتابة بعض هذه القصائد، وطيلة هذه الفترة ظل هذا الهاجس كامناً ينتظر، ويلح علي بين حين وأخر، في تقلبات الحياة وهديرها ،كصخرة تعترض التيار . ومنذ بضع سنوات بدأ صديق لي يجمع ما نُشر من هذه النصوص ويطبعها من جديد مع النصوص الأخرى غير المنشورة، ولايترك فرصة تفوت دون أن يحرضني على وضع اللمسات الأخيرة ،أن كان هناك شيء أسمه اللمسات الأخيرة ،على الكتاب .هذا الصديق هو الشاعر خالد المعالي الذي لولا أختراقاته المتكررة

لستائر مماطلتي الكثيفة لما ظهر هذا الكتاب الى الوجود بشكله الحالي، ولربمـــا ظلـــت مخلوقاتـه نائمة في مركـــب نوح الى أجل آخر، غير مسـمى.

س.ب

شوبنغن- المانيا

أوكتوبر1997

ظهرت معظم هذه القصائد في المجلات والصحف التالية :

مواقف (بيروت) : دليل الى مدينة محاصرة ، إرشا (في الطريق الى الجمرة) دات، حانة الكلب، مسافرون الى اللحظة التالية ، أودية الرسالة ،أوامـر من الغد، هنا ينتهي العالم المعروف .

تحولات (بيروت) :بقيت هذه الطريق ،في حديقة سعدي الشيرازي ،ريشة ،حالة إنذار، في وسط الولادة .**النهار** (بيروت) : المحظية ، الرغبة والموت في مدينة مكسيكية صغيرة ، يخرج القاتل ،أكتشافات ومعجزات (تحت عنوان "الحظ في قلعته الصغيرة").

الثقافة الجديدة (الدار البيضاء) : قارب الى ألكتراز، إعدام صقر(ظهرت أيضاً في **"اليوم السابع"** ، باريس) .

السفير (بيروت) : رسالة .

كلمات (المنامة ،البحرين) :إيفان إيلليتش في زيوريخ .

فراديس (كولونيا) : اللكمة .

النقطة (باريس) : مشهد بأتجاه واحد (على شكل بطاقة معايدة) .

وظهرت "قصيدة تولد في ليل واشنطن" بخط اليد وبالأصل العربي ،

في مجموعة للشاعر مترجمة الى الأنكليزية حررتها وقدمت لها ميرين غصين

تحت عنوان **Arrival in Where-City** صدرت في واشنطن سنة 1981 .

عَظمة أُخرى لكلب القبيلة

« المدينة التي ليست لها كلابُ حراسة
يحكمها ابن آوى » .

مثل سومري

I

1

الكرسي

كرسيّ جدّي مازالَ يهتزّ على

أسوار أوروك

تحتَهُ يعبرُ النهر، يتقلّبُ فيهِ

الأحياءُ والموتى

أبي في حراسة الأيّام

لم تكن العَظمة ، ولا الغُراب

كانَ أبي ، في حراسة الأيام
يشربُ فنجان شايه الأول قبل الفجر ، يلفّ سيجارته الأولى
بظفر إبهامه المتشظّي كرأسِ ثومة .

تحت نور الفجر المتدفّق من النافذة ، كانَ حذاؤهُ الضخم
ينعسُ مثل سُلحفاة زنجيّة .

كان يُدخّن ، يُحدّقُ في الجدار
ويعرفُ أنّ جدراناً أخرى بانتظاره عندما يتركُ البيت
ويُقابلُ وحوشَ النهار ، وأنيابَها الحادّة.

لاالعَظمة ، تلك التي تسبحُ في حَساء أيّامه كأصبع القدَر
لا ، ولا الحمامة التي عادت إليهِ بأخبار الطوَفان .

حَصاة

في اليوم التالي للطوفان
صباحٌ راكد ، وفي قعر العالم دمعة ، متجمّدة
مثل حَصاة يتيمة .

يذهب الإعصار بكلّ شيء ، بالنخلات والبيوت
بالقوارب والدرّاجات والمنائر ، وتبقى

هذه الحصاةُ في مكانها ، متألقةً بَخُفوت
لأنّ يدَ الأبديّة لمّعتْ صلعَتها كماسحِ أحذية الربّ :

ها هيَ تحت قدَمك ، دُس عليها إذا شئت ، ادعسْ بقوّة .

ثمّ اعبُرْ . لاتخَفْ .
إنها ، بين الحَصى ، ليست أكثرَ من حَصاة .

حَمّالُ الكلمات

صوامعُ تنهارُ بنُسّاكها المُلتحين إلى الهاوية

وفي الشارع يعبرُ الحَمّالُ وعلى ظهره آثاثُ بيت :

سَجّادةُ كاشان ، طابعة عربيّة ، ستائرُ مخمليّة ، هَرمٌ من الكراسي .

في غدير الصباحِ أحرّكُ سرّاً أخضرَ ، مثلَ ضفدع ، بإصبعي .

أكتب كلمةً واحدة في دفتري ، وأغلقهُ . حركةٌ تكفي

لكي تتغيّر الدُنيا .

سقط الرجل

في وسَط الساحة

سقطَ الرجُلُ على رُكبتيه .

- هل كان مُتعَباً إلى حدّ

أن فقدَ القُدرة على الوقوف ؟

- هل وصلَ إلى ذلك السدّ

حيث تتكسّرُ موجةُ العُمر النافقة ؟

- هل قضى عليه الحزنُ بمطرقةٍ يا تُرى ؟

هل كانَ إعصارُ الألم ؟

- رُبّما كانت فاجعةً لايطيقُ على تَحَمّلها أحد .

- ربّما كان ملاكُ الرحمة

جاءَ ببَلطته الريشيّة عندما حانَ لهُ أن يجيء .

- ربّما كان الله أو الشيطان .

في وسَط الساحة

سقطَ الرجُلُ فجأة مثلَ حصان

حصدَوا ركبتيه بمنجل .

المظروف

((أقضي حياتي جالساً مثل ملاك في كرسي حلاقٍ))

رامبو، ((صلاة للمساء))

قد يقولُ لي أحدهُم ، وقد لايقول :

تعال رجاءً ، قُل لي ما هي القصّة .

ما هذا المظروف على المائدة .

تقـَّطرُّات الشحم المائع

من ذكرى جُثة الغائب ، صنـّارةُ الصيّاد

في غلاصم السمكة – ماهي القصّة .

- أذهبُ إلى البحر في هذه الأيّام

لأنني مريض ، أحتاجُ إلى أنسَام عليلة .

أجلسُ في مقهى على الرَمْلة

متطلـّعاً إلى الصخور عندما تغربُ الشمس .

لا أحدٌ يأتي هنا. أحياناً ، إمرأةٌ وكلبُها . صيّاد عجوز.

نوارسُ تطفو في الهواء ، مناقيرها

البرتقاليّة ، عيونها الصفراء ، ترصدُ البحر

وبين حين وآخر قد تحظى بسمكة

تَشي بها حراشفُها الساطعة تحت الماء.

أشرب بيرتي على مَهلي ، ثم أمضي

في سبيلي . لن أعرفَ أبداً ما هي القصّة .

لن أفتح المظروف .

الزُّهر والله وآينشتاين

((الله لايلعبُ بالزهُّر مع الكون))

آينشتاين

اللحظةُ التي أعيشُ من أجلها طوالَ يومي
وحينَ ينتهي ، تتلاشى . تهربُ من بين يديّ كطائرٍ
بلا رأس أفلتَ من قفص النسيان ، ناسياً في عُشّه بيضَتَهُ الأخيرة .

لحظة المواجهة الصارمة مع مخلوقات الواقع الجارح
كومةِ المخالب والمسامير ، أعيُنِ الصقور الوامضة بفوسفور الليالي
فأسِ التتريّ المقذوفة من على ظهر الفَرَس ...
ما زالت تطيشُ منذ ألف سنةٍ في فضاء أيّامي .

اللحظةُ التي لم تُحَمَّض ، صورةُ الوَجد الذي
بقيَ راشحاً في ظلام الوقت . الوقتُ الذي لم يَحِنْ .
لم تأتِ النحلةُ لتمتصّ العَسل ، لم تمتلِيء القفائر . ذهَبُ الوقت .
شُهدُ الزمان . سبائك تتقطّر بين أصابعي ، ألعقها وأنا نعسان .

أنا العاجزُ عن النوم في كونٍ كلـّما ألقى الله على ظهره بالزُّهر
ولدتُ من جديد . تطوّحَ موبي – ديك في البحر
شاهراً بياضَه القتّال ، أبيضَ كالحقيقة

وآخاب المعتوه يدفنُ حَربتهُ الصدئة في جنبه ما زال . كتابُ الليل ينفتح

كلما ألقى الله على ظهر هذا الكون بالزُّهر

يا سيّدي آينشتاين ...

تحت نافذتي ملاكان ضيّعا طريقهما إلى الجنّة

يناماِن مُتعانقين ، يُغطّيهما الثلج .

لحظةٌ أعيشُ من أجلها طوالَ يومي ، وحينَ ينتهي ، تتلاشى .

فجوة الأزمنة المتاحة

لا حدّ لهذا الهُجران ، أزاولهُ
كأنه عادةٌ مُزمنة ، أثقلَ من فيلٍ هَرم يتربّع في
مَرْجةٍ محصودة بلا عشبة ، وفي فجّوة الأزمنة المتاحة لي

أظلّ بنصف وجهي لأشهدَ أيامي المدفوعة وراء القضبان
تتمرّغ في طين الإمكان مثل عصفورٍ يتمَرْغَلُ وسط بركةٍ ضحلة .

وها هي ذاكرتي التي لم تُرد أن تصير كيساً تلقي فيه الآلهة
فضلاتها المتبقّية من عشائها الأخير ، تؤرّثُ نارَها .

ها هي تخطيطاتُ دماغي المهزوزة في آخر الليل
على صفحات دفتر أسود تركتهُ خلسةً تحت باب المحكمة
حيثُ ينتظرُ الشاهدُ القرويُّ في قصّة كافكا أن يفتحوا له الباب .

أجلجلُ هذه المفلتيح لا لأنني سجّان ، بل لأنني
أنا من يفتحُ الأبواب ، ولايعرف كيف يغلقها ، وينام .

مايُحتمل أن يكون

يُحتمَلُ أن أكون أنا من يمشي طائعاً أمراً ، من فوق أو تحت ، جاءني لا أدري متى .

مَن جاءني ، من يأمُر : هذا ما لا أدريه . ولا أُعنَى بأن أدري . ماشٍ ، في الريح الشائكة ، يُخدّشُ الهواءُ جلدي .

هذا العالمُ حديقةُ أشواك.

يُحتملُ أن أكون أنا السائر ، وذكرياتي على ظهري مثلَ خِرجٍ أو بُردُعَة ومن حولي تاريخُ أهلي يُلملِمُ تحتَ جنح الظلام ،على

عجَلٍ ، كرايةٍ مهزومة .

تَحَفُّزي ، الذي انفقأ مثل فقاعة في غدير آسن ، يستحثّ الضفادع ، قبلَ صلاة المغرب على النقيق .

شَللُ أطرافي إشاعةٌ صحيحة .

يُحتمل أن أطيل شَعري حتىّ تضربَ لحيتي ركبتيّ . وأن أقنّعَ وجهي بلحية نبيّ .

أو ربّما أكتفي بسرّ عاديّ ، لايُثيرُ حفيظةَ السَّحَرة

ورجال الدين المتربّصين بأنفَهِ شارة تصدرُ عنّي ، ولا يدفَعُ دروِيشَ
المحلّة

إلى حافّة الهوّة حيثُ يحلمُ ، كعبّاس بن فرناس ، بالتحليق .

يُحتملُ أنني ، رغم كلّ الظواهر ، مجرّد رُقعة بشريّة تتنقّلُ في جُغرافيّة
الألوهة العاقر . أو بيدقٌ ربّانيّ تحرّكه يَدٌ مجهولة
على رقعة شطرنج .

يُحتملُ ... يُحتملُ أنّ آدم لم يُطرَد من الجنّة ،وحوّاء داست بقبقابها
على رأس الثعبان .

هذا ، عادةً ، ما يحدثُ في الليل ، عندما تحلمُ بما يكون
أو يُحتَملُ أن يكون .

إلى الملكوت

من رُزءٍ إلى كارثةٍ إلى مصيبة
من قصيدةٍ إلى أخرى ، أعضلُ في طريقي
إلى الملكوت : جلجامش بعد أن عادَ من زيارة إلى « ذلك النائي »
لا في يدي نبتةٌ سحريّة ، ولا في قاع دجلة
ثعبان ينامُ راضياً بما استعاد .

من قمّةٍ إلى قاعٍ إلى مَشْتَلٍ لأرزاءٍ جديدة
أسلكُ هذا الزقاقَ المؤدّي إلى سَبخة تَلطأُ فيها أزبادُ الماضي
والحاضرُ الزافرُ في وجهي يتلظّى ، مقتلاً بعد آخر ...

أنتَ الزاحفُ من يومٍ إلى آخر
نحو بؤرة الطوفان ، نحو الوكر الذي
يتخبّأ فيه صائغُ الصيغة ، سيّدُ اللعبة ، رامي النَرْد
على لوح الخشب الملطّخ بالدم ، أنت الماضي من الوهم إلى
الحقيقة .

وأي إلهامٍ يمكنُ لهُ اليومَ أن يأتيني محسوباً لا بالكلمات
محسوباً ، بنبضةٍ هنا ، بجُرحٍ هناك .

من ، إذا ما جاءَهُ الخبَرُ، لن يتعوّذ لاعناً من رَبْقة الأخبار .

الملاك الحجري

حتى ذلك اليوم الدّي لن أعودَ فيه

إلى قصديرِ الأيام المحترقة ، والفأس المرفوعة

في يد الريح ، أجمعُ نفسي ، بكلّ خِرَق الأيام ونكباتها ، تحتَ

سقفِ هذا الملاك الحجري .

هذا الحاضرُ المجَنَّح كبيتٍ يشبهُ قلبَ أبي

عندما سحَبتهُ المنيّة من رسغه المقيَّد إلى جناح الملاك

في تُراب الملكوت .

حتى ذلك اليوم ، عندما يصعدُ العالمُ في صوتي

بصهيلِ ألف حصان ، وأرى بوّابةَ الأرض مفتوحةً أمامي

حتى ذلك اليوم الذي لن أعودَ فيهِ

مثلَ حصانٍ مُتعَب إلى نفسي ، هذا الملاكُ الحجريّ :

سمائي ، وسقفي .

إلى سيزار فاييخو

((من بين أسناني أخرجُ داخناً ،

صائحاً دافشاً ، نازعاً سروايلي ...))

سيزار فاييخو ، ((عجلة الإنسان الجائع))

يا سيزار فاييخو ، أنا من يصيح هذه المرّة .

إسمح لي أن أفتح فمي ، وأحتجّ على الدم الصاعد في المحرار

دافعاً رايةَ الزئبق إلى الخلف . لتصطكَّ النوافذ ، لتنجَرَّ ميتافيزياء الكون

إلى قاع الأحذية الفارغة لجنديّ ماتَ بحَربته المعوجّة .

((عجلةُ الإنسان الجائع)) ما زالت تدور ...

من يوقفُ العجلة ؟

قرأتُك في أوحَش الليالي ، لتنفكَ بينَ يديّ ضمادات العائلة .

قرأتُ عواصفكَ المُتململة حيثُ تتناوَمُ الوحوشُ في السراديب

حيثُ المريضُ يتعَكّزُ ، على دَرب الآلام ، بعَصا الأعمى الذي رأى ...

وفي هذا المساء ، يا فاييخو ، تعلو الأبجديّات وتسقط . المبنى ينهار ،
والقصيدة
تطفيء نجومها فوق رأس الميّت المكَلّل بالشوك . ثمّة ما سيأتي

ليسحبَ أجسادَنا على مَجراهُ الحجريّ كاندفاعة نَهر.

ثمّة حجر سيجلسُ عليه شاعرُ الأبيض والأسود في هذا الخميس .
واليوم ، أنا من يصيح .

2

يدا القابلة

ومن غير أن نولد ، كيفَ نحيا مع الريح
دونَ كفالات : يدُ النوم مُدْلاةٌ على مَهد الوليد حتّى
تأتي الظلال .

الصدى يعرفنا ، آتياً من وراء العالم .

تعرفنا خادمةُ الله
هذه التي تمدُّ جسراً بين دُنيانا والآخرة .

الريحُ ، والظلُّ ، والجسر
وبيوتٌ خشبيّة تترنّحُ قبل مجيء الإعصار .
مَسقطُ الرأسِ هذا ...

وجهُ الحياة القَلِقُ ، حيث ترتعدُ الولادة
ويسقطُ الجنينُ صارخاً بين يديّ أمّ يوسف ، القابلة .

قصر ملك الظلمة والنار

زرقاءُ قشرةُ الأرض ، مرئيّةً من الفضاء
(هذا ما يقولهُ «رُوّادهُ») رغمَ أنّ الجحيم كما نعرف
تَغلي في أحشائها ، سُفُلاً ، حتى العَظم ، وقصرَ مَلك الظلمةِ والنار .

وعلى السطح ، حياةٌ جاريةٌ ، حلمُ السماءِ للفقَراء
يُغلقُ ويُفتَح ، كمظلّة في الصحراء ، جفنَ عينٍ لاتُغمضُ عن أخطائهم
الصغيرة ، ولا لحظة .

والمَنُّ لن يسقطَ إلاّ على رأس السائر
تحتَ نجمة الغُفران !

قيلَ أنّ القديسَ جيروم كانَ يَقتاتُ في صحرائهِ على الجَرادِ والندى

وأنّ الله في كرسيّه المُرصّع بالجواهر
كينونةٌ تُصغي إلى مانقول ، والحبّ ملاكٌ مُتشرّد ينامُ في خَميلة

يستدعي طائرَ الهجرة ، يُذيبُ شمعةَ اللُغز ، يجرُّ الكلمة
من شَعرها ، يُغلقُ القبرَ على الميّت ...

يأتي.

من الصُدفة

مِنَ الصُدفة ، من اصطدامها بالوقيعة
أن تنتهي الحكمة مستقيمةً كشاقولٍ بباب الريح
والعَقلُ رقيّارُ أسمالٍ في صندوق زبالة الفيلسوف .

ومن الصُدفة ، من انصدافها ، أن أكون ، أنا
السائرُ بلا هدَفٍ محَدَّد ، دائراً هنا كثَور الطاحون
حولَ محوَرٍ أشبه بالساريِ، مرفوعةً ، بلا عَلمٍ ، وسطَ حياتي .

في الليل وحده أستطيع أن أنادي
من أريدهُ أن يُنادمَني ، إلى هذه المأدبة الصغيرة في عَراء أيّامي .

الطينُ ، والجلدُ ، هنا . طينٌ يغوصُ فيه زُعنفُ تيامات
جلدٌ يَتسلـّخُ عن صلعةِ إرليل . أنا المنتظرُ في بيت الخراب
هنا حيث تجتمعُ الغربانُ والبيارقُ السوداء والعماماتُ واللّحى
في شجرة الأنبياء اليابسة .

هنا ينفتحُ البابُ على شَذرةٍ من عماي .

أهذا يعني أنّ ناري ما زالت تلهو بالخشَب ؟

أنا كنّاسُ السماء ، ومكنستي المضلَّعة ، من ريش أوهامي

المختَبَرة بالنار ، وقشٍّ جنوني المُتذرّي في كلّ هَبّة من هذه الريح

هل من الممكن أنني أنسيتُها سرَّ القُمامة ؟

ينفتحُ الباب ، وأرقدُ بكلّ حجمي في قلب الليل المريح مثلَ سرير .

جسدي الحيّ في لحظته

النوافذ مُغَطّاةٌ بستائرها المُخَرَّمة ، وأنا
راقدٌ في سريري ، بؤرةً لشَذراتٍ آتية من باطن أرضي أنا ، جسَدي
الحيّ في لحظته ، هذا التنّور الذي لا يكفُّ عن تَدوير الأرغفة
للجياع المزدحمينَ على بابي .

وجهي مُعلّى للسماء وما من زاويةٍ للترجّي
شَعري مُعَفّرٌ بأتربة الشمس ، والهواءُ يدخلُ قمرات سفينة
أبعثُ بها إلى البحر ، بين آونةٍ وأخرى ، مصنوعة من كلماتي .

كلماتي المليئة بالنذائر ، والنُذر ، ومفاجآت أيّامي .
هي الأثقل من تُراب قبر أبي المجهول في مسقط رأسي .

لا ، لستُ الطريحَ الذي قد تتخيّل ، على سرير انعزالاتي
أبعدَ من أن تصلني صيحاتُكَ المجيدة .

النورُ يُملّسُ وجهي ، والرؤيةُ قد تُحيلُ جدرانَ غرفتي
إلى مسرح ورَقيّ ، يُشعلُ فيه النارَ عُودُ ثقاب.

يدي قد تُسقطُ حِمْلها من الكلمات على هذه العتبة المغطّاة بالخطى
وتُبَعثرني ريحُ الربّ الغاضب المترنّح في مسيرتهِ عبرَ الصحراء كحَفنةٍ
من الحنطة .

(آه ، يا أوجُهَ التواريخ الجريحة !)

هذا أنا : صوتُ أجراسي الخفيّة في اللحم ، أعلى من عاصفةٍ وشيكة .

الناجي

قاموسُ الندى ، مُعجَمُ الأنداء الساقطة

عبرَ الأفق المجَمَّرعلى وجهي : أنا قيلولةُ ذاتي .

أنا ظهيرةُ أيّامي . أنا لستُ سوى هذه الصفحة المحترقة بنظرتي .

الريحُ وحُنجرتي : أنا من يُنادي بين سارية المستقبل ، وراية الماضي .

أنا العَبدُ . أنا العاجز ، بعُكّازينِ تحتَ إبطيَّ أعرجُ نحو المنتهى

يتبعني الموتُ بأرجُلِ عنزةٍ سوداء .

تتبعُ رأسي حربةُ الساحر ذاتُ الرأسين

وأعرفُ أنني ، رغمَ هذا ، سأنجو لأروي الخبَر على الأحياء .

لحظة الجندي

تلك اللحظة التي أشِكُّ فيها حَربتي الصدئة

جانبيّاً ، بلا هِمّة ، في جَنب المسيح

هو الذي يحتقرُ إمبراطوريّتي ، وروما ، كلَّ روما ، بنظرة

أنا الجنديّ التافه الذي قد يذكرهُ التاريخ بكلمة أو كلمتين

لأنهُ أهانَ النبيّ ، ألبَسه تاجَ شوكه ، سَقاهُ خَلاً ...

أنا الدودةُ الحيّة في تُفّاحة العالم.

تو فو في المنفى

((دُخان الحرب أزرق

بيضاءُ عظامُ البشَر)).

تو فو

قريةٌ يَصلُ إليها **تو فو**

دَسكرةٌ فيها نارٌ تكادُ تنطفئ

يَصلُ إليها عارفاً أنّ الكلمة

مثل حصانه النافق ، دون حَفنة من البَرسيم

قد لا تبقى مُزهرةً بعدَ كلّ هذه النَكبات **!**

كم ساحة معركة

مرّ بها تصفُرُ فيها الريح

عظامُ الفارس فيها اختلطتْ

بعظام حصَانه ، والعشبُ سرعانَ ما أخفى البقيّة **!**

نارٌ تتدفّأ عليها يَدان

بينما الرأس يتدلّى والقلبُ حَطب

هو الذي بدأ بالتّيه في العشرين

لم يجد مكاناً يستقرّ فيه حتى النهاية .

حيثما كان ، كانت الحربُ وأوزارُها .

ابنتهُ ماتت في مجاعة ...

ويُقال في الصين أنه كانَ يكتبُ كالآلهة **!**

قريةٌ أخرى يصلُ إليها **تو فو**

يتصاعدُ منها دُخانُ المطابخ

وينتظرُ الجياعُ على أبواب مَخبَز .

وجوهُ الخبّازين المتصببة عرَقاً ، مرايا

تشهدُ على ضَراوة النيران .

تو فو ، أنت ، أيها السيّد ، يا سيّد المنفى .

محمود البريكان واللصوص في البصرة

حَبلُ السُرّة أم حبل المراثي ؟

لا مَهرَب : فالأرض سترتبطنا إلى خصرها

ولن تترك لنا أن نُفلتَ ، مثلَ أمّ مفجوعة ، حتى النهاية .

كلّ يوم من أيامنا ، في هذه الأيام ، جمعةٌ حزينة !

ويأتيني ، في الجُمعةِ هذه ، خبَرٌ بأنّ البريكان

ماتَ مطعوناً بخنجر

في البصرة

حيث تكاثرَ اللصوص ، وصارَ القتَلة

يبحثونَ عن ... يبحثون ، عَمَّ صارَ يبحثُ القتَلة ؟

حتى هذا الشاعر الوديع لم يَنجُ ، هو الذي

كان يعرفُ منذ البداية لونَ القيامة ، وهجرةَ الفراشة

نحو متاهةُ العالم السفلي ، حيثُ الليل ، والله ، واحد .

أكانت هذه معرفتك ، هل كان هذا سرّك ؟

كنتُ أراك ، أنتَ الملفَّع بغشاء سرّك

بين حين وآخر ، في مقهى ((البرلمان))

حديثنا عن رخمانينوف ، عن موتزارت.

واليومُ الذي أتذكّركَ فيه

اليومُ الذي فيهِ بالذاتِ أراك :

كنتَ اشتريت « صُوَر من معرض » لموجورسكي

من « أوروزدي باك »...

والله أعلَم كم كلّفتكَ تلك الأسطوانة

من راتبك الضئيل !

(سأسمِعُها ، في ذكراكَ ، اليومَ ، نفسي .)

سأصغي ... وها هو الخبَرُ يأتيني .

حبلُ السُرّة انقطع ، وامتدّ حبلُ المراثي .

إنه الليل . نَمْ ، أيّها الشاعر . نَم ، أيّها الصديق .

بورتريه للشخص العراقي في آخر الزمن

أراهُ هنا ، أو هناك :

عينُه الزائغة في نهر النَكبَات

منخراهُ المتجذران في تُربة المجازر

بَطنهُ التي طحنتْ قمحَ الجنون في طواحين بابل

لعشرة آلاف عام ...

أرى صورته التي فقدت إطارها

في انفجارات التاريخ المستعادة :

عدوّ يدمّرُ أور . خرابُ نيبور . يدمّرُ نينوى .

خرابُ بابل . يدمّرُ بغداد.

خرابُ أوروك .

صورتهُ التي تستعيدُ ملامحها كمرآةٍ

لتُدهشنا في كلّ مرّة

بقُدرتها الباذخة على التبذير .

وفي جبينه المغضّن ، مثلَ شاشة

يمكنك أن ترى طوابيرَ الغزُاة

تمرُّ كما في شريطٍ بالأبيض ِ والأسود.

إعطهِ أيّ سجن ٍ ومقبرة ، اعطه أيّ منفى ...

ستری المَنجنيقات تدكُّ الأسوار

لتعلو في وجهكَ من جديد.

وبأيّ وجهٍ ستأتينا ، هذه المرّة ، أيّها العدوّ ؟

بأيّ وجه ،

ستأتينا أيّها العدوّ ،

هذه المرّة ؟

عدوّ

عدوّي ...

أسنانـُهُ المعقوفةُ في أحشائي .

أسألهُ :

هل تـُريدني

أن أستسلم ، أن أعترف ؟

هل تريد أن تمتلك الساحة

تصولُ فيها وتجول ، هل تريد أن تكون السيّد ؟

أسألهُ

ولا أنتظرُ منهُ أن يُجيب .

عدوّي ...

جاءَ من الماضي

يجيءُ دوماً من الماضي

قبل تيمورلنك . بعد هولاكو . بعدَ الطوفان .

قبلَ الخراب .

بتاريخه الميّت

المُتَذرذر في الهواء ، بوجهه الذي يُغطـّيهِ الصدأ

بقلبه الذي لهُ شَكلُ خوذة

مليئة بالتراب .

وصلت الرسالة

قُلتَ

أنك تكتب والقنابل تتساقط ، تُزيلُ تاريخَ السقوف

تَمحقُ وجهَ البيوت .

قلت

أكتبُ إليك بينما الله

يسمحُ لهؤلاء أن يكتبوا مصيري . هذا ما يجعلني أشكُّ في أنه الله .

كتبتَ تقول :

كلماتي ، هذه المخلوقات المهدَّدة بالنار .

لولاها ، لما كنتُ أحيا .

بعد أن يذهبوا ، سأستعيدها

بكلّ بَهائها كأنها سريري الأبيض في ليل البرابرة .

أسهرُ في قصيدتي حتى الفجر ، كلَّ ليلة .

قلتَ : أحتاجُ إلى جبَلٍ ، إلى محطّة . أحتاجُ إلى بشَرٍ آخرين .

وبعثتَ بالرسالة .

الكمّامة

اليوم أريد أن تصمتَ الريح

كأنّ كمّامةً أطبقَت على فمِ العالم .

الأحياءُ والأمواتُ تفاهموا

على الإرتماء في حضن السكينة .

لأنّ الليل هكذا أراد

لأنّ ربّة الظلام ، لأنّ ربَّ الأرْمِدَة

قرّرَ أنّ آخرَ المطاف هذه المحطّة

حيثُ تجلسُ أرملةٌ وطفلتها على مصطبة الخشب

بانتظار آخر قطار ذاهب إلى الجحيم ، في المطَر .

II

1
أنا الذي

لا نأمةٌ

هل ماتَ من كانوا هنا ؟

لاكلمةٌ

تَردُ اللسانَ -

الإنتظارُ أم الهجومُ ؟

أم التملّص من ...

كهذا الصمت

حين أهيلُ جمرَ تَحفزّي حتى

يُبَلّدني التحامُ غرائزي : أرعى كثورٍ في الحقولِ

أنا نبوخذنصّر -

تُلقي الفصولُ إليّ أعشاباً ملوّثةً ، وألقي النَردَ في بئر الفصولِ -

لأجتلي سرّاً يُعذبني ؟ يُعذبني طوالَ الليل .

حتى صيحة الديك الذبيح .

لأجتلي سرّاً . وأسمع صيحةَ الأكوانِ ؟

(إنهُ مأتمٌ . قالوا لنا : عُرسٌ)

جيوشُ الهَمّ تسحبني

بسلسلةٍ

ويستلمُ الزمانُ أعنّةَ الحوذيّ –

تسبقنا الظلالُ . وراءَنا : كلّ الذين ، وكلُّ مَنْ .

*

[« **طالَ الزمَن** » ، قالَ الرجُل .]

*

شمسٌ على هذا

المُشَمّع فوق منضدتي :

نهارٌ لا يُضاهيه نهارٌ . مثلَ وجه الله تبقى

تحتَ عينيّ انعكاستُها ، وتخرقني

إلى قاعي كرمحٍ -

إنها شمسي .

ومَلأى غرفتي ، بيتي كقارب رَعْ

يُسافرُ في المتاهةِ

بالهدايا .

شمسٌ على صَحني

وصحني ، في الحقيقةِ ، فارغٌ :

حَبّاتُ زيتونٍ ، بقايا قُنّبيط ، عَظمةٌ ...

ما زادَ عن مَطلوبنا ، تلك البقايا -

نُتفةُ في كلّ يوم ، قشرةٌ

نـُلقي بها في لـُجّة التيّار : يبقى الصحنُ . والسكين .

تبقى شوكةٌ . أبقى ، وجوعي ، تـُخمتي .

*

الشمسُ أو ليمونةٌ

تطفو على وجه الغدير المكتسي

بطحالبٍ ألقي إلى أكداسها حجَراً

فتخفقُ ، مرّةً ، وتـُبقبقُ الأغوارُ – فـُقـّاعاتِ أوهامٍ مُبَدّدةً

رغاباً لم تـُجَسّدها الوقائعُ

جَمْجَماتٍ لا محلَّ لها من الإعرابِ-

أطماعٌ ، دهاليزٌ . وعودٌ بالعدالةِ؟

(بالسعادة **!**)

رَغوةُ الكلمات في بالوعة المعنى

تواريخٌ

وثمّة من يُفبركها ، ويشطبنا بممحاةٍ . . . . لنبقى.

*

[قالَ الرجُل : ((**فاتَ الأمَل .**

زادَ الألمِ)).]

*

شدّوا الضحيّةَ بين أربعةٍ
من الأفراس
جامحةٍ .

جُنودٌ يَسكرون . جنازةٌ
عبَرت وراءَ التلِّ . هل جاءَ
البرابرةُ القُدامى من وراء البحر ؟
هل جاؤوا ؟
وحتّى لو بنينا سورَنا الصينيّ
سوفَ يُقالُ : جاؤوا .
إنّهم منّا ، وفينا . جاءَ آخَرُنا
ليُضحكنا ، ويُبكينا . ويبني حولنا سوراً من الأرزاء .
لكن ، سَوفَ نبقى .
*

[هناك ، في بلاد باتاغونيا ، ريحٌ
يسمّونها « مكنسة الله »] .
ريحٌ أريدُ لها الهُبوبَ ، على مَدار
الشرق
في أسْماله الزهراءِ
والغربِ المدجَّج بالرّفاهِ : أريدُ أن أختارَها
لتكونَ لي

أن أستضيفَ جنونَها

إذ تكنسُ الأيامَ والأسماء

تكنسُ وجهَ عالمنا كمزبلةٍ

لتنكشف التجاعيدُ تحتَ

أكداسٍ من الأصباغِ

والدمِ ، والجرائم

والليالي .

أقبِلي ، ياريحُ .

مكنَسةَ الإلهِ ، تقدّمي.

*

قالَ الرجلُ . قالَ الرجُل .

لا تَرمِ في مُستنقعٍ حجَراً

ولا تَطرقْ على بابٍ

فلا أحَدٌ وراءَهُ ، غيرُ هذا الميّت الحيّ

الموَزَّع بَيْنَ بَينٍ في أناهُ ، بلا أنا

يأتي الصدى :

هل مااااتَ .

من كاااانوا.

هُنااااا ...

جاءَ الواحدُ الذي يقولُ ، والآخرُ الذي يَصمُت .

الذي يمضي ، والآتي من هناك .

بينهما كلمةٌ ، أو نأمة .

بينهما أنهارٌ من الدم جَرَتْ ، فَيالقُ تسبقها الطبول .
ولم يستيقظ أحَد .

بينهما صيحةُ الجنين على سنّ الرمح
في يدِ أوّل جُنديّ أعْماهُ السُكْر
يَخسفُ بابَ البيت .

بينهما مُستَفعلن ، أو ربّما مُتفاعلن ؟

لا
ليسَ بينهما سوايَ :

أنا الذي

من يعرف القصّة

أوشكَ هذا القَرنُ أن ينتهي

(بل انتهى : رمشةٌ من عين التاريخِ

الحَوْلاء ، وإذا به ... يَختفى)-

كيفَ بدأت ، متى تنتهي ، ضدَّ من هذه المعركة .

من بقيوا ، قرأوا الكتابةَ على الجدار .

من هاجرَ ، لم يجد الأرضَ الموعودة .

تَكلّمْ ، ماذا ستقول

أو لا تتكلّم ، واصغِ إلى الهدير .

إلى أيّ صوت يأتيكَ من هناك .

آنذاك ، يمكنك أن ترمي

بمفتاحك في البحر

طالما : لا القفلَ في الباب ، لا البابَ

في البيت ، ولا البيتَ

هناك .

زُرْ أرضَنا المنسيّة أحياناً .

زُر تاريخَنا المهَدَّم : الخاتمَ الذي

تـُريدهُ ، موجودٌ هناك .

بئرُ ابراهيم المهجورةُ ، حتماً هناك .
حتى المرأة التي عذبكَ البحثُ عنها ، تنتظركَ هناكَ الآن.

إفتحْ يديك . ضَعْ قلبكَ في المزاد . واسمع القصّة .

اليومُ آتٍ . لاحَصْرَ للعلامات .
الشعبُ يطلبُ خبزاً . كلّ رغيفٍ رايةٌ للحِداد .

التاريخ : في حالة الهارب من مُداهمةٍ وشيكة .
السبّاحُ ماهرٌ ، لكنّ التيّارَ أقوى .

الحزنُ في مَجراهُ العميق
يَطفحُ حَيّاً على ضفاف الصلوَات .

بائعُ الفتاوى وخَردوات اللاهوت
يعبرُ ، أرجوانيَّ الثياب من دم القرابين
في نسيج أحلامكَ الهاذخة ، ويقرعُ طبلتهُ المليئة بالريح
طوالَ الليل بين صدغيك ، فنشوتهُ الكبرى :
ألاّ تنام ، أو تستريح .

العالمُ ظواهرُ ماديّةٌ لها أسرارُها
الأسرارُ خبيئةٌ في الكلمات ، لكنها لا تروي
سوى جزءاً من القصّة .

الجمهورُ صدّقها ، القاضي ارتابَ في

تفاصيلها ، العالِمُ ظنّها رقصة

بين الذرّات والأشجار والقرود ، بين البذرة والنملة والمرّيخ

وأذرعة المجرّات التي تُعانقُ الغُبار.

لاتتكلّمْ ، ماذا ستقول

أو تكلّمْ ، واصغِ إلى أيٍّ كان .

الشاعرُ الصينيّ الميّت منذ أكثر من ألف عام ، يهمسُ في أذني :

« من هذا البرج العالي

يُدهشني أن أرى كم هَوجاءُ هيَ العاصفة

ألمدينة المسَوَّرة تبدو خاليةً

عندما تسقطُ الأوراق »

لي دونغ

رُبّما هي الريح يا سيّدي لي دونغ

جاءت لتستردَ علينا مرّةً أخرى قصّةَ الطوفان

قبيلتي تعرفها جيّداً ، جيلاً بعد جيلٍ بعد جيل

تعرفُ من سيّدها ومن راويها ، تعرفُ

أنّ أبطالها أطيافُ طواحين

حاربها دون كيخوته بضراوةٍ ذاتَ يوم :

اليومَ تكفي صرخةُ طفلٍ خلفَ جدران الحصار ، لتنهار .

قبيلتي : هذه الصفحة . هذا القلم . هذا الجدار .

إنـّهُ النَّسغُ الصاعدُ يا سيّدي

في جذع الحياةِ والشجرة .

لا . إنـّهُ بحرُ الصمت ، وهذا القاربُ الصغير لهُ قصّة .

صديقي الذي ماتَ بالأمس في المنفى

وهوَ يُصارعُ الألمَ الأخير

عَرفَ القصّة من أوّلها إلى آخرها

في لحظةِ حنينٍ واحدة .

دَعِ التيّارَ يأخذ ما يُريد . دعني أبقَ في مكاني .

اعطني هذه اللحظة ، ودَعني .

أريدُ أن أسمعَ القصّة .

أوقات

(أغنية سومريّ عاشَ ألفَ عام)

من قبل ، أوقاتٌ كهذه

جاءت من قبل ، أوقاتٌ عرفنا فيها

أعاصيرَ لا تكفّ عن اقتلاع الأشجار

من جذورها : الغِرْيَن يدفقُ فائراً ، والطين

ينجرفُ إلى آخر الأفق ، ويغطّي الآثار .

أيّامٌ كهذه ، عرفناها

عندما يأتي كلّ نهار لكي يَلِجَ العيون ، غريب

الشمس

هذا إذا ما أتانا ...

عندما كنّا نأملُ ، في آخر مرّة

كتَبَ البرقُ فيها أسماءَنا على

ألواح المصير ، أن نحثو حَفنةً من تُراب

على وجه الميّت في آخر الرحلة

وخُيّلَ لنا أننا تعلّمنا كيفَ نسلكُ الطريق

إلى بوابة الآلهة

كيف نحملُ العبء ، وننهضُ بعد الطوفان .

كيفَ نمضي ، مرّةً أخرى

إذا ما جاءتنا أيّامٌ عرفنا فيها أعاصيرَ

لاتكفّ عن اقتلاع الأشجار من جذورها

عندما يَدفقُ الغِرِيَنُ فائراً ، والطين

ينجرفُ إلى آخر الأفق ،

ويغطّي الآثار .

أم آشور تنزل ليلاً إلى البئر

وكيفَ حالُ أم آشور ...
سألتُ أهلي حينما زرْتُ مدينتي المهَدَّمة
الموشَّحة بدُخنة الحروب ، بعدَ سنواتٍ طويلة
من الغياب ...أينَ أمُّ آشور التي كانت مُرضعتي
بصدرها الأرحَب من هذه الدُنيا
ووجهها ، إلهي
الذي بَرَتْ ملامحَهُ المذابحُ والكوارث حتى اكتسى
بتلك الهالة ، حتى تقدّستِ العينان ؟
خَبّرني ، يا عَمّانوئيل ، أيّها الصديق
عن أمّ آشور : أينَ هيَ ، كيفَ تقضي
أوقاتَها ؟ خبّرني يا عمّانوئيل ، أيّها الصديق
عن عزيزتنا أمّ آشور ...
تقصدُ عمّتي ، أختَ أبي الكبرى
أمَّ آشور؟ هي ذات العينين الحزينتين
مُذ كانت طفلةً ، حتى قيلَ أنـّها سيّدةُ الأحزان السبعة
تحكي لنا عن هروبِ أهليها عَبْرَ البراري

عن الأطفالِ تحتَ سنابك الخيول؟

هي التي كانت تطردنا بالحجارة كلّما

سَرقنا طماطمَها الصغيرة

للكفّها تُحاذرُ أن تُصيبنا ، ولا تُصيب

سوى سياج البُستان ؟

أمُّ آشور ، عمّتي ، أختُ أبي الكبرى

ومُرضعتكَ الفاضلة أيّها الصديق

ذات الصدر الأرحب من هذه الدنيا

والوجه الذي بَرَتْ ملامحهُ المذابحُ والكوارث

وموتُ الأحبّة ، وفراقُ الأبناء

حتى اكتسى بتلك الهالة

حتى تقدّستِ العينان ... تعالَ الليلة

لأريك أمَّ آشور ، تعالَ معي أيّها الصديق

لنزورَها عندما تنزلُ ليلاً إلى البئر .

تقولُ أنّ الأرواح تُناديها شاكيةً

من أبعَد الأماكن لتنزلَ إلى البئر

وتُواسي أمواتَها ، مُنذ ذلك اليوم الأسوَد

يومَ جاؤوها بآشور.

حينما سَجّوهُ بين يَديها ، صاحَت من الأعماق :

إلهي

من ينزعُ هذه الشوكةَ السوداء من قلبيَ الآن ؟

سمعناها ، وأحْنَينا الرؤوس ، وماذا

سيرفعُها بعدَ الآن ؟

تعالَ الليلة

لأريكَ أمَّ آشور ، تعالَ معي

أيّها الصديق

لنزورَها

عندما تنزلُ ليلاً إلى البئر .

جنـّاز قصير في الطريق إلى مَأتَم

البَحثُ على طول الطريق
عن شيءٍ أقولهُ قد يَليقُ بالمَقام . إلهي !
ما من كلمةٍ ، فيها نَزْفُ حكمةٍ ، حتى لو كانت بسيطة .

مامعنى الحِداد ؟
الميّتُ في تابوتهِ لا يُطالبُ بالبلاغة .
الأيدي في فـَيء السطيحة تَهشُّ ذبابَ الصيف العنيد .

وماذا يقولُ المرء عندما يموتُ في مكانه الآخَر ؟
الآخر الذي من أجلهِ ، إنّما ، جئنا لنشربَ قهوتَنا المُرّة ؟

على العتَبة أحذيةُ النُدّاب ، وجوهُ المُعزّين تـُزيّنُ فراغَ الصالة .
وأنتَ ، أيّها الميّت ، ترقدُ بكلّ بساطة
على ظَهرك ، وتختصرُ الكَون .

كلّ ما أعرفهُ الآن : موكبُ السائرين في دَرب الحداد.
ظلـّكَ يطفرُ فوقَ سياج المظالم . وجهُكَ يبدو
في مرآة الهزيمة .

هذا ما أعرفهُ : الموتُ هوَ الموت .
وما من أحَدٍ عادَ من موتهِ ليقولَ لنا شيئاً .

أعرفُ الكلبَ المنفوخَ كقِربةٍ تحتَ سماءٍ خفيضة

والماشيةَ الطافية عندما يأتي بها الفيَضانُ إلى أبواب المدينة .

امرأةٌ رأيناها ، ذاتَ مرّة ، في الطفولة

فاغرةَ الفَم ، مشدوهةَ العينين على طريق المحطّة –

شَعرُها المتلبّدُ كنُشارةٍ سوداء ، جلدُها المتورّمُ في قيظ القيلولة .

لم أستطعْ ، في تلك الليلة ، أن أنام .

لم نَنسَ أنّ الأجساد ضيّقةُ المصائر . وهكذا نَموْنا .

صِرْنا ما صرنا إليه ، في الأماكنِ والبُلدان ، وأقطار العُزلة :

أفكارُنا الأوّلية ، خامةُ الخَيالات ، حَفيفُ أوراقٍ

بائد بينَ الأضرحة ، وذلكَ الموتُ الأوّل ، جائلاً بلا وَجه

من بابٍ إلى باب ، خطوةً بعدَ خطوة .

وغداءُ المرأة الميّتة ، طيلةَ الوقت

يَبردُ على الصينيّة ، تحتَ منشفةٍ بيضاء ، وقلائدُها

مازالت ترنُّ أحياناً في الدولاب الذي يضمُّ ثيابَ عُرسها .

لكن معَ مضيّ الوقت ، تعَلّمتِ الغيابات

كيفَ تتنكّر ، مُصَدّيةً أحياناً تلقاءَ حيطانٍ مُصَمَّغةٍ

بألفِ ذكرىً وذكرى ، وكم من ظلٍّ تَرسّبَ تحتَ جَذر اللسان

حيثُ رَسا مثلَ مَركبِ نـُوحٍ لفظةٍ مَنسيّة .
ازدهرَت أفاويهُ البلاد الأولى فوقَ ألسنةِ نار الطبخ
واضطربَت صُوَرُ الجُثَث الهاربة في أعيُن العُقبان الجاثمة

بانتظارها على خطّ استواء الأفق . هناكَ جئتُ لأكلّمهم
على حافـّة الصحراء . إنـّهم آبائي يطلبونَ منـّي
بكلّ رفقٍ أن أجلسَ على حافـّة القبر

بينما ينسحبُ الضياءُ الأخير من تجاويف المدى ...
لا أعرفُ ماذا أفعلُ بهذا الجيب من التراب ، مَعْلمِ الحجارةِ هذا
صخرةً فوقَ صخرة . يُمكنني ، في الحُلم

أن أسمَع كيفَ يَحتارون في تَخمينِ معنى
أن تبقى عظامُهم ، بيضاء ، على السطح ، مُعَرَّضةً للشمس
وإفرازات السَّحالي ، وإذ يتربّصُ بي واحدٌ منهم

في الليالي – رُبّما على مَدخل بيتنا القديم ، أو عند نهاية الطريق
حيثُ يتكاتَفُ مشرَّدونَ حولَ نارٍ تحتَ سور المقبرة
فإنـّما ليقولَ لي أنّ الليلَ تجاوَزَ الحدّ

أو أنّ الحَجر سيّدٌ على الخليقة

أخبارعن لا أحد

مَن لا نسمعُ عنهم خبَراً

من لا يذكرهم أحَدٌ : أيّةُ ريح

ذهبتْ بآثارهم كأنـّها لم تكن

أبي ، والآخرون – أينَ هُم ، أين ...

*

ماذا حَدثَ لصانع الأسرّة

ودواليب العرائس

كم كانَ يُقدّسُ الخشَب !

*

أين الإسكافيّ الصامت

حاضنُ السندان ، ماضغاً مساميرَهُ المُرّة ؟

*

هل قصفوا كهفَهُ المليء بأحذيةٍ قديمة

بإحدى تلك « القنابل الذكيّة » ؟

*

أينَ الصفـّـار ، أينَ صينيّةُ الذهَب ؟

*

سُنبلةُ الحنطة

مَشبوكةً بصورة القدّيس ؟

نَعْلُ الحصان

على الباب ؟

*

ماذا حَدث

لأمّ يوسف

القابلة

كم طفلاً باكياً سحبَتْ يداها

من ظلام الرَّحِم الدافيء

إلى عَراء هذه الدُنيا

ليمضوا

تائهينَ في وديانِ

مصائرهم

جُنوداً يُقاتلونَ في حُروبٍ خاسرةٍ

غير عادلة ؟

*

بعدَ أن تَعبوا

منَ الكَدْحِ في طاحونة الفقر

ليمَوّنوا أهْراءَ الطاغية

*

هل خجلوا

من تركيبةِ هذا العالم

*

هل قرفوا من تلك الأكاذيب؟

*

بعد الحروب ، بعد الحصارات

*

ما وَراءَ الجوعِ

والأعداء ، وبمَأمَنٍ من يَد الجَلاد

*

هل ذهبوا ليناموا أخيراً ؟

*

ليناموا ، ويَلتحفوا التـُراب.

جئتُ إليك من هناك

(في ذكرى يوسف الحيدري)

نهايةُ العام :

عامُ النهايات

الطقسُ والغربان ، ضيقٌ في نفَسي

من كثرة التدخين ، علـّةٌ ما

(وحشةٌ ،

قلقٌ ،

ألَمٌ دفين)

أطاحتْ بي لأطوفَ في أنحاء البلدة المقفرة

وأقطعَ حول تلك الزاوية بالذات

حيثُ لاقاني وجهاً لوجه

قبلَ هبوط الليل :

صديقي

القَصّاصُ هوّ بعينهِ

لكنّ شيئاً أفرغَ عينيه من الضياء

صديقي القديمُ الفَكِهُ

هوَ بذاتهِ

لكنّ شيئاً قلَبَ قَسَماتِهِ

من الداخل : الحواجبُ بيضاء

سوداءُ هي الأسنان

إذا ابتسم (لا فرَحاً) بدا كأنـّهُ يبكي

ما وراءَ الحزن

كما في صورة غير مُحَمَّضة

كما في صورة محترقة

بأقلّ نفخةٍ تنهار ...

لاقاني وكنـّا خارجَين من عاصفةٍ

بدأتْ منذ الأمس

تَجلدُ الجدران بلافتات المطاعم والحوانيت

وتجعلُ أسلاكَ التلغراف

تـُوَلول حقـّاً في تلك الساحة الخالية

صرختُ : يا يوسف !

ماذا حدثَ لوجهكَ يا يوسف ؟

ماذا فعلوا بعينيكَ يا يوسف

ماذا فعلوا بعينيك وحَقَّ الله ؟

قال : لا تسألني ، أرجوك .

قال : إنـّهُ الدمار .

قال : جئتُ إليكَ من هناك .

قال : لا أنا . لا . لستُ أنا .

لا أنت .

لا ، لستَ أنت .

هُم ، وآلهةُ الزَقـُوم .

هُم ، وصاحبُ الموت الواقفُ في الباب :

اللاجئونَ على الطـُرُقات

الأطفالُ في التوابيت

النساءُ يَندُبنَ في الساحات

أهلـُكَ بخير

يُسلـِّمونَ عليك من المقابر

بغدادُ سُنبلة ٌ تشبّثَ بها الجراد

جئتُ إليكَ من هُناك

إنـّهُ الدَمار

قالَ لي

وسارَ مُبتعداً ، واختفى

في كلّ مكان .

رسّام الأهوار

في حُلمهِ صرخةُ الحصان على أسوار غيرنيكا
عينـُهُ المذعورةُ تـُفـّاحة رازَها البرقُ .

في حلمه عينا المرأة الباكية
في « نصب الحريّة » لجواد سليم .

وهو يُفضّلُ فتاة سلفادور دالي إذ تسلخُ فروةَ البحر
عن رمال الشاطيء كأنـّها منديل
على زَرافاته البلهاء المتراصفة حتى آخر الأفق
تتدلـّى من صدورها أدراجٌ مليئة
بألسنة اللهَب ...

في الحلم أو في اليقظة
في ساعات طوافه بين المكاتب
بسطلٍ وممسحةٍ ، يُلمّعُ البلاطات وهو يُغنـّي
أبوذيّةً حزينة ، في بُنوك تطنُّ بوحشة ليل التجارة

مُطلاً أحياناً من شرفةٍ ما في مدينةٍ ما
(مدريد ، لندن الرطبة كمُخاط بَزّاقة
ديسَتْ تحت القدَم ، أو ربّما باريس)
حالماً من يدري بماذا

من يدري بمَن ، قبلَ أن

يعودَ ثانيةً

إلى مهمّة التنظيف

بوجومِ من يدري

أنـّهُ أبداً لن يعود إلى الأهوار .

وكلـّما قرأ الأخبار

(جاءَ في الأخبار أنّ طيوراً معيّنة في جُزر الهبريدس
بأسكتلندا اعتادت أن تـُهاجر في الشتاء إلى منطقة الأهوار
في جنوب العراق منذ آلاف السنين ، وجدت منذ بضع سنوات
أنّ الأهوار التي كانت تـُشتي فيها ، لم يَعُد لها وجود،
فتشرّدَت وضاعت ولا أحد يعلمُ مصيرَها.)

كلـّما رَدموا هوراً ، كلـّما أحرقوا خريطةً

وأزالوا عالماً من الوجود ، بدأ يرسمُ محموماً

لوحةً جديدة تستلهمُ الأهوار :

كلَّ جُرّيٍّ ، جاموسةٍ ، غـُراب

كلّ شبكة مَفرودة للصيدِ في الريح

كلّ مشحوفٍ طافٍ كالمهد أو التابوت

على بحرٍ من الغِرين ، في غرفته ذات الكوّة الوحيدة

كزنزانة ناسك ، حيث يرسمُ الأهوار

عندما يصطادُ أهلها وقوفاً في المشاحيف

بالفالة أو بالشِباك

في الشمس ، أو على ضوء الفوانيس.

يوميّات من قلعة فيبرسدورف

1

يتحوّلُ آب إلى جَهامة أيلول . وفي رأسي

كالغيوم ، ترحلُ الجبال : كُتَلُ الأفكار كثلاجات القُطب

تنتقلُ بضعَ خطوات في كلّ أبديّة .

القريةُ ما زالت تحتفظُ بأسرارها ، رابضةً

بين حقولٍ تنبسطُ إلى آخر الأفق ، وما زالت في أركانها

بضعُ عجائز يتبادلنَ آخر الإشاعات ، في الغسق ، قريباً من البركة

حيثُ تطفو بجعةُ وحيدة . أعرفُ البيوت ، وحَانتها الغارقة

في دُخان غلايين الريفيّين ؛ أصغي لساعات

إلى أجراس الكنائس العتيقة .

صفَحاتي تطفحُ ليلاً ، تتجمّعُ الكلمات مثلَ طيور جارحة

في سماءٍ خافقة بالنُذر ، زمَني طوعُ يدي ، مستعدٌّ للرحلة القادمة .

حُرٌّ في أن ألامسَ جذرَ المصيبة التي تُطاردني عبرَ أيّامي ، من بلدِي

النائي .

أو أن اتناسى المضائق ، وأنطلق صوبَ البحر .

كم من حياةٍ ، إلهي ، مرّت بي

مُعْولةً ، آتيةً من هناك ، معصوبةَ العينين لئلا ترى ...

الشرّ ، تلك المطرقة ، كم من حياةٍ ستحقُ كلَّ يوم !

كلَّ من لم يعد واقفاً في مكانه تحت الشمس

2

الريحُ هنا ، شماليّة من القطب

ينشطر ُ الطينُ لها في الأراضي المفخورة .

تتقشّفُ لها أيدي الفلاحين . تـُقلقُ مَنسوبَ الماءِ في الآبار .

ومن رَهبةِ هُبوبها ، تبقى المحاريثُ عاطلةً

في حافـّة الحقل ، والرفشُ في سُبات .

لو أنّ أحداً تجرّأ على الخروج ، فالشتاءُ غرابٌ

أسحَم ، يهبُّ في وجهه كعباءةِ أرملة .

ولي مدفأتي ، في غرفتي الصغيرة المطلـّة

على غابة . أصغي إلى قرقعة الدَّرفات ، إلى

مصاريع النوافذ الموشكة على الإقلاع ، فالعواصفُ أليفةً

صارتْ ، والإصغاءُ إليها عادة .

لا أنا بالهاديء ، البارد الأعصاب

ولا بالمتوجّس ، القلِق ، المتوثـّبِ على أقلّ خَشخشةٍ ونأمة .

حَفنةً بعد حفنة ، يتذرّى العُمر . كأنـّهُ الحصاد

والمِذراةُ في اليَد ، والريحُ مُقبلةٌ .

تطفَحُ عُزلتي مثلَ جَرّة منسيّة تحت حنفيّة الصمت .

أنا مليءٌ ، تقدّمْ ، أيّها الظلّ . أدخُلْ إلى بيتي . وانهَبْ ما تشاء .

سرّ المكان

إلى مؤيد الراوي

معنى أن تـُغادر ...

موضوعٌ قد يستغرقُ الأبَد .

أن تـُغادرَ المكانَ الذي ألفتَ زواياهُ كأنـّها في
خبايا فكركَ انعطافاتُ الحُلم الذي لا يلوي على شيء –
المكانُ الذي سرّهُ أبداً لم يُستَكشَف ، لأنهُ صارَ أليفاً وأنتَ
لن تقبلَ إلاّ بما لا تعرفه ، قابلاً لما تعرف لكن عارفاً أنّ هناك
شيئاً خبيئاً وراءَ بابك ، شيئاً لن تَطالهُ الأضواءُ التي
لن تعرفَ سرَّها ولن تراها ...

أن تغادر المكانَ الذي يلتفّ سرّهُ بالأحاجي
لأنـّهُ صارَ أليفاً ، والأليفُ حينَ يُستَكشفُ يُطـّرَحُ جانباً في العادة ؛
قد يحدثُ هذا ، ذاتَ يوم ، عندما تركبُ قطاراً
إلى الريفِ أو المنفى :
أن تجدَ كلَّ طريقٍ ، كلّ حقل ، كلّ بيت
مغتسلاً برونقِ بهاءٍ ليسَ سوى بعضاً من تَرَنـُّقهِ
في مرآة الترَف : اللونُ ، والشكلُ ، زوايا التظليل ، إطارُ المُتعة
الباذخة في العين – حصانٌ يَرعى في المخيّلة .
جسرٌ يتجسدُ فوقَ ضفتين ، حيثُ لا نهر ، وثمّةُ شيء

يتحركُ في البُعد ، ما وراءَ النظر

لكنك ترى في غفلةٍ

ظلـّهُ العابر .

وإذ تعبرُ بالبركة (في أيّةِ قرية !)

وتحجزُ في نظرتك الماءَ الساكن ، وباحاتِ البيوت

والقاربَ المقيَّدَ بالحبل

إلى رصيف المرفأ ، وتفكـّر ، ولا تدري أنّكَ فكـّرت إلا فيما بعد :

« كم ساكنٌ هذا الظلّ وأسوَدُ في الماء »

فإنـّكَ تـُدركُ ، في الحال ، أنّ المرأة الملفـَّعة بعباءةٍ

سوداء في الحديقة ، تبكي لأنّ أحَدهم أجبرَها

على أن تقبلَ بالحقيقة .

ولستَ متأكـّداً إن كانَ هذا جزءاً من الحلم ، أو شهادةً

سمعتَ تفاصيلـَها ذاتَ مرّة

لكنك تدري أنّ ما جاهدتَ أن تدريه في تلك اللحظة

شيءٌ يمكنُ لكَ الآن ، في عمركَ هذا ، أن تعرفه أكثر

لأنّ الخليقة وضعتكَ في هذا المَوضع بالذات

حيثُ ترى ، وتمتلكُ الرؤية .

إنـّكَ آنذاك ، حينَ يتقمّصكَ الوضوح ، وتكونُ في

حالٍ من فرط انجلائها ، أنكَ لا تفكـّرُ حتى بأن تفكـّر :

آنذاك قد يحدثُ أن تحدُسَ السرَّ الذي لم تُستَكشَفْ طواياهُ

في المكان الذي غادرتَهُ ، ذلك الشيء الخبيء ما وراءَ أستارٍ وأبوابٍ

ذلك الشيء الذي لن تَطالهُ الأنوارُ التي رأيتَها في مَنامك .

تلك التي لم ترَها سوى في مَنامك .

الجوهرة

في هذا الوقت يَنزاحُ النورُ عن سور الحديقة
وشاحاً مُخَرَّماً نضَتهُ عنها امرأةٌ
أحرقت كتفيها الشمس .

تمدُّ الأشجار أعناقَها لتمسّ الضوء
بأوراقها العُليا ، وتبدو السماءُ أشدّ عُمقاً وزُرقة .

في هذا الوقت بالذات .
يَنهارُ هَرَمُ الألغاز بهَبّة خفيّة من أضعَف النسائم ، وأرمي
بأوراقي إلى دُوّامة الغسق المغتلي في قلبي
بوعودٍ لا أعودُ قادراً على اكتنازها

تاركاً للكلمات وحدَها
أن تربُضَ ، مُحَبَّرةً ، على الورَق
نُذراً من عاصفةٍ لم تكتمل ، أرغفةً للصمت
الآتي من مجاعاته القديمة بشَهيّتهِ الغوريّة الأبعاد .

أتركُ لهُ بدءاً من خرابِ نمرود
حتى النظرة البلهاء لسيّد القَرن الحادي والعشرين
حجَرَ الرَّحى لسَحقِ زهرةٍ واحدة !

وأريدُها لي

هذه الفُسحة بين نهارٍ وليل

شرقٌ الولادة قبل التئامهِ ، ظِفرَ الإله المكسور، وّلامةً

تُسافرُ في لحم خليقته الضعيفة.

وها هوَ، لا كالظلّ ليسَ حتى إنساناً، لا أحداً

هذا الزائرُ الفضفاضُ بالمعنى

ريشُ القَطا منتفضاً في مكيدة الصيّاد

عندما تسقطُ الأشياء في اثلامها المرسومة محرومةً من أيّ صَدى

كما تسقطُ، من يَد المبغوتِ بطعنةٍ ، على

قطعة المخمَل السوداءِ ، جوهرة .

محلولةٌ ، سَلفاً ، كلّ الأحاجي

كلُّ الطـُرقات

مفتوحةٌ أمامي ، كلّ الأحاجي

محلولةٌ سَلفاَ. طـَرقةٌ على الباب ، ويَنفتحُ ...

الليلُ ، للنهارِ ، زَوجة.

ومعَ ذلكَ ، ففي نَهر الدَم أخوضُ ، ولن ألقى البّوابة

أو أدخُـلَ ليلاً إلى المدينة

في مهرجان من نباح الكلاب.

وما هي إلاّ نبضة في صَدَغ القصيدة

تطرقُ من أجليَ باباً، تسمحُ لي بالدخول.

وها هي المسألة :

أيَّ عُلقمٍ أشربُ ، أيَّ إيقاعٍ أتبعُ حتى

أتحاشى الجنون ...

سوى هذه الكلبة

التي تـُغطـّي الأفقَ بعوائها ، سائحةً

في خيالاتي ، قائلةً للدُنيا أنها تعرفُ أسراري

مَهما نزفتُ من دَمي ، أو تلـفـّظتُ بهذا الزَّبَد

مَهْما، ومَهْما...

2

منذ آدم

I

سرّ الكلمات

ما يُمكنُ للكلمات أن تفعلهُ
يكادُ يكونُ لا شيء في هذه الأيّام

نغمةٌ ليس فيها ما يكفي من الموسيقى
لكي يرقُص على إيقاعها أحَد.

إذن كيفَ لنا أن نُبجّلَ ذكراها
أو أن نُكيلَ لها المديح؟

معَ أنّني رأيتُ
من ترنّحَ عندَ سماعها كأنّهُ سكران

واختارَ طريقاً أخرى
يسلكها في حياته، وانطلقَ في سبيلهِ

ذاك ، دونَ أن يأبهَ بشيء ، ليقبض على السرّ
الذي أطلقتْ سراحَهُ الكلمات.

رأيتُك: كنتَ أنتَ الماشي في تلك الطريق

وإذا لم تكن، فأنا ، وحديَ، من كان .

عالم لا يُضاه ى

بقايا النور في الغسَق: كتاباتٌ
تـُلقي بها الأوراقُ على سجّادة العُشب .

الشجرة، في الخفاء، تلدُ الظلالَ وترعاها
حتى كأنّ القراءة ممكنةٌ لمن يتفرّس يوماً بعد آخر
في نصّ النور والظلّ

بينما عجلاتُ الوقت
تنحدرُ على الطريق
أينما كانت تؤدّي، غيرَ آبهةٍ بمن يقفُ هنا
مشدوهاً وحائراً، شاعراً بالبرد
يبدأ في الحديقة
غالقاً بابهُ الزجاجي ، كما بالأمس
ذاهباً إلى السرير
فاتحاً كتابهُ المضجر، حالماً بعالمٍ لا يُضاهى .

قارئ الليل

أخيراً يُقيِّضُ للسكينة

أن تفرشَ خيمتَها على أرض الجسَد كأنّـها بُستان

حتى السماءُ تُبطئ حركاتها

الفَلكيّة ، وتُطلعُ بضعَ نَجماتٍ ساحرة.

الغَسقُ ملكٌ أقتَم ، موكبهُ يرتدي السواد

مع لمعةٍ من ذهَبٍ هنا ، أو خيط فضّةٍ هناك.

هكذا يبسّطُ الليلُ تعقيدات الخليقة

كما تمسحُ يدُ العاشقة تجاعيدَ وجهٍ قَطّبتهُ الأحزان

ويَقلبُ صفحةً أخرى في كتابي

كأنّـهُ هوَ القارئُ

لا أنا .

رجل مريض بالقلب يتنزّه على الشاطئ

أمشي
كلّ يوم إلى البحر.

بحرٌ في القاع يجرشُ العظامَ والحَصى
وبين حينٍ وآخر يلبطُ الساحل : هوَ أيضاً يخضعُ لإيقاعٍ رتيب

وهكذا يقذفُ الموجُ قطعةً من الصلّصال ، مشبوكةً باصدافٍ ودُروع سراطين
أو جزمة بَحّار مليئة بالرمل. جُثّة يجدونَها غداً تلطمُ الحجارة
وفَيضٌ من العصائر يَرشَحُ من فَمها الفالت .

في محجَريها أسرابٌ من البعوض الطنّان صعّادةً ونازلة
على خَفْق الموجة.

لم يكن لي وأنا الماشي
على الرمل ، في نزهة النقاهة ، ذاتَ لحظة سوداء
حينَ تجمّدت عقاربُ ساعتي السويسريّة (اشتريتّها في مطار زيوريخ بالذات)
على الساعة الثالثة ، سوى أن أرمي بها إلى البحر.

إليهِ بالزمَن الميّت ، بأيّام التردّي

بهيكل الماضي

ذلك القارب المليء بالظلال: خـُذهُ ، أيها البحر

الذي لا يشبع ، إنـّهُ لك. الحلقات التي سيصنعُها على مائك

لن تصل إلى شاطئك الآخر.

والزمنُ المقذوفُ من يدي ، ليس لأحدٍ سواي .

أنا الآتي إلى هذا الشاطيء المقفر

لأصفـّي المُكدّرات المزدحمة في رأسي لساعةٍ أو أكثر

سأمشي على الجسر الخشبيّ المتآكل الأعمدة

في الرذاذ المتطاير من الأمواج ، بين صرخات النوارس الجائعة.

صيّادٌ يسحبُ صنـّارتهُ من اللـُجّة وفي نهايتها سمكة

تـَوعُفُ راعدة ً بجسمها الفتـّان في الغسق .

هديرُ البحر يعلو، ولا أحدٌ يسمعُ أحدا ً، هذا إذا ما تكلـّمَ هذا الأحدُ !

الجسرُ ينتهي في فراغ البحر

دونَ أن يؤدي إلى شاطئ . الصيّادُ حقيقيُ ، خيطـُ صنـّارته

مشدودٌ إلى الماء ، وفي سَطله سمكة ٌ ترقصُ رقصتها الأخيرة.

أمّا أنا، فأتركُ للضباب الزاحف من نهاية الأفق ، من رئة المحيط الهادي

أن يُغلـّفني مثلَ رسالة .

زائر من البحر

حيوانٌ آتٍ من البحر

أعماهُ ضوءُ مصباحي

في ليل الأزمنة الأعمق من هذا الزمن

براثنهُ تـُخـّدشُ بابي.

" أنتَ ، يا من أصلهُ منـّي ، افتحْ .

كلانا من نفس الطينةِ جاء .

فرائي الباردُ ، وجلدي . شوقي الذي دعاني

لآتي إليك ...

هذه بوصلتي

أنا الدودة الساعية بأنفيَ الحسّاس في ظلام الرؤية.

هذا الحدُّ، او هذه الربوة ، وإلا فهذا

المَدخَل ، حبّ الدخول إلى

جَنـّة السلامة.

من منـّا هو الضائعُ في الظلمة ؟

أيّ عالم هذا الذي نتطوّحُ فيه

والثلجُ يملأ فرائي

تحت نجوم المجرّة ؟

وأنتَ ، أنتَ أيضاً

كنتَ مثلي ، ذاتَ يوم ، حيواناً طالعاً من البحر.

وها أنا واقفٌ على عتبة بابك.

افتح.

لنترك هذا المكان

ونذهب إلى مدىً آخر".

هل كنتُ أهذي ، أرى فيلماً رديئاً، أم أحلمُ حُلمَ البداية ؟

أمَلْتُ رأسي على إفريز النافذة

وكنتُ أسكنُ كوخاً على الشاطيء

مبتئساً من حَصادِ نهايةِ عامي

يائساً من كتاباتي وأيّامي

من سريريَ الموحش، وأوراقي الملطّخة

بثُفالة القهوة والخمر.

ذهبتُ لأفتح الباب.

لا أحد في الخارج سوى ظلّ طويل ، يعلو

ويهبط ، ويخفقُ مثلَ خرقةٍ سوداء

مع الموجة.

الحياة على حافة زلزال

أعيشُ على حافّة شِقّ الزلازل المسمّى :

أخدود القدّيس أندرياس ...

يا لهُ من قدّيس !

يتخاطفُ ، بين آونةٍ وأخرى

تحتَ أساساتِ بيتي

فيرتَجُّ لهُ

البيت .

بيتي ،

عبرَ خلفيّات الحديقة

صغيرٌ، على وَقْع تلّة الانحدارات

نحو البحر.

ذاتَ يوم سأقولُ لأمواجه:

سوف أطفو فيكَ على قُفّتي أيّها المحيط الهادي

وبضعةُ من كتُبي المفضّلة

مَحمولةٌ على ظهري

عائداً من جديد إلى قصّة الطوفان !

أنا من يَشقى

ليوحّدَ الشقّين ، في

أحلامه ، بين الزلازلِ والسكينة.

بعمودي الفقَريّ إن لزمَ الأمر، أسندُ

انزياحةَ التشَقّق الأرضيّ الذي ستشاؤهُ الطبيعة.

أو تتهجّاهُ ألواحُ المصير.

كنتُ أمشي ، في الأماسي ، وبيتي

يتكدّرُ من الأنباء

والتوقّعات

والتوجّسات والنذائر

تكادُ حجارتهُ أن تشيخ في وجه

الإنهيارات المقبلة.

كنتُ أمشي لأنظرَ إلى

المشهد التالي . وأشهدَ للغرابة.

عندما جئتُ إلى هذا المكان

كنتُ أحلم بأنّ كلّ شيء في انتظاري :

الطبيعة بكلّ بهائها. رفوفٌ عَلتْها كُتبي.

أسماء حيّةٌ تجتاحني . ذلك المعنى

الذي سأقولهُ ، أنا

وحدي

هكذا فكّرت ، أنا البرئ

الأكثرُ خضرةً من أعشاب والت ويتمان

في حديقة السذاجة.

كان ذلك منذ وقتٍ سحيق

مَرّ في رَمشةِ عين . واليومَ أعرفُ

أنـّني حقـّاً أعيشُ على

حافـّةٍ زلزال .

II

لا شيء منذ آدم

مقطوعةٌ من الجذرِ هذه الأنشودة.

هذا الفيضُ من الدُعاءِ ليلاً، وإلى مَن هوَ مَرفوعٌ ؟

تنزلُ الفأسُ ، وما من حطّاب.

لا الغابة بل الشجرة، وحدَها ، تتلقّى الضربة.

في غَور البُستان تتلعثمُ الظلمة

تعلوها سماءٌ مستورةٌ بصوفٍ

من غَزْل النجوم ، فوقي ، أنا المتعرّي من هذا

القميص ، ولستُ حتّى يوسف.

تذهبُ الأغاني ، تجيءُ المراثي .

لا شيءَ منذُ آدم غيرُ ملحمة التراب.

السماءُ تحتضنُ غيمتَها اليتيمة

والليلُ يقبلُ أن تُرضّعهُ ألفُ نجمة .

حلم الفراشة

الفراشة التي تطير كأنها

مقيّدة بخيطٍ خفيّ إلى الجنّة

كادت تمسُّ ذقني وأنا جالسٌ في الحديقة

أشربُ قهوتي الأولى

نافضاً من رأسي كوابيسَ الليلة الماضية

متململاً في الشمس ...

رأيتها تعبرُ فوقَ سياج الخشب

كأنها حلمٌ أو صلاة ، هي التي كانت

دودةَ قَزٍّ بالأمس ، سجينةً

في شرنقتها الضيّقة.

معنى صلاتي

هذا ربما

ما صلـّيتُ من أجلهِ

أحيانا ً، هذا ما رأيتـُهُ في لحظاتِ يأسي

مغمضا ً عينيّ إلى النصف

أرقـا ً حتى الفجر

تلك الحديقة

(أوراقـُها منذ الطفولة

ما زالت تتألقُ في غسيل الظـُهر، شمسٍ

لم تـَعُدْ تـُرى.) بضعُ شجيراتٍ .

زمانٌ لم تـُلطـّخه

يدُ الأيام

والصيف كثيفـٌ بالنـَحل

ولا نأمة عن هذه البلاد الباردة

لا خبرٌ عن الشمال الذي سيغطـّي الأشياء

بظلـّه البارد ، رغمَ أن لي ن‌ارا ً

ومصباحي يُطلُّ على صفحةٍ بيضاء

تبقى بانتظارِ أبياتي القليلة

(لن تأتي إلا إذا أنتهى

هذا الليل.)

دفتري المفتوح تحتَ عينيّ

مصيَدةٌ لأرواح مَوتايَ

يمرّون على صفَحاتِه في شبه رفيف

أسمعهُ مثل لغتي الأولى

في باطن أيّ ماضٍ لن يتركَ للبطلِ أن

ينام ، هو الذي يعرفُ أنه لن

يكون جلجامش

هو الذي يرفضُ المهمّة :

هذه الصفحةُ الليليّة ستكفيه ليمشي

إلى نهاية الحلم ، ومليونُ لاجيء يَلبُدُ في خُطاه

نرفعهُ عندما يسقطُ ندلّهُ

إلى ظلّ الحديقة.

كلّ ما نحلمُ بهِ

ألا تَعصفَ بنا هذه الأعاصير:

زاويةٌ ننامُ فيها ، صفحةٌ بيضاء

حيثُ لا تكذبُ الكلمات .

هذا ما صلّيتُ من أجله الليلة ، ولم أعرف معنى صَلاتي.

موكب أصوات

في الصمت المطبق

أصغي إلى أيّ صوت:

شيءٌ يسقطُ كتُفّاحة نيوتن

في حضن الظلام . هِرٌّ يشكو من البردِ .

من الجوع إلى أنثى .

أنينُ الثلاجة القديمة.

أمامَ بيتي

تُفرقعُ بلّورات الصقيع

بين حين وآخر كأنّ الغابة في نومها العميق

تمطّ أضلاعَها الألف

هُنا يتفتّحُ الزمانُ ببطء زهرة

تنضحُ الطبيعةُ كحائضٍ في قارورةِ

الطقس ، تندرجُ الخفايا خلسةً

في مَساربها الخفيّة

يتكسّرُ غصنٌ

أسمعُ حمولتَهُ الخفيفة من الثلج

تضربُ سجّادةَ الأوراق

لكفٍّ أصمّ .

في مكان ما ، تنعبُ بومة

مخروطٌ تائهٌ من الأصوات

يَلولبُ دائباً داخلَ العتمة

حتى يأتيني هديرُ الشاحنات

على الطريق السيّار

تحملُ السمْنَ والعسل إلى المدينة

تحملُ الذبائحَ والقرابين

من المسالخ إلى

الأسواق

ليسَ بعيداً عن مكاني

حيثُ أستلقي مغمضَ العينين

وأطفو في سريري قبُيلَ الفجر

قبل أن يشحبَ الأفق ، وتنسحبَ فلولُ الأموات

عائدةً إلى جحورها الأبديّة

مُلقيةً وراءَها على عالم الأحياء نظرةً أخيرة

في هذه القرية التي انتهيتُ إليها

طامعاً بحفنةٍ من سلامٍ ، بشيءٍ من السكينة.

في هذه القرية التي بَرَتـْها

ريحُ الشمَال بأبرَد المخالب

تحتشدُ الأصواتُ كأنّهُ يومُ الحَشرْ

وأتبعُ المواكب

في طريقها إلى القيامة .

إذا عاشت الكلمات

سيّدُ البيع والشراء

يكبو على ركبتيه بسكتةٍ قلبيّة في

سوق المضاربات ، لكنّ طاحونة المال

مسعورةٌ، لا تكفّ عن الدوَران

وفي كلّ دورةٍ ، يسقطُ تاريخٌ ، يعلو حصار.

أنتَ، بالكاد تنام ؛ شاعرٌ ، صفحةٌ بيضاء.

الليلُ أقلُّ ليلاً

الصمتُ أغنى بما فيهِ

وحتى الموتُ في كمال افتقاره إلى المعنى

رُبما غَنى ، في الآخِر ، شيئاً

إذا عاشت الكلمات : من أجلها نقتلُ ونموت

ونرتوي ، من ظمأ ، في صحاراها

ونغتني من فقرها العجيب...

للكلماتِ جَبَروت -

قُلْ : **شيطان**

ويُغمى من الرعبِ على اليَزيدي .

قـُل : الله

وانظـُر كيفَ تشتعلُ النيران .

الكوّة

إذا لم تفتح الكوّة

لن تطيرَ إلى غرفتك الحمامة.

الماءُ يجهلُ أسبابَ الظمأ الأخير

والأرضُ تتشقّق رغم البراهين الدامغة على وفرة الماء .

الصمتُ لن ينفتحَ بين أصابعك كالصَّدَفة

إذا لم تعرف كيفَ تولَدُ الوردةُ أو تموت.

حتى تأتي القصيدة ، كُن أكثرَ صمتاً. انتَظر البرابرة.

استنطق الأشياء. تكلّمْ عن الحجارة.

قلمٌ على المائدة ، دفترٌ كمروحة الغيشا

يُرفرفُ في خيال الورّاق.

القصيدةُ قد تضيع ، إذا لم تجد الخيطَ الخفيّ .

والراوي لن يعرفَ القصّة.



1

في وسط كل شئ ، حجَر

كانَ شاعرُ إيرلندا

وليم بطلر ييتس

هو الذي اكتشف ذاتَ يوم

أنّ في وسَط الأشياءِ كلـّها، حجَراً:

أنّ " كل شيء تغيّرَ، تغيَر بمُطلقهِ "

وأنّ "جَمالاً مُرعباً

قد وُلد".

إنـّهُ الفـُصحُ

في عام ألفَين ، بعدَ الذي

صارَ، بعد الذي كان – أصبحَ هذا

الذي نحنُ فيه ، وجهَ هذا

الزمان السَّفيه.

تلكـّأ قليلاً، توَقـّفْ هنا

بعدَ أن عبَرتْ في طريق

الحرير القوافلُ ، بعد البرابرةِ – الصلـّبِ - روما

وكم مرّةً !

" كلماتٌ مهذبة ٌ دونَ معنى"

بعد أن خلط الغَدُ أوراقهَُ

بيدَيّ خبير، لتسقطَ مملكة ٌ وهي واقفة ٌ

أو تـُشيَّدُ أخرى على أنقاضها ، بقرار ٍ من الربّ

أو جنـَرال ٍ صغير ٍ يقومُ مقامَهُ

في حَلبة الرُعبِ -

جاءت مُسوخٌ مرَصَّعة ٌ

بعيون الزجاج ، بأزرار لوحةِ كومبيوتر ٍ.

وأتاكَ الغريبُ ...

أتى أبعَدُ الأقرباء ليشربَ قهوتَهُ

مَرّة ً ، في المناحة . صمتُ الجنازات . لا أحَدٌ.

إنـّهُ الخوفُ

جاءَ ليرقصَ رقصتَهُ

في الظلام ، وحيث ُ سيعلو السياجُ

وتنضجُ تـُفـّاحة ُ البرق ِ ، تعرفُ أنّ الرؤوسَ

تدلـّتْ ، وحانَ القـُطافُ .

أتخافُ

وأنتَ الذي حاكَها من كوابيسهِ

ورُؤاهُ، وقوعَكَ في "هذه" الشَبكة ؟

أنتَ صانعُها. اليومَ. بالأمسِ . أنتَ
لأنـّكَ وحدَكَ حقـاً ، ووحدَك
حسبَ اتـّفاقكَ ، أنتَ
ووجْدَك .

قُلتَ لنا : إنـّها ، وحدَها ، المعركة .

(لم أكُن أبحثُ عن شعر
بعد أن ذبَحوا الصوت
وطاردوا الصدى
كنتُ أريدُ قصيدةً
في بَطنها حَجَرٌ
لن تـَلد
وليست حتى مولودة)

ثمَ كيفَ تـُتَرجمُ هذا
Too long a sacrifice
Can make a stone of the heart
إلى لغة البُكم والصُمّ في أرضِ ديزني ؟

ومن أينَ
تبدأ قصّةَ وَجدكَ هذا
بأيّ تواريخَ منسيّةٍ (من يؤرّخُ ، ماذا؟)

كنتُ في الحلم

أصعَدُ هذا الدرَج

في نهايتهِ فتحة ٌ كفَم البئر ِ

تطفو بداخلها غيمة ٌ

من وجوهٍ، تقاسيمُها حُرّة ٌ كالدخان ِ

تَسيحُ ، وتـَغلي

ولا تستقرُّ ، هناكَ

بأعلى الدرَج

*

وثـَمّة ُ وجهٍ

رأوهُ ينزفُ في السُّحُب.

كم من قائل ٍ قالَ قوَلتـَهُ ، ولم يسمعهُ أحَد.

كم من راءٍ رأى

ما رآه.

هل كنتُ أنا من يحلمُ كلَّ ليلة

بمَن يسيرُ، صُبحا ً، إلى مصيره المحتوم ؟

ه ل كنتُ أنا

من يُفـَوّقُ بين الشَعرةِ والشعرة

يُميّزُ النفَسَ من الرمَق الأخير؟ أعرف :

في قلبِ إيرلندا

سَوادٌ ، يَغرفُ منهُ ييتس

يغرفُ منهُ بكلتا يديه ، كبُحيرة إنيسفري .

دع هذه المدينة

تسقط في هوّة أيّامها ، وأنا

وأنت ، نتطوّح في شارع القصيدة العَزلاء ، سُكارى

دَعهُ ينحلُّ ، تاريخك

الحالك الوجه -

دع كُرةَ الخيط تسقط من يَد غازلةٍ

نعستْ ، ثمّ نامت

على حافّة

القبرِ.

قُل :

كلُّ من قلبُهُ حجرٌ

قامَ من قبره اليومَ (أو لم يَقُمْ أحَدٌ.)

أنتَ ، أيضاً ، رأيتَ

الوجوهَ الشفيفة عند انسدال المساء

(وأيُّ مصائرَ منسوجةٌ حولها) وعبرتَ بليماءةٍ.

دعهُ يشرب ما شاءَ

من دمكَ الحلوِ ، حتّى يَطيحَ ، ودعهُ يَسيحُ

ويهذي ، ولا يستتبُّ ، هناكَ على حلبة الصمت

حيثُ تدبُّ الوحوشُ ...

وقـُل : إنني متعَبٌ. سأنامُ.

وقـُل : سأنامُ ، لأنـّي تعبتُ. ونَمْ ...

وغداً ، ألقِم البحرَ جِزْيَتـَهُ ، والقِ في البحر بالشبَكة.

إلى سّيد الوليمة

إذا كنتَ سّيداً، اعطنا شيئاً

من الخبز، قطرةً من الدواء للمرضى

أنتَ الذي تُسمّي نفسكَ سيّداً، اعطِ لمن ساروا

في كلّ هذه الجنازات

للسادرينَ في حلم الفجيعة

هُم الذين تكفيهُم ردّاً على صلاة الكَفاف

غيمةٌ تعبرُ في سماء المقتلة

أو جمجمة طفل خفيفة كقارب من ورَق

من أجل هؤلاء

افرشْ ملاءةً بيضاء

صفحةً في كتاب لم يُسطّرهُ أحَد

مَرَقَ الأوجاع الصافي

شوربة الآلام بالتّوبد

جُذورَ الأيام الممتدّة

إلى سرداب الفُطر والطحالب

في ظلمة الرأس الدائخ

تحت القَصف

تحت بسطالكَ الضخم

ودَعِ اللحمَ يَنْشوي، وجذعَ الخروف

يتقلّب على نار الجشع الهادئة

حتى يحمرّ السيخُ

في يدك.

ولتكن هذه الوليمة

عجفاءَ كالأبقار السبع

في حُلم فرعون.

دعها ، دعها تكن....... هذه الوليمة .

هنود الآباتشي

يُقال أن هنودَ الآباتشي

تلك القبيلة التي أُبيدَتْ تماماً

ولم يبقَ منها سوى أسمها الذي أطلقوه

على مروحيةٍ حربية مشهورة بقُدرتِها على الإبادة

كانوا، بعدَ أن صاموا طويلاً وأنهكَ الجوعُ

أجسادَهم ، إذا ما سمعوا الأرضَ ترجفُ تحت أقدامهم

وعرفوا أن جواميسَ البوفالو قادمةٌ

يمتطونَ خيولهم من دون سرجٍ

وينطلقونَ نحو القطيع .

ما كانَ لمحاربٍ واحدٍ

أن يشدَّ قوسَهُ بما تبقى لهُ من همةٍ في يده الضعيفة

ومعَ ذلك

فهوَ يُقـّوقُ سهمهُ في الوتَر

ويُردي الجاموسَ قتيلاً في القلب .

فهنودُ الآباتشي كانوا يعرفون " الروحَ العظيمة "

عندما تتجلـّى أمامَهم ، وتدعوهم

إلى المعركة.

وهكذا الشاعر، هو المطوَّقُ بصيحات القبيلة

حين يجولُ بين الخرائب

ويرثي أبناءَ مدينتهِ ، يحلمُ أحياناً

أن يُحلّقَ كأيّ نسرٍ فوق رؤوس القتلى و القتَلة

آملاً أن يُجَندلَ بكلماته

مخلوقاً رائعاً مُمعناً في الهَرب

وأن يُنشبَ صرارة خيالهِ

في لحم الفريسة .

هولاكو

(مسلسل جديد)

خُيولي

أخفُّ من الريح

سنابكها تقدحُ الشرارات

إذ ندخلُ المدُن

الحربُ تستلقي

كالعروسِ راضخةً بانتظاري

والحقدُ يتكلّمُ باسمي

فأنا هولاكو :

سيفٌ في غِمدهِ لا يستريح .

ظلّهُ أينما ارتمى

يستنسلُ غيمةً من العُقبان الجائعة

تطفو فوق البيوت

حيثُ يراني

اللاجئونَ في

كوابيسهم بين الخرائب

ويَشحذ الأسرى

حفنةَ قشّ من حصاني .

سيّد

بقيةُ شمبانيا

ما زالت تتخثّر في كأس

بضعُ فقاعات ما زالت تموت

حفلتنا انتهت

عامُنا الأخيرُ اختفى

بين دياميس الماضي كأنهُ ولا كان

على حافّة الكأس

منذ الآن :

ذبابة .

يقولُ واحدٌ

ليس سوى واحداً يقول :

أوشكَ هذا القَرنُ أن ينتهي

وأين وصَلنا ؟

ألفا سنةٍ ألا تكفي

ليأتينا سيّدٌ آخر

أقلُّ غباءً وقسوة ، أرحَمُ ، إن أمْكن

يفتحُ لنا باباً في هذا الجدار

أو على الأقلّ يُرينا من أين تبدأ الطريق

ربّما تَغـَيّرنا . غداً سنستريح .

يصيحُ آخرٌ

ليس سوى آخراً يصيحُ:

لا لا لا لاء!

غداً ؟ غداً سنـَغتالُ السيّدَ الآخر

الأقلَّ غباءً ، وقسوة

الأرحَمَ إن أمكن

إذا جاء .

الجثّة

عَذبوا الجثّة

حتى طلَعَ الفجرُ مُنهَكاً وقامَ الديكُ يحتجّ .

غرسوا في لحمها السنانير. جَلدوها بأسلاك الكهرباء.

علّقوها من المروحة.

عندما تعبَ الجلادون أخيراً

واستراحوا، حرّكت الجثّة إصبعَها الصغير

فتحتْ عينيها الجريحتين

وتمتمَت شيئاً .

هل كانت تطلبُ ماءً ؟ هل كانت تُريدُ خبزاً يا تُرى؟

هل كانت تلعنهم أم تُطالبُ بالمزيد ؟

ماذا كانت الجثّة تريد

2
حلم البيوت

هناكَ ثمة ، في مكانٍ ما

شارعٌ تتراصفُ فيه بيوتٌ

غسلتها الذاكرة ، في بياضها الكلسيّ ، سقفاً بعد آخر

أتنقلُ فيها ، كأنني ليليٌّ في مَهبيّ ، صانعاً أدراجاً من كلماتي

أصواتاً أكثر خفوتاً من أن يسمعها أحد.

إينانا المبتورةُ اليدين تغزلُ ضبابَ النوم من أجلي هناك

وأنا ، الليلة ، سيّدٌ على لا أحَد.

مِراراً، في الأحلام ، أجدُ البيت ، أفتحُ الباب.

كلّ ذلك الآثاث الذي التهمتهُ الأمداء ، خارج مَطال الذاكرة

فاقداً أسماءهُ الأولى.

الساقية ، منذ الطفولة ، ما زالت تجري

في الحُفَو، وتلك العجوز، نانونتا نانا ، تُدلّي

أصابعَ قَدَميها ، بأظافرها الصفراء ، في مائها . نأتي

لندلّها إلى كوخها المتداعي وراءَ النهر

ونُمشيّها ببطء ، وثوبُها العتيق يخفقُ في الريح ، إلى نهاية الحارة .

الأطفال المسحورون والمدينة

إلى فخرية صالح الراوي

أبوابُ تلك المدينة عاليةٌ

كما لم نـَرَ من قبل ، جداريّاتـُها ملأى بمراكب

تعبُرُ إلى بحر، وجهتـُها ثمّة موانيء تسطـُع في البعيد.

وفي أطرافها ، دوماً ، ملكوتٌ

مُخَصَّصٌ لأطفالٍ يلهونَ بلا رخصةٍ من صاحب الجنـّة.

عيونـُهم جواهرُ لا تفقهُ معنى البريق.

كالراقصين ، يدورُ الأطفالُ في حلقةٍ حولَ بؤرة النشوة

وشَعرهم يَختصُّ في التقائهم بضوء نجمة

تنوسُ عند نهاية الكون ، مادّينَ أيديهم نحو أقواسها العالية .

ها هم السعَداء ، وكم هم جديرون بالمحبّة !

أرى أطيافـَهم في الحلم ، بين بقايا مدينتي

وهل هم أكثرُ من أطيافٍ يا تـُرى؟ بأحذيةٍ لا تـُرى

يركضونَ على أرصفة الليل ، وثمّة هالة تحيطـُ بكلّ بناية .

إنـّهم يعطونَ للمدينة ما لا يُعطى

ويقرأون الكتابة المستضيئة على وجه البيوت .

وكالطيور في الصحراء ، يُغنّونَ من أجل لا أحد .

الهجرة من آشور إلى بلدان الأشياء الأخيرة

تخطو المرارةُ إلى الأمام كلـّما

حَلـّت مناسبةٌ للحزن ، كمحارب مسلـّح حتى الأسنان

شلـّهُ الإحباط ، لكي نطالبَ بالشفاء... ربّما ؟

مُرغمين في لحظة الإحراج

بكلّ ما فينا من قوّة اليأس على ... و ... في الريح

في الريح المغرَمة بالإقتلاع دوماً، والتي

ليست ودودةً أبداً نتساند . نتساند. لكلّ منـّا جدارٌ نسندُ إليه

ظهرَنا المُتعَب. لكلّ منـّا حقيبة

فيها صورٌ مُصرفَـَوّة لبضعة أجداد مُلتحين حاربوا

في الجبال طوابيرَ في الأعداء بلا نهاية

البعضُ ينهار البعضُ يبقى

ويقيسُ حجمَ الإساءة

في وجه التاريخ

الجَهم ..

هذه هي الأغنية التي يُردّدها لنفسه ، يُغنّيها للعابرين

في أغرب الأماكن

تاريخنا نحملهُ

في أكياسنا ، أيامنا طوفان

يا مركب جدّنا النائي

أوتانا بشتم

يا سفينة سيدنا نوح

أهذه سماؤنا السابعة

أم أنهُ ليس سوى القاع ؟

هذه هي الرقصةُ الفظّة

يرقصها في أحلامه أمامَ سيدّ الملكوت

لعلهُ يسترعي التفافةً عابرة

لأننا عندما نُلوّح في وداع تلك اللحظة

كما يفعل المسافر من على ظهر السفينة

لأطول ما يمكننا من زمن

قبل أن يتلقانا البحر

في عناقه الهادر، عندما نحلم بأننا نرسو

في بلد الأشياء الأخيرة

نلتقطُ أسماءَ الشوارع ونعرفُ أشخاصاً عديدين

فنحنُ في نهاية الأمر إنما نختار

ولأننا أخترنا ، ندّخر أسماً ما مثل كنز عائلي دفين :

ليكون سدّاً في وجه الزمن

منديلُ الجدّة

الملطّخ بالدم من عصر سنحاريب

سقوطُ بابل

على ظهور بناتها الصابرين

حفلاتُ البرابرة

القُدامى والجُدد في خرائب نينوى

وأشجانُ آشور العتيقة

أسرارها التي يُلقي بها المهاجرون إلى البحر

كالفُتات إلى النوارس من ظهر السفينة

في طريقهم إلى أمريكا أو السويد

أو أوستراليا . أو الجنّة

أو الجحيم .

اللاجئ يحكي

اللاجئ المستغرقُ في سَرد حكايتهِ
لا يُحسّ بالنار عندما تلسعُ أصابعَهُ السيجارة

مُستغرقٌ في دهشةِ أن يكونَ هنا
بعد كلّ تلك الهُناكات : المحطّات والمرافيء
دَورياتُ التفتيش ، الأوراقُ المزَوَّرة...

مُعلَّقٌ من سلسلة التفاصيل –
مصيرهِ المحبوكِ كاللّيف
في حَلْقاتها الضيّقة
ضِيقَ البلاد التي
تكدّسَت على صدرها الكوابيس.

المهرّبون ، مافيات التهجير، لو سألتَني
ربّما كانوا أهَون ، وسماءُ النوارس الجائعة
فوق سفينةٍ معطوبةٍ في اللا مكان .

لو سألتني ، لقُلت :
الإنتظارُ الأبديّ في دوائر الهجرة

والوجوهُ التي لا تردُّ الإبتسامة مهما ابتسَمْت
ومن قالَ أنها أغلى هديّة !

لو سألتني، لقلتُ : بشَرٌ في كلّ مكان.

لقلت : في كلّ مكانٍ، حجارة.

يحكي ويحكي ويحكي

لأنهُ وصَل، لكنـّهُ لم يَذق طعمَ الوصول

ولا يحسّ بالنار عندما تحرقُ أصابعَهُ السيجارة.

نصف بيت

نصفُ بيت

لأبي تمّام: **"ألا ترى**

الأرضَ غَضبى ، والحَصى

قلِقٌ..." ظلّ يتقلّبُ اليوم كالزّبَد الجريح

على ساحلٍ مقفرٍ في رأسي

كأن الخليقة

كلها تصرخُ اليوم

باحثةً عن شَطرها الآخر

وفي غياب القافية

نُصغي إلى هذه الموسيقى

تأتينا من لا مكانٍ مثقَلةَ بأعجب الأخبار

أشبَهَ بالأنين ، أشبَه بدَردَمةٍ خافتة

لبذورٍ يابسةٍ في يَقطينة

حَرّكتها ريحُ الخماسين :

كأنني استيقظتُ اليومَ في بيتي

وقد طارَ سقفي

لأرى الغيومَ مُهَرولةً

عبرَ السماءِ تسوقها نُذرٌ مجهولة

لا أهلَ لي ، وليسَ لي بلدٌ

والأرضُ غضبى

والحَصى قلَقٌ ...

القصّة ستُروى

في أعلى المشارف ، أو أوطأ الدَّرَكات

هناكَ دائماً راويةٌ ، القصّة ستُروى. قصّةُ من يا تُرى: أنا ، أم أنت ؟ قصّته "هو" ؟ ستروى . من منظور من : أنت ، ملفّقاً قصّتي المليئة بالثغَرات ؟

أنا ، سارداً حكايتك المضحكةَ، المُبكية ؟ هوَ، الجاهلُ أيّام كلينا ؟

ستُروى: حتى أسرار القبيلة المخفاة بعنايةٍ في خِرج الزمان المهترىء

تَجدُ الملاذَ أخيراً لكلّ أجنتّها المذعورة في بنُيان الكلمات

بضربةٍ طائشةٍ من القلم ، بلثغةٍ من لسان الراوية

لتنهملَ الحكاياتُ من لا شيء

لعالمٍ ليس في النهاية

سوى حكاية

تُقلّمُ أظافرَها ، كإلهِ جيمس جويس ، بانتظارٍ أن... تُروى .

ورغمَ أنها مع الأيّام تفقدُ بريقَها ، وتبلى

فهي كاسطوانةٍ بلا إبرةٍ ستتلو لنفسها ما تَبَقّى

من تفاصيلها ، تلك التفاصيل الجديرة بأن تُتلى ليسمعها من لهُ أذنان.

3

طنجة

(في ذكرى محمد شكري)

أضواؤها ، في إسبانيا ، دعتني

كعِقدٍ ضائع من اللآلِىء

لأركبَ سفينةً

اسمُها " ابن بطّـوطة "

أقلعتْ بي ، من " الجزيرة الخضراء "

في رمضان . والآن ، من نافذتي في طنجة

بأعلى الأدراج المسمّاة

" نزلة الإسبان " ، أرى سُبّحةً

من الأنوار الغائمة تُسوّرُ جبل طارق.

النزلةُ مائتان ونيّف من الأدراج

حتى تنزلَ إلى البحر –

من يدري أيّةُ حوريّة مُجَلبَبة ستصعقني

بآيةِ عينيها الضاريتين هناك !

روائحُ الأرض كلـّها أمامي

في صينيّة بائع الأفاويه

وبيـّاعُ عِرق السوس بالزنجبيل

يهزُّ في وجهي سُترتـَهُ المُجَغرْفة بأقداح الماء.

آنئذٍ أتذكـّرُ كم أنا عطشان !

وأيّ صيفٍ يستيقظ ُ في كبدي

وأيّ طيفٍ من الماضي

هو هذا الطبّالُ الآتي من آخر الزَنقة

يتبعهُ زمّارٌ وعِدّة ُ أطفال

كأنـّهم يدرونَ أنني واحدٌ منهم

طبلتي الصغيرة تحتَ إبطي تـُعلنُ عن أفراحي

المقبلة ، وعيدِ أحزاني

أنا الصائمُ الذي سيُفطرُ غداً

أنا الجائعُ الذي سيأكلُ هذا الرغيف

قبلَ أن ينام .

رؤيا في « فندق النصر »

(أزمّور بالمغرب)

إلى صدّوق نور الدين

الشمسُ في الأعلى

طافيةٌ ، كبيضة اللقلق ، فوق السقوف

ولا أحدَ ، في الأسفلِ ، يتحرّك :

إنّـها القيلولة .

نافذتي تـُطلُّ على بُستانٍ أشواكهُ

أعلى من السقوف ، امرأةٌ

تنشرُ عليها مَلاءاتٍ ، قنابيزَ أطفال . ها هيَ

تخرجُ من بيتها المتواضع ، وتأتي

لتلمّ غسيلها. جلابّـتـُها المقلّمة

رايةٌ الغسق .

قدماي

مُجذَّرتان في هذا السرير

حيثُ ألقيتُ ، منذُ يومين ، مرساتي .

الفندقُ يطفو بين يدَي عَرّافة

تسافرُ في خيمتها الوبَريّة إلى جبال الأطلس

كلَّ ليلة.

عُظاءَةٌ كانت تتسلّقُ ساقَ طاولتي
حيثُ تستقرُّ منفضةٌ ، وكأسٌ ، وقنّينة
ألقتْ نظرةً غيرَ آبهة
على يدي التي يتصاعدُ منها دُخانُ لفُافة
ومضتْ مثلَ أميرة متغطرسة
في طريقها إلى المنفى.

البُستانُ نائمٌ
تسيلُ على شوكهِ أوّلُ قطَرات النَدى.
نافذتي مفتوحةٌ تستقبلُ حاشيةً من البعوض ، وثمّة
من يحملُ فانوساً ويبحثُ عن شيءٍ ما
في الخرابة.

أزمّور... وهذه ليلتي الثالثة .

كمظلّيّ لم تنفَتحْ مظلّتُهُ
تسقطُ في كأسي بَعوضة .

مخدّةٌ تحتَ رأسي
تتكهربُ بالأرَق ، فأرمي بها إلى الجدار .

عرّافة أزمّور

إلى عبد الكريم الأزهر

حركةٌ في زُرقة الأبعاد.
نَردُ الحتف المُصَيَّر يسقطُ على
مُخمَل الحاضر ؛ بوصلةٌ بشريةٌ هي العرّافة .

يداها مِحْمَلتان لخواتم الزمرّد والياقوت .
ظهرُها مستقيمٌ مثل بوّابة
في قصر أميرٍ من صَنهاجة .
لخيمتها شكلُ طَيفور يطفو متهادياً على وجه الرمل .

تُحدّقُ في يديّ ، تتأمّلُ أعمالَ سحرِ
أيامي الفائتة .

وسهمَ مستقبلي الزائغ عن الهدَف.

خلفَ ظهرها البحر
على الطريق عرَباتٌ
تجرّها الحمير، مُحَمَّلةٌ بالعوانس والعَذارى
ليركبنَ القوارب حيثُ يلتقي نهرُ أمّ الربيع بالبحر
وسطَ مَحزَمة البلاد . هُناك
أبحَرَ مولانا بو شعيب

ليلاً في السفينة الآتية بحبيبته عائشة البحريّة من بغداد .

ويُغنـّين :

هاك أبو شعيب

في جنب الواد

هاكي ياعائشة

في بغداد

ضريحُ الولـيّ تنقصهُ بضعُ آجرّات

من بلاطٍ أزرق وأحمَر، جدارُهُ الدائريّ تـُغطـّيه

حتى قـُبّته آلاف الخِرَق من ثيابِ مَن جئنَ هنا

جيلاً بعدَ جيلٍ من العَواقر

يلتمسنَ البرَكات !

حَباتُ الكهرَمان في سُبّحة المُقريء الأعمى

عُقـَدٌ مُدماةٌ لِكـَمْ قلبٍ كانَ يخفقُ في أزمّور ذاتَ زمَن !

والعرّافةُ الاريبة ، طارفةً بعينها الخضراء

لتطردَ سرّاً غيرَ مرغوبٍ رفرفَ من يدي المفتوحة

هارباً مثلَ غـُرابٍ إلى البعيد ، تهزُّ الثـّمرة

في أعلى أغصان الزمن ، حجَراً

لهُ سيماءُ الذهب ...

أنها لا تخبرني

عمّا إذا كانت تعرفُ كلَّ هذا

أم لا ، فنحنُ لا نتكلّم ُ، لا نقولُ شيئاً

أو نـُفصحُ عمّا لا يُقالُ في حَضرة الأبَد .

لحظة الليلة المقمرة ((بالجديدة))

إلى جلال الحكماوي

كلّ ما لهُ

أن يقبُضَ على النفَسِ ، أن

يُفاجئَ العين بدهشة المنطر

نوع من التحوّلِ، جديرٌ بأعمق الصلاة .

سجّادةٌ من ضوء القَمر، على حافـّة الميناء بالجديدة

فتاةٌ تمشي ، حافيةً ، تـُلصقُ الريح

جَلابتَـها البليلة بردفيها ، وثمّةَ مَركب

يُفرغُ حمولتَـهُ الساخنة من فضـّة السَّردين

والفلفل الأحمر، والشّمام المُنـَمَّش كجلد أفعى .

الأمسيةُ حريقٌ صاعدٌ حتـّى الغيوم المجَمَّرة !

النوتيةُ أطيافٌ ، تلوبُ ، تـُدخّنُ ، تختفي بين الأزقـّة .

تختفي في حانةٍ على بابها مصباحٌ ضعيفُ الإضاءة

تتلـَولـَب حوله أكاليلُ متربةٌ من فراشات الليل .

ومن ذلك المشهد ، أي خيالات مجنونة

تصاعدتْ كأبخرة الأبدية في رأسي

عن ضياع الممالك ، عن عبور الرغبة

كمشطٍ من الماء فوق حجَر !

عن الفتاة وشَعر عانتها الأسود البادي

على شكل مثلّث من تحتَ ثوبها الرطب ...

وعرفتُ أنّ الليالي

مَذاقُ قطرةِ من العَسل ، على اللسان ، تتلاشى .

أنّ الأشياءَ ، دوماً مُهدّدةٌ بالغياب

وأنني ، ذات يوم ، كنتُ هنا ، في هذا المكان

حيثُ لن أكونَ ، أبداً ، مرة أخرى .

جزيرة الأدراج

(هيدرا ، في اليونان)

أيةُ نوافذ كانت مفتوحةً

لاستقبال هواء البحر المجلوّ كمرآةٍ آهة

آتياً من الميناء في أسفل الأدراج

حيث تنطلقُ السنونوات بين صواري السُفُن

كمشةً من النُقاط والفوارز، حَفنةً من الحروف

والكلمات ، أطلقَها من يده شاعرٌ أعمى

ذاتَ يوم ، ليُجبرّ عظامَ جُملةٍ

ويكشفَ لنا ، فجأةً ، معناها ؟

وأنا الغريبُ النازلُ من أحدِ القوارب

إلى بياض الرّخام في أشعّة الشمس

وامرأةٌ تحملُ جَرتـّها الملأى

من بئرٍ مسوَّرةٍ بالنرجس ، وتصعدُ الدرَج .

إنها تختفي خلفَ باب أزرق ، آخذةً في إثرها

الزمانَ والعالم ، تاركةً نظرتي اليتيمة

تتلكأ على وجه الأبله المتهالك على عتبة الكنيسة

يُصلّي من أجل هذه الجزيرة

أو من يدري من أجل من ، وماذا ...

ويضربُ جبينَهُ بالجدار ، مرّةً بعد أخرى .

وأنا الواقفُ في مكاني ، حاملاً على ظهري حقيبةَ السفَر

ثمّة شيء دعاني ، رُبّما تلك النوافذ العالية

لأمضي في طريقي ، وأصعد الدَرَج .

تمتمات من رأس أروفيوس

رجلٌ حاول أن يكون العازف

على قيثارة الآلهة

سقطت أصابعه في البار بين أقدام العاهرات .

رجلٌ حاولَ أن يلتقط الشوكة

أن يستلـّها من جسد « يوريديس » العاري

سقط رأسيّاً في قـُمامة الآلام ، سلك أقصر الطـُرُقات

إلى الجحيم ، فما أحفلَ ليثيه كما سمّاه الإغريق

بهذه الأجداث المنسية ؛ نهرُ النسيان هذا

مليءٌ بالأصابع الساقطة عن خواتمها ...

شطآنُ ليثيه تطفو ليلاً من ملكوت التـّيه .

عليها بضعةُ أطياف –

عُشاقٌ ، مَحظياتٌ ، ملوك

تتلكـّأ بإنتظار قارب شارون ، ثم سرعانَ ما تختفي

كلُّ هذا لأن رجلاً حاولَ أن يعزفَ على قيثارة الآلهة

تلك القيثارة التي ليست لها أوتار .

IV

1

يوم ينقصه اليقين

وجَعُ الأيام هذا ، ما تبقّى
من علائم الطريق ، أينَ تدلُّ ، من الدليل ...
أتركُ الأخبار، زُبالةَ الأحداث ، على صفحة الجريدة
وأخرجُ إلى باحة البيت
حيثُ زرعت امرأتي أزهارَها الرائعة :
الأقحوان ، النرجس ، السوسن ، عبّاد الشمس .

أصابعها الخضراء ملأت فضاءَ الحديقة
بأحلامها ، والمعجزةُ هي هي :
خريفٌ لعُشبهِ خضرته السرية ، خريفي الذي يسوقني
كما يشاءُ الزمنُ المضمَرُ في حتفي .

عندما تكفّ الريحُ عن بثّ شكاواها
وعزفِ مراثيها الموّاءة على أوتار السياج
أبدأ مشيتي المسائية بين الدروب المشجّرة خلفَ البيت :
هذه الغابةُ الصغيرة حيث تشطأُ أزهارٌ أجهلُ أسماءَها

وتزحف بزاقاتٌ ذاهلةٌ على المماشي

في أبديةِ بطئها ، بعد المطر.

وحينَ أرجعُ أدراجي بعد ساعة

تكونُ قطعتْ مسافةً أقصرَ من خطوتي الواحدة .

أعرفُ هذا من إفرازاتها الفضيّة المتعرجة

في نُقاطٍ هندسية التقطُّر على حجارة الممشى .

سماءٌ محشوةٌ رماداً ، أشجارٌ

أغصانُها مُثقلةٌ بأقماع الندى الموشكةِ دوماً

على السقوط ، أوراقُها تحت حذائي

سجادةٌ رطبةٌ تنخضُّ كإسفنجة .

يومٌ للجهالةِ ، للاعُرفان

لعُرفانِ أنني لا أعرف شيئا ، يوم ينقصهُ

حتى ظلُّ اليقين ، هذا اليومُ المَسمَّرُ في تقويمِ عُمري

على شكل صليبٍ يُصلَبُ عليه أحَد .

صوت أيامي ، أزمنة الآخرين

لم نـُعد نـُحبّ ما كنـّا مولـَّهينَ به .

ما كان يُسرّنا ، كالرمادِ ، على لساننا ، يستقرّ .

لأنه الأمس .

نُعانقُ ما كان ، ولا نقشعرُّ عندما

نعرف أنه الماضي ، تلك الجثة ُ الأمينة .

للأشياء أحتافـُها أيضاً ،

شُحنات انتفاضاتها المحشودة

حتى التكهرُب ، وأسرارُها التي تـُضاهي

في تماديها ، لغة َ السحابات الهاربة عبرَ سمائي .

هكذا صارت حياتي ، أشبهَ بجُغرافيا

لا يمكن تفسيرُها بالمواقع ، وصوتُ أيامي

لم يعد قابلاً للتبنـّي من قِبَل أزمنة الآخرين .

بينما العالمُ من حولي لا يكفُّ عن ترداد أقانيمه :

الخُلد يحلمُ في جُحره المتواضع

من يدري بماذا

الفراشة ُ في طريقها إلى الجنـّة

تَطيشُ عن حدّ السياج .

الكلبُ خلفَهُ ، يُفسّرُ إشاراتِ مرور العابرين

بقوانين الرائحة ، ووقْع الحذاء .

وحتى العصافيرُ مشغولةٌ

بتفْليةِ ريشها ، والحشراتُ في

أصدافها الهشّة ، تتحصّن ...

ما من شاحذٍ لسكاكين الأيام هنا ، يتقدّم

ما من اضطرامٍ مفاجيء في قفير النَّحل : ما يحدث ليس سوى

ما يحدث في المعمورة ، وما من معنى

لما يحدث في حدوثهِ ، إلا بالنسبةِ لمن يشهد الحدَث .

ومع ذلك ، من يريد حياةً لها هذه النَّعرة

مُقبلُها قبلٌ ، أمسُها يومُنا التالي؟

وما غدُها ، سوى تلك اللحظة التي لن يسكنها سواك.

أمّا أنا ، فأعطني ما تشاء :

كلَّ ما يذوي في لمح البصرِ

كلّ ما يواصلُ المَسْرى رغمَ ظلام ليل العميان

كوز صنوبر

ينبعث الضبابُ من البحر

مثل ستارة عند المساء ، يغلّف التلالَ القريبة

وينفتلُ فوق السقوف

كشَعر جنيةٍ هرمة

تطوفُ بين البشر، ولا تكفّ عن الطواف .

تغرقُ الأشياء في ندىً خفيف

حين أعود من مسيرتي ، لساعةٍ ، بين الأشجار

المطلّة على المماشي خلفَ البيوت.

الحَصباءُ رطبةٌ تحت أحذيتي

وأرفسُ كوزَ صنوبرٍ أحياناً كأنه كُرة قدَم .

ما أوضحَ أمراسَ حياتي

المقيّدة إلى سفينةٍ مجهولة لا أدري إلى أين

ستُبحر بي ، ما أغمضَ المقصد حين أعود إلى البيت

دون أن أفهم لماذا أنا عائدٌ ، ومن قالَ لي

أنّ عليّ أن أسير ...

حركاتي مبذولةٌ

من أجل إلهٍ أو صنَم ، وللنورِ أن يضحكَ في فضائي

للظلامِ أن يتطوّحَ في مهاويه .

مشاغلُ الآخرينَ في يومهم هذا

يمكنُ لنَبحةِ كلبٍ أن تُبعثرَها كالبيادق

على لوحة شطرنج مهجورة في حديقة

داهَمَتها العاصفة .

لكن كُتبَ عليّ أنا

أن أكونَ السائر، أرى اللوحة

وأرقبُ إسفنجةَ المعنى

وكيف تتشرّبُ أسماءَ أيامي كأنها ، لا أدري كأنها ماذا .

لغة نحيا عبرها

1

لغةٌ نحيا عبرها

كلَّ ما التزمنا بإحيائهِ :

فعلٌ ، وإذا به بعد فترة

ذكرى منقوشةٌ ، في جُدران الذاكرة .

في عالم الضجيج

القاتل ، نحيا

في كينونة العصا والجزرة

كما يُريد لنا السيّد الآتي من وراء الأسوار

هو المُكنّى بالدجّال ، منذ أن كان الدَجَلُ لعبةً

تستغورُ فظاعةَ الرؤيا ...

رغابئاً هي الشجرة

حين تلتهبُ ليأتيها

من ليس مثلهُ

يتشوّفُ نيرانَ النبوءة الحارقة .

والغيابُ لا يدّعي الصوَر ، والصورةُ وحدها

سترتبط بين القلب والقلب .

وإذا ما صرخنا ، إذا

ما أفصحَنا عن أصواتنا الأخرى

فحتى الملائكة

ستُخفي رؤوسهَا تحت أجنحتها الثقيلة

لئلا تسمع الصرخة .

هذا ما قالتهلنا الكتُبُ

هذا ما كان يريد أن يقولَه لنا ريلكه

ذلك الشاعرُ المُترَع بمَصلِ العُزلةِ والغياب .

لذا ، من الأفضل لنا أن ننسى

أن ننسى الظلامَ الراقدَ بانتظارنا

في جُمْعِ لفظةٍ ، طريقَهُ الجَهِمة ، غاباتهِ المرهونةَ

بحريقٍ قادم .

2

ومن يدّعي ، من يقصدُ ، من ينوي

إذا عاش ، ألاّ يقولَ سوى الوداع ، يومَهُ

المضيَّع ، ليلتَهُ المجروفة في خسارة ذا وذاك

مُغادرا بقعةً ليحتل أخرى ، حينَ يُقضى

كلُّ أوانٍ ، وينقضي

أجلُ الكلّ في لحظة .

هذه هي القضية :

لن تأكلَ الوجبة

بلا تأملٍ في نوعية المحصول

لن تحملَ المِنجَل

إذا لم تعرف اليَدُ جدوى الحصاد

ولا فكرة

بلا فكرٍ يحتجُّ على التفكير .

لأنه ضُعفُ الدنيا

الخلاب ، هشاشةُ العواميد المتهالكة

على كتِفَيّ شمشون : الدرَجات ، الأدراج .

المصاعدُ ، الأبراج .

القيود الحبالُ الأحزمة

الأنشوطات السلاسل الأسوار.

كل ما يتراجع عنك ليلعقَ قدميك

وقدماك غائصتان في الرّمل

والشاطيء يُناجي البحر .

3

ولا مَشاحة ، أن الأشياءَ إذا

كانت زجاجاً ، ستنكسرُ يوما :

الكأسُ ستسقطُ على أرضية الرخام

حين يُهمَلُ ، على مَرأى

الرؤيا الفظيعة ، الرائي

وكيف لك

أن تشهَدَ رحيلَ الشكل الكامل الشفّاف

إلى قاع السقوط ، على الأرضيّة الباردة

وتحسبَ اللحظات فالثواني

فالسنوات

إلى أن يصطدم زجاجُ الكأسِ بالحجَر ؟

وما معنى أن تُعنى

بأن تعرفَ معناه ...

وليس لك ، من بعد ، أن تشفى من هذه الأعجوبة .

وقد يُقال ، إنّها الصُدَف -

صداماتٌ مع جدار الحَتف

هزات أرضية تُصيبُ الشغافَ وتتركُ بصمَاتها

في خطوط الجسد

كأن تتطشرَ قطـَراتُ الدهن من مِقلاة

وتحرقَ جفنـَك أو جَبينـَك أو سبّابتك

أو أن تنطفيء الأنوارُ في منتصف الليل

وأنتَ تكتبُ شبهَ نائم

شبه يقظان

أن تنقطعَ الجُملة في وسط الكلام ، أن تختفي

الأواصر، أن تضيعَ المفاتيح .

لكن في النهاية ، لا ما يحدثُ ، لا الإستجابة

بل السكـّينُ الخفية تحت كلّ المَرامي

كاشطةً جلدَ البلادة

لتظهرَ الشجرة

عاريةً إلاّ من عظام الطقس ، ولا تبوحُ بكلمة

عن المُتعة أو الألم .

حَبّة رَمل

كما قد تُضافُ

إلى الزمان حَبّةُ رَمل

نُسَطّرُ ما يمكننا أن نُسطّرهُ

على هذه الصفحة .

هل سيَشمُتُ بنا الزمانُ ، وما أدراك

بالفضاءِ ، مُرعباً في امتداده

إلى ما لا نهاية ؟

ثمّةَ كلمة

تُعزّينا بأصدائها في

خلفيّة الذكرى ، وما من كلمةٍ في النهاية

تعرفُ كيفَ تكونُ العزاءَ.

ومعَ ذلك ، ما من بَديلٍ

مُذ هبطتْ إلينا هذه الكلماتُ

من سماء الخالق السكران بالخليقة .

رغمَ أنّ الحَلاج قالَ لنا

أنّ التواصُلَ مستحيلٌ إلاّ على

حافّة النَطع ، والمتصوّفة الأجبنُ منهُ

أنكروا الإستحالة .

قد يكون كلُّ هؤلاء

على حقّ ، فالروحُ كساعي البريد

تستلمُ الرسائل لكي توصلها إلى

الأهل ، لكن أينَ الأهلُ في هذا الليل

يا تـُرى ، ومَن قد يكونون ؟

معَ أنّ الليلة جاهزةٌ لاستقبال مُعجزةٍ .

في مكانٍ ما ، في أيّ لحظة .

والنرجسُ يُغطـّي وجهَ الأرض .

نصوع

تمسحُ اليَد

ما تستطيع

لكي ترى اللوحة

ناصعة ً مثلَ صباحٍ تساقطَ فيه الثلج .

هكذا يقتربُ الشتاء

من نهاية البَلوى

حينَ تَنفرُ الروحُ من كلّ تَطَلّـُعٍ، والمرآة

تتجاهلُ الوَجه.

ظلامُ تشرين حيثُ أمشي

في أروقةِ هذا البيت

لن يُهديءَ من رَوعي ، ولا مَقدَمُ الليل يُواسيني

أو يُطامنُ نهضةَ الأطياف

من مَراقدها الغَبراء .

هذه الكلمات ، أبداً، تهبُّ في مُفترَق الطرُقات

بين النوم واليقظة .

الثلجُ كما يبدو

كانَ يتساقطُ حقاً طوالَ الليل .

واليدُ تمسحُ ما كتبتهُ على الصفحة .

2

لحظات في الحديقة

ما هي إلا ّ

بضعُ أمسيات مَرّت

ولم تمرّ ، أتوحّدُ فيها خلفَ البيت

أمامي أعشابٌ يابسة ٌ عالية بالكاد تحجبُ عنـّي

شظايا الزجاج المتلألئة المرصوصة

على السور ِ، في الشمس

الضعيفة .

أجلسُ لأحسبَ الثواني

لأفهمَ ما معنى أن أمضي

أو أن أبقى في مكاني .

حالما ً دونَ أن أتابعَ الحُلم . صامتا ً وفي نيّتي

أن أصرخ . أمامَ بيوتِ جبراني

تـُرفرفُ راياتٌ كبيرة.

جنرالاتُ أمريكا

يشحذونَ آلة َ الخـَراب .

صامتا ً وفي نيّتي أن أصرخ ...

لا هذه اللمحةُ التي

أقنصُها من ملحمة الطبيعةِ سرّاً

تقودني إلى سرّ أطمحُ أن أستجليه

بكلّ تلافيفه المظلمة يوماً ، ولا ذلك المنحنى

في ذاكرتي يسمحُ لي

أن أرى القناعَ الهاربَ دوماً

في أزقّة حياتي الماضية .

الواقعُ أنني هنا ، في هذه الزاوية :

يدايَ في حضني ، عيني

تُلاحقُ بعوضةً تطنُّ بين الأعشاب.

تطيرُ فوق السور، تأخذُ أفكاري إلى المجهول لحظةً

لا أفكّرُ فيها ، لا أحلمُ ، لا أريدُ شيئاً.

لحظةٌ جديرةٌ

بأيّ ناسكٍ بوذيّ .

ثم انتهت تلك الأماسي ، وعُدتُ إلى

عالم المجانين .

طفلة الحرب

(إلى طفلة عراقية ولدت في الحرب ، وفي الحرب ماتت) .

الطفلةُ جاءت ، تلك المفقودةُ

في الحرب

واقفةً في نهاية الممرّ، في يدها شمعة

أراها كلّما استيقظتُ من نومي

في الساعة الأولى من الفجر. إنها تنتظرُ ارتطامي

بجدار الحقيقة.

عيناها

الكبيرتان من فظاعة الحكمة

تصبُران في أشواك الرُبى

حيثُ أفكاري تجوسُ ليلاً ، يدي التي

بإمكانها أن تقطعَ قيودَها

صوتي الذي قد يطرحُ أسئلةً

على القاتلِ أو الربّ

تعرفُ هيَ أجوبةً

عليها ...

كم طالت الحربُ

يا طفلة ؟

كم من الليالي

في قاعِ أيّةِ بئر؟ أيّةُ أبديّة للأذى الآتي

من كلّ الجهات ؟

ماذا كان الجنرالُ ذو الأربع نجمات

سيفعل ، إن حرَموا طفلتهُ من حليبها ليومٍ واحد؟

تقولُ الطفلة :

لقد أخذوا أهلي في سفينة

إلى العالم الآخر

كنتُ أعرفُ دوماً

أنهم سيتركونني هنا ، وحدي ، على الشاطيء .

كنتُ أعرف ...

حديث مع رسّام في نيويورك

بعد سقوط الأبراج

إلى إيفان كوستورا

« نهايتُك أنت

من يختارها » قال صديقي الرسّام

« أنظرْ إلى هذه المدينة . يشترونَ الموتَ بخساً ، في

كلّ دقيقة ، ويبيعونهُ في البورصة

بأعلى الأسعار ».

كان واقفاً على حافـّة المتاهة

التي تنعكفُ نازلةً على سلاسل مصعدٍ واسع للحمولة

سُفـُلاً باثني عشَرَ طابقاً إلى

مِرآب العمارة .

« أنـّها معنا، الكلبة .

سَمّها الأبديّة ، أو سمّها نداءَ الحتف .

لكل شيءٍ حَدّ ، إذا تجاوزتَهُ ، انطلقتْ عاصفةٌ الأخطاء .

إنها حاشيةٌ على صفحة الحاضر

خطوتُها مهيأةٌ لتبقى

حَفْراً واضحاً في الحجَر .

أرى أصبعَ رودان في كلّ هذا.

أراهُ واقفاً في بوّابة الجحيم ، يُشيرُ إلى
هُوّةٍ ستنطلقُ منها وحوشُ المستقبل ، هناك
حيث إنهارَ بُرجان ، وجُنّت أمريكا)).

العقرب في البستان

سوداءُ هي الأشكالُ الحاقدة

في مرابع الطين ، بين ممالك الطحلب اليابس

بعد أن تخُفَّ حرارةُ النهار، ويَرتعَ الظلّ

كتاريخ حالِك في تَعريشة البُستان

وإذا بالليلِ هو الليلُ كما لم يُلْيِلْ من قبل :

لادغةُ العقرب عاليةٌ

ومعقوفة بينما تتقدّم مثلَ جَرّافة على الممشى

لتخلطَ الإسمنتَ بالدم في ليلةِ صيف

لتصلبَ القَدَم

على خشبة الأزمان الوقحة

في مَدخل الجحيم ، على بابِ جنّةٍ مفقودة ...

أنتفضُ قافزاً من تأمّلاتي

أنا الحافي القدَمين

في البُستان

وأرمي تلك الجرّافة المُبحرة في الهواء

بأيّ شيء تَطالهُ يدي : بفنجاني ، قلَمي ، لكتابي

بشتيمةٍ ، بتعويذةٍ ، بصيحةٍ بَحّاء

بلعنةٍ ، بفَردةِ الحذاء .

مرثيّة إلى سينما السندباد

هناك طريقٌ
تـُرصّعها سقوفٌ غسلتها الذاكرة
حتـّى ابيضّت ، تحت سماءٍ بلغت أوجَ حُرقتها ، حيث
أسيرُ، حيث كلماتي تريدُ أن تعلو مثلَ أدراجٍ قلعة
مثل أصواتٍ ترتقي السُلّم الضائع
نوطةً بعد أخرى
في دفتر صديقي ، عازف العود ، صديقي
الذي ماتَ ، من صمته ، في وحشة المنفى .
أعثرُ على ذلك الصوت. أجدُ المبنى
وأفتحُ باباً إليه :
زماننا وكيف ضيّعَ تذكراته !
يجري في الظلام مثل ساقيةٍ صغيرة
من أصواتِ كلّ من لم يُعد لهُ صوت !
قالوا لي ...
أنّهم هدموا سينما السندباد!
يا للخسارة .
ومن سيُبحرُ بعد الآن ، من سيلتقي
بشيخ البحر؟
هدموا تلك الأماسي ...

قمصاننا البيضاء ، أصيافُ بغداد

سبارتاكوس ، أحدبُ نوتردام ، شمشون ودليلة

وكيفَ سنحلمُ اليومَ بالسفَر، إلى

أيّةِ جزيرة ؟

هدموا سينما السندباد!

ثقيلٌ بالماءِ شعرُ الغريق

الذي عادَ إلى الحفلة

بعد أن أطفأوا المصابيح

وكومّوا الكراسي على الشاطيء المقفر

وقَيّدوا بالسلاسلِ أمواجَ دجلة .

شكل للصلوات المفقودة

كلُّ ما كنّا نعرفهُ

في دُنيانا هذه ، كائنَتهُ :

تلك الأشكالُ للصلوات المفقودة

والأسئلة الضائعة ، صاعدةً أمامَ عيوننا مثلَ بُخارٍ.

في خاناتها المتألقة بالأنوار التي

كانت لها آنذاك ، ثمّةُ بُقيا ؛

وفي باطن السَّمع ، صوتٌ يتكسّرُ كالموجة

المشدوهة بنفسها ، على رَملة.

كم من شيءٍ قابلٍ للإيمان بهِ

يعرضُ نفسَهُ على العابد!

اللهُ على لسانهِ حليبٌ رائبٌ

وما من شيءٍ إلا وينسلُّ خارجاً من اسمهِ

كما الطَّلعُ الهاربُ من زهرة .

في الليالي

تفرشُ الرغبةُ نفسَها

مثلَ عروسٍ ليلةَ العُرسِ أمام مرآة

والظلمةُ غابةٌ من وعودٍ لا تُوهنُ من عَزمِ العابرِ

نحو مواعيده المتئمة.

كم رغبنا أن تستمّر الأمورُ كما هيَ :

أن نـُقشّرَ مساءاتنا كبرتـُقالة ، وأن نـَجسّ نبضَ القلب .

لكننا كنـّا دائماً ندري أننا منذُ الآن

أسرى أيّام لا تعرفـُ إلا أن تعودَ ظافرةً

في أقواسها المرسومة ، مثلَ كلابٍ مُدَرَّبة

مالئةً آفلقها ، مُنيخةً على

هاماتنا ، حيثُ نركع على طرَف البُركة

الشحيحة لنشرب ، أو نُصلـّي

أو نهلـّل لمن وُلد ، أو نـَرثي

لمن مات .



1

أغنية القطا

(ترجمة شخصيّة)

أنتظرُ الآن

إشاراتٍ

في الأوراقِ

تـَدلُّ على الصائد

وأموتُ مِرارا ً

وأنا واحدْ.

كيف وُلد الغناء الشرقي

نبي

أجَمّعُ نفسي

عارضاً وجهي للبرق

وأنا أهذي بانتظار أن تتركني

الموجة

على شاطئ مجهول ، مُقيَّداً

إلى حَجَر.

كتاب

إفتَحْ كتابَ الزَمن

بأصابعَ مرتجفة ، واقرأ :

ها هي حياتُك مشدودةٌ من شَعرها

إلى وتَد الأيام ، كأنها امرأةٌ

تُريدُ أن تبوحَ لك

بأوّل الأسرار

وآخرها .

الله

شاءَ الله

للعالم السُفليّ أن يتجلّى :

أزقةٌ مظلمةٌ، حزينة

كُتبَ على البشرِ أن يَتيهوا فيها

إلى الأبد .

عُود

ثُمَّ كانت الأيام

ودَسَّ أحدُهم بينَ يديَّ

هذا العُود ، وعلّمني كيفَ أغنّي

بهذا الصوت الجريح .

المرأة الجانحة مع الريح

لو رأيتَها ، تلك المرأة الجانحة مع الريح
وفي عينيها علائمُ زوبعةٍ قادمة
وشَعرُها، منذ الآن ، ينتفشُ في دُوّاماتها
لا تتردّدْ ، أيّها الصديق ، وخَبّرني
فهي قد تكونُ ضالـّتي
قد تكون من ذهبتُ أبحثُ عنها في القُرى
والأرياف البعيدة
حالماً أن أجدَها في زُقاق مُقفر، ذاتَ يوم
تـُطل من نافذةٍ ، أو تحملُ طفلاً
بين ذراعيها ، أو حتى
أن أعرف أنـّها هي ، في ثمّة صوت
في ثمّة أغنية على الراديو تقولُ أشياءَ جميلةً
عن الحزن ، أو الهجرة .

وقد لا تراها
سوى في جناحي فراشة
ترفرفُ لازقةً في قار الطريق
عينيها الملطـّختين بمكحَلةٍ عابثة
نهديها المـُثقَلين بأنداء حُزنِ أمّةٍ ، وفاكهتَها اليتيمة
كبضعةِ أحجارٍ في سلـّة

تعودُ بها من سوقٍ أقفلتْ دكاكينَها

تَصفُرُ في أخشابها الريح ، على أطرافِ بلدة

وُلدنا فيها ، وحَلمنا أحلامَنا الصغيرة

وذاتَ يومٍ ، هجَرناها .

كيس التراب

أمُّ محمّد

قارئةُ الفنجان

المرأة التي يتدلّى

من رقبتها النحيلة ما يبدو

للوهلة الأولى

أنّهُ قلادةٌ

وليس سوى كيسا أسود من جلد

قالت

أنه يحتوي على

قبضةٍ من تراب الوطن

هي الجالسة على دكّة حجرية

في الساحة الهاشمية

بعَمّان

مع آلاف الآخرين

بأنتظار أن تحصل على فيزا

إلى أي بلد

قالت

أنها عندما

عبَرتْ حدودَ البلاد

أيقنت

أنها قد لا تراها

في هذا العالم مرةً أخرى

لذلك

ستحملها أينما انتهى

بها المطافُ

كالنـَير.

أينما انتهى بها

المطاف ، ستحملُ هذا

الكيسَ الأسوَد

من التـُراب .

نيران

لأنهُ احتراقٌ ، ولا ترى النار
الصمتُ وحدهُ ينسلُّ عبر الدَرَفات
في بيت مهجور. صمتٌ لا يدلُّ إلى مكان .

ينتهي حيث يبدأ ، نفَساً يُدوّمُ حول حلقة الحُمّى .

من يحترق ، يحلمُ بالجنّة . من يغرقُ في النعيم ، لا يريدُ أن
يرى النيران.

ها هو جوهرُ الصوت الصارخ في البريّة.
إنه الصمتُ مقلوباً مثل بطانةِ سُترة السجين الهارب.

تخيّلْ أنكَ هناك.
يسقطُ الضياء في شذراتٍ ضائعة
ما وراءَ رأسك . دُخانُ المقتلة يتبدّد . ها هي الحفرة

هنا تتجمّعُ الإشارات . هنا تسقطُ الأبراج .

والعُقبانُ والمراسلون والكاميرات تزحفُ نحو أوّلِ جُثـّة.

يمكنُ لك أن تتحاشى النظر. يمكنُ لك
أن تُسمّيها « متاهة الكتمان ». أنظرْ إلى فم المذيعة.

إنه لا يقولُ شيئاً بينما يهذرُ بكلّ ما يبدو أنه الجواب.

أطفيء هذا الصندوق المليء بقيء ((الأخبار))
تسقطُ فيه أمَمٌ كاملةٌ، وتنهضُ في مكانها الأشباح.

جياعُ إفريقيا ، هياكلُ العظم ، الذبابُ والصُبّار.

أطفالُ العراق في أراجيح الموت
تُهدهدهمُ يدُ التنّين الآتي
ليشرب الذهبَ الاسودَ النابع من قلب الأرض .

وهذا الصمتُ الزاحفُ من مقتلةٍ إلى أخرى
مليءٌ بالضجّة ، لكنهُ فمُ المومياء.

قراءة

(في شواهد الحاضر)

إنها إمّا أنجُمٌ ساقطة
أو نُذرٌ تُرعدُ في وجوهنا بالنبوءات :
عاصفةٌ، زلزالٌ ، حربٌ ، طاعون .
هناكَ من يُعبِّئُ الأجواءَ بالخوف ، بالجنون ، بالريبة .

الليلُ من العُمق بحيثُ لا تصلُ الصرخات
إلى السطح . الممالكُ الممزّقة
تطفو في الداخل على شكل بقايا : صاحبُ المقتلة
يبدو كأنهُ الضحيّة ؛ الصوتُ لا يعرفهُ صَداهُ ، اليدُ اليُمنى
تجهلُ يُسراها .

يبدو أننا دوماً نأتي إلى هذا المكان .

نغذُّ خُطانا كأن الغد يدعونا بجُمع كفّه في الأفق
وإذا بنا نأتي إلى هذه الفُسحة من الصمت.

هذه الفُسحة التي لا تؤدّي إلى مكان .
عندَ هذا المَفرقِ نتوقّف. بانتظارِ أيّ قطار؟
مَن الآتي ، من أينَ ، حاملاً أيةَ أنباءٍ ؟

شوكةُ الطرقات المفقودة هذه ، تتفرّعُ أمامَ بيتي .

بيتي المسيَّجُ بالعاقول ، بيتي

الذي يَلطأ في أخدود ، يختنقُ بالأعشاب

الضارّة ، وبضعُ سَوسنات بريّة خلف سياجي

تُطلُّ بأعناقها الخَضراء فوق بحرٍ من النفايات :

عبرَ أغطيةٍ من خِرَق الأعلام الأميركية المرفرفة

وإعلانات عن الكوكاكولا، تتطوّحُ جبالٌ عالية

طلعت من لُجّة الأبسو، بيضاءَ كالملح

لابسةً زُرقةَ النهاية .

*

كلّ ما هو حيّ لهُ وجههُ الآخر:

المفتاحُ الخارقُ الذي تنفكُّ له المغاليق

يملكُ موسيقى النجدة والإمتلاك – مثلك ، مثل حبّك الجديد

جَسدٌ ياتي بهِ

الصراعُ الذي لا بُدّ منهُ

لرَجْم الأحاسيس بالحجارة .

تَخيّلْ نيراناً تندلعُ من مرافيءِ الجسد (قد لا تُرى ، لكنها هناك)

تَخيّلْ من اصطلوا بتلك النار، الزمانَ الذي يقتحمُ القلعة.

صرخةً لا يُطلقها أحد . فماً يتلوّى في حشرجة أخيرة .

احتشادُ الأحتاف

على قارعة المصير الواحد

والحالمُ آلةُ موسيقى تعزفُ عليها كلّ هذه الأيدي .

*

الشمسُ في كلّ أمسيةٍ تنحدرُ

كقارب صيّاد سومريّ وراءَ بيتي

تاركةً في إثرها دُخانَ خرائب ورديّة في الأفق

وفي الليل تصفو السماءُ ثانيةً

كما يصفو النهر بعد أن ألقيتْ فيهِ ذبيحةٌ أخرى .

والعَزاءُ في كلِّ هذا

ليس أكثرَ من كلمةٍ . والقلبُ نَبرةٌ بسيطة.

أعوامٌ تكرُّ، لا يعدّها أحَدٌ

وإذا بي واقفٌ ، لمّا أزل ، وقد ابيَضَّ شَعري

بانتظارِ مَن يعرفُ مَن أو ماذا ، في مَدخَلِ هذا الباب .

2

شارة الإنبعاث

شارةُ الإنبعاث اليوميّ كفّت عن الإضاءة
في آخر النفَق ، لم أعُد صالحاً للإنجراف
مع المُناخات الزائلة

(لقد خرّبوا الأوزون ، تقول الجرائد
من أجل هذه السيّارات اللعينة.)
ربّما كانَ هذا هو المعنى :
أن تتركَ المحطّات خاليةً وراءَك .
أن تُغادر، قبلَ أن تغادركَ الأشياء
وأن تتعلّم كيفَ تحيا ، هكذا .

تشمُّ رائحةَ الأشنات على ساحل البحر
حيث تمشي كلّ مساء لتستعيد قُدرتَك الأولى
على التنفُّس : كم كان من الصعب أن تُطلّق التدخين !

أن تُطلّقَ السحر مثلَ بروسبيرو
في مسرحيّة شكسبير الأخيرة ، وتكسرَ عصاك.
الريحُ تكفّ عن عوائها في القصيدة .

تعودُ ، كلَّ مرّة ، إلى الأرض

لتنسى مَذاقَ

الجنـّة .

شارة أوضح من الشمس

إلى نـُهى أبو الحسن

من أجل ما لايُتلفَّظ ُ بهِ

من أجل ِ ما لن يُقال ، لأنّ الشفة

بعدُ لم تـُخلـَق ، لأن اللسانَ غيرُ موجودٍ ، في

هذه اللحظة من الزمن

لا نعرفُ الكلمات .

من أجل الطريقة

التي بها نلتقي

في ضباب الصُدفة

في لا يقين اللقاءات ، والأغنية ُ بالكاد

تـُراهنُ على السامع

والصَّمت

يكتري مساحاتِ الحُلم

حيثُ أهربُ شاكيا ً كلـّما تزاحمَت في فمي

الكلمات .

من أجل أذنيكِ الرهيفتَين هذه الموسيقى

يمكنكِ أن تسمعي البَحر

ولكنَّ لغاتهِ كأنـّما في صدَفة .

ليسَ لأيدينا أن تتلامسَ عبرَ الأمداء :

محيطٌ بين ما ستقوله

الأصابع لبعضها ، نهرٌ لن نعبره بقارب .

هاتان اليَدان في هيئة الصلاة

إلى ربٍّ مجهولٍ يسكنُ القصيدة

تعرفان الطرُقَ الخبيئة في جلد الهواء

وأقطاراً نائيةً لن نحتاجَ إلى السفَر

لنعرفَ أنـّها لنا...

فهذهِ حالةٌ النعْمة هذه قداسةُ الكلام

والشـِّعرُ بيننا شارةٌ أوضَحُ من الشمس .

وردة الدنيا

أستاذَ القرابينِ ، سيّدَ اللوائح المقمرة

بأوجُه الضحايا ، دَحرجْ أقدامكَ في هذا

الصباحِ ، من أجلي ، على قفا الدنيا.

تَرجُمانَ أشواق القَتَلة

في أدنى مَراتب الدنيا ، شُدَّ ضفيرةَ هذا

المتصوّف المذهولِ في صومعته المليئة بقيء الأحاجي

وقُل لنا ، نحن المحيَّرين : من مضى ، ومن سيأتي

إلى هذه الدنيا ...

« من مضوا ، مضوا.

وربّما كانوا أقربَ الآن

من أسوار الغياب ، وربّما

وجدْتَ ذاتَ يوم خاتمَ الدنيا

على إصبع أخيك الغائب ».

هذه اللعبة المغشوشة مع اليقين

ما زالت ترنُّ بوَقع عُملة المملكة الضائعة

على أرضيّة الإسمنت.

بالوجه المشوَّه الآخر للدنيا...

مضوا.

وفي صباحيَ هذا، أدوسُ ظلّي

مُنكَّسَ الرأس ، مُثقَلَ اليدين بوردة الدنيا القتيلة.

صفير في الظلام

هذا التطوّحُ المحموم خلفَ بارقٍ يلوحُ ويختفي
كعَصا الساحر المتخاطفة بين أرتال السحّاب

في نظرةِ امرأةٍ مرغوبة تفتحُ بابهَا على حافةّ الحيرة

بين تلافيف الكلمات المدَجَّجة في أثلام سَديمها
كأضواءِ مدينةٍ تاريخيةٍ تنوسُ بأعتابها المقَدَّسة على تلـّة

هذا الصفيرُ في الظلام المُرَصَّع بعين سكرانة
تَبرقُ في طين الخليقة ، هذه المصائرُ الملتفةّ كاللـُبلاب

في كل خطوةٍ أخطوها ، هذا المشي إلى الوراء

للقبض على همسةٍ أو لمسةٍ أو نظرة
على كمشةٍ من الجير النـَيّار ما زالت تـُنيرُ عتـُمةُ القارورة

هذا الحلمُ الأقوى من الواقع
هذا الوهمُ الأجملُ من الحقيقة
كلُّ هذا حتى تستطيع لمرّةٍ واحدة
أن تَشمَّ رائحةَ المعجزة في الريح
كما تشمُّ فَوسٌ هالكةٌ رائحةَ البرسيم في آخر الرحلة .

سكّة

نوافذُ القطار الأرضي

غائمةُ الزجاج ، تفرُّ الأشكالُ عبرَها

كأنّما من عفريت ، وتنفرزُ وراءَنا في خانة الفوَائت ...

زعيقُ العجَلات على السكّة

ظهورُ المحطة التالية في انعراجة النفَق المليء بالعويل

وبضعةُ صعاليك على الرصيف

يكرعونَ الخمرة من قنانٍ مَخفيّة في أكياس الورَق .

إنهُ رفسُ الفراغ الطالع

من حضرة آخر الليل في أيّة مدينة

مُتخَمة بالأحياء وبالموتى : باريس ، برلين ، لندن ، نيويورك .

آخرُ الغرب ، نهايةُ الخطّ. سكّةُ الختام .

نـهر الصراخ المكتوم والـهمس والدهشة

ثمّة نـهر ٍ

لا أعلـْمُ ... من أين

يفيضُ ، وأينَ يَصبُّ ، وهل هو نـهرٌ ؟

نهرٌ يحملني

كالمَهدِ إذا عُدتُ وحيدا ً

من آخر ِ بار ٍ أغلقَ أبوابَهُ في البـلَدِ

أم أصواتٌ متربّصةٌ

بين تلافيف دماغي السَلفيّةِ تـَرغي وتـَموجُ

(صُراخٌ مكتومٌ في لا حُنجرةٍ

همسٌ شيزوفرينيٌّ مختلطٌ بعَويل ٍ)

تـُوجسُني شَرّا ً

من ظلّ القامات المترنِّحةِ

المصطفّةِ في ضفـَتـَيهِ :

أعداءٌ كنتُ أظنُّ الموتَ

تكفـَّنـَهُم في أقمشة الأبَد

من أيّ سَفـَوْبرلك عادوا !

يتخفـّونَ بأعراف الخيل ِ ، ويُخفونَ وراءَ خناجرهم وعدا ً

بولائمَ لن تـُنسى

ستـُقام قريباً بين خرائبِ بيتي

حيث سأحفرُ للمستقبلِ قبراً بيديَّ ، وأودعهُ القبرَ ، بنفسي .

قاماتُ لصوص نـَهبوا التاريخَ

كأنه بنكٌ ، ولـهُم هَمٌّ واحد :

أن يـَقتسموا الوارد

باسم وعودٍ جاءت في كـُتـُب

دشـّنـَها بالسيفِ طـُغاةٌ لا حصرَ لهم

وبهاليلُ بلا عَدَدِ

يندفعونَ الآن مع الدُنيا

في إعصارٍ لـَجِبٍ حولَ مَحاورِ خوفي :

تلك الأعمدةُ المَجبولة

من عَرَق الأيدي الناضح في قصر كوابيسي

وفضولِ الرائي من خلفِ ستار

بخصوصِ رؤاهُ حينَ يرى ، ما لم يَرَهُ ...

وكما في كلّ مغامَرةٍ ، في آخر كلّ مطافٍ

يأخذني هذا النـَهرُ السريُّ إلى بيتي .

3

على مشارف الرقصة

لم تكن تعلمُ ما يُلقي

بكَ في الأحراش والطـُرُقات

ما يحاولُ أن يستعيدك دائماً من قبضة الوقت

هل تعلمُ لماذا يختفي ثانيةً في مجاهيلهِ

وجهٌ رأيتَهُ في نافذةٍ ، في بابٍ ، في محطة قطار؟

طالعاً ثانيةً من أسترة البُخار في رأسك

عندما تستيقظُ من ليلة سُكر ثقيلة

أو عندما ، بعد أرقٍ طويل ، تنام

بشفاهٍ لا تقولُ شيئاً ، بشفاهٍ كان يمكنُ أن تقول

ها هي الكلمة التي لم تنم من أجلها أيّاماً ها هي الكلمة !

((أيها الصعلوك الخارج من سِفر التكوين

ليُخرّبَ بندولَ الساعة)) !

من أرْساكَ في هذه الدُوّامة مَن اقتلعَ الأوتاد؟

ربّما اختلاطُ الأقوال . انهيارُ المعمورة . تَـهيُّجُ الأبعاد؟

بسرعة الإنخطافة العابرة وحيرة **الديجافو** .

ماذا يشدّكَ إلى الطريق :

الخالُ في الصدّغ؟ النُقرة في الخدّ ؟ الخاتَمُ في السُرّة ؟

وجهُها الملغَز بأسرار الليلة الماضية

عندما تنزلُ الدَرَج

وتجلسُ إلى المائدة في الصباح

تحدجُ بيضتَها المسلوقة بعينيها الناعستين حتى الضجر.

هنالك أيضاً ، فيهما ، يكمنُ شيءٌ

أقربُ ما يكون

إلى يدك ، وأبعدُ ما يكون ... عن أبعَد الأحلام **!**

لكنّ أحدهم تكلّم ، وأسقطَ كلامَهُ مثلَ صحن من خزَف

على أرضيّة الصمت

مقدَّساً كأنّما ، أيضاً ، هنالكَ ، كان :

أيةُ نوتردام مُشيّدةٌ من الأخطاء

تنهارُ على رؤوس عُبّادها بضربةٍ من ناقوس الأيام الدخيلة؟

مرورُ العالم . قشرته اللمّاعة. موكبُ الغبُار

والعربَات. بَهرجةُ المدينة .

حفلةُ البضاعة

الكاسدة وأيدي الباعة الدَبقةُ الأصابع

بَزناخة العُملة المتداوَلة

حتى الإهتراء

وفي كلّ مرّةٍ لم يكن لك ، منذ البدء ، اختيار

لأنها الرقصة التي لا عالمَ من دونها . لأنها الرقصة .

عيد القدّيس الفـُلاني

عيد القديس الفـُلاني ، أو لعلـّهُ

العاشق السيء الحظ ، يومُنا هذا...

شتاءُ يأتي .

من الصعب أن نبقى

في تلاؤمات البرد، سحَابةَ صيفٍ !

أن نجعلَ القلبَ ينتظر

والمخيَّـلة تـُقارع العالم . أن

نكون مُمَشـِّطي الموجة. زبّالي السماء. ندري

أننا جميعا نخونُ شيئاً ما . أيّاً كان . في

كل لحظة .

من قبلُ أو من بعد .

أم هل أنهُ العالم ، يخونُ ذاتـَهُ ، كلَّ لحظةٍ ، فينا ؟

شتاءٌ يأتي ...

العُزلة ستأخذنا مثلَ خيمة

انفلتت من أوتادها لتهيمَ بين الكـُثبان

في صحراء « الوُهَيبة » التي لها شكلُ قلب

مُعلنةً حُبّاً أتلعَ بملء افتراعهِ ليأخذنا إلى البعيد .

مَسرّتـُنا والوجَعُ ؛ سعادتـُنا والألمُ الرهيف.

رأيتُ روحي الليلة

كدودة القزّ ، الصغيرة

تزحفُ نحو انبعاثها في جسدِ الفراشة .

رأيتها تسعى

لتلفُظَ آلامَها في حريرٍ

قد يُنسجُ منهُ ثوبٌ لفاتنةٍ تتعرّى في آخرِ ليلٍ ما

تتعرّى ، وتستسلمُ لعاشقها ، الذي قد يكونكَ ، أنت

أيها العربيدُ الذي هو أيضاً أنا

أو قد ، أنا الحالمَ بلا أحلامٍ، يكونني .

شارع سقراط

هذا وحدَه ، شبرا شبراً
نـَفـَسا ً نـَفـَسا ً، مثلَ بخيلٍ أسَرَته عُملتـُهُ
أشبَهَ بالعابدِ في خـُلوتِه ، أركعَهُ شيءٌ لم يرَهُ.

العالمُ يا سيّدُ آلة ُ نسيانٍ ، تمحو
الآثارَ السابقة بآثارٍ لاحقةٍ ما أسرعَ ما تمحوها
آثارٌ أخرى : هذه حركيّتهُ (هذه لعبتهُ) ولكل منـّا دورٌ
لم يَختـَرهُ ، لكنّ عليهِ
أن يلعبَهُ.

من يجرؤ أن يتخلـّى
عن دورهِ ، مجنونٌ ، بطلٌ ، أو قدّيسٌ يرمي أنشوطتـَهُ
نحو مدىً أعلى
لكنّ صليبَهُ أحياناً ، سُلـّمُهُ .

أيّ ديوجينَ يُرينا
إنساناً ، أيّة ُ أنتيغوني تتحدّى
كِريونَ السكرانَ بسلطتهِ ؟ أروني تلك البطلة .

العبدُ النائمُ في إصطبل السيّد ، يحلمُ أيضاً
أنـّهُ لا يُسلمُ بالأمر الواقع ...

ذاك الطيّار المجنونُ غداً ، لا فرقَ لديهِ
أن يقصفَ بيتكَ أو بيتي .

هذا ما يجعلني أتكلّمُ أحياناً
ولذا سأقولُ : لقد مات المايسترو يا سيّد
لكنّ الموسيقى ما زالت تتعزفُ لمن يُصغي .

هذا وحدَهُ ، لا أكثر. لكن لا تسألني ما هذا.
لا أحدٌ يوقفُ سيرَ العجَلة.

هذا ما قالهُ رجُلٌ
لم أرَهُ قبلَ اليوم ومن يدري
أن كنتُ سألقاه ثانيةً بعد الآن
لقيتُه في شارع سقراط بالصُدفة ، ونسيتهُ بعد قليل .

هذا ما حلمتْ بهِ سيدةُ الأقدار البَطِرة
وهي تُصَوبنُ عانَتَها في أبخرة الحمّام العَطرة.

عُقاب الأبديّة

العُوَينات تحت ضوء المِصباح.

عنوانُ الكتاب على الرفّ.

*

يستيقظُ الحلم ، بأجفانٍ مزرقّة، بين رجلٍ وامرأة .

حُلمتُكِ في فمي أليَقُ بأعياد باخوس من عنَب الآلهة.

نَهدُكِ الأبيض كوكبٌ من حليب

أرشفُهُ بنظرة.

*

دعوا للنهر أن يجري ، طوالَ الليل ، بينهما . لماء الأغاني

أن يسيلَ في كلّ أخاديدها ، على بطنها ، إلى دَلتاها .

*

صوتُ المطر.

عُويناتي الغائمة ببُخار أيّامي.

وعُقابُ الأبدّية الجاثمُ في لازَمانهِ على رفّ الكُتُب.

هادئٌ ميزاني

عندي ما عندي ، وميزاني هادئٌ ، بكفّتيه.

تخرجُ الحياة عاريةً من بيتي إذا أقبلَ الفجر.

يصيحُ التجّار وكروشهم تهتزّ، مُمَسِّدِينَ لِحاهُم :

« ما أجملَ تلك الجوهرة البديعة بين فخذيكِ...»

وتَفحُّ الجمجمةُ المعَمّمَة :

«ارجموها »!

وأنا، المُرهَقُ حقّاً، أنامُ ملء جفوني حتى الظهيرة.

جبل القدّيس

السماءُ سجّادة

فارسيّة ، ساطعةُ النقوش ، تلفـّها يدٌ

غيرُ مرئية ، فوقَ سَنام الجبل القريب

جبل القديس برونو.

أراهُ من نافذتي

الشرقية ، حوتاً من ترابٍ

وديانـُهُ الوردّية عند الغروب تملأها الظلالُ حتى

يزحفَ الضبابُ من البحر، ويخُفيهِ

في غلائله البيضاء .

مرّة ، ذهبتُ أتسلـّقهُ ، وسرتُ على القِمّة .

واليومَ أسيرُ في البيت

جيئةً وذهاباً ، كمن أضاعَ شيئاً

وكلما بلغتُ النافذة ، تطلـّعتُ شرقاً

وألقيتُ عليهِ ، خلسةً نظرة.

VI

كرسيّ القصب

1

كرسيّ القصب يتأرجحُ

على حافة الهاوية

ذاكَ الذي كنتُ أجلسُ فيه قبلَ قليل.

بمجرَّد أن أخطو هذه الخطوة

لن يمكنَ لليوم أن يكون مثلَ البارحة

حتى إذا لم أصلْ إلى مكان .

اليوم بعثوا إليّ بهذه النبوءة

في البريد - استلمتُ الطِرْد، لكنني

لم أفتح المظروف.

أكثرُ من نبوءة

تشيعُ في الأسواق هذه الأيام

ويزدادُ، بعدَها ، عدَدُ القتلى .

إسمَعْ ، هذا آخرُ الأصوات

وإذا لم تسمع ، فما من صوتٍ

بعد، وما من مُنادٍ ، ولا حنجرة .

إن كنتَ لاتستطيعُ

أن تنام ، لا تنـَمْ : هنالك ، لو تدري

عالمٌ كاملٌ من اللانوم ، بانتظارك.

اسمع، هذا خبرٌ آتٍ .

مُدن تمتلئ بصبر الأرامل . حِدادٌ

جنازاتٌ ، بها الشوارعُ ملأى .

نجمةٌ تسقط . رأسُ قتيلٍ يطفو

بين القوارب ، ضفدعٌ نقّاقٌ ، هنا.

سحليةٌ، حالمةٌ ، هناك .

جبالٌ تحرّكتْ ، وانهارت

عوالمٌ كاملةٌ على رؤوس الغَرقى

وإذا بالفئران إيّاها ، تعودُ لتملأ السفينة.

حشرجةٌ تملأ الليل

هذا الذي فيه لن ينهض القتلى

ليُشيروا بأصابعهم إلى القاتل.

خوذةُ الجنديّ الفارغة

جاءَ ليسكنَ فيها الموت ، وجاءَ بعدَهُ التـُراب.

ثم جاء العنكبوت .

على حافـّة البئر :

سيِّءٌ الليل ، ضفدعُ الأقاصي .

المسافرُ يُريحُ متاعَهُ تحت نخلةٍ ، ويُصغي .

2

في هذا اليوم العاصفِ ، مثلي

يقبعُ النورسُ على السياج بانتظار سمكة

أو أيّ شيء آخر قد يجودُ به البحر.

حولي أوجهُ الحمقى

وأصواتُ الطيور الجارحة .

كيف وصلتُ ، من دلّني إلى هذا المكان ؟

أنا صاحبُ هذه المحارة

أجدُ فيها لؤلؤة ً كلّ يوم ، وأرمي

بها ثانية ً إلى البحر .

أنتظرُ شيئا ً، أو أحدا ً، كلّ يوم

وأعرفُ أنّ من يمضي ، سيأتي.

ومن يأتي، حتما ً، سيمضي.

عطشي أعمقُ من البئر.

هذا السطلُ المثقوبُ الذي يضربُ الجدران

في طريقه إلى القاع ، لن يمتلئ أبدا ً بالماء.

سقطةٌ في الليل ، ونسمعُ الجُثّة
بكلِّ ثقلها البشريّ تضربُ الرصيف.
إنّهُ العمّ الذي عادَ من حفلة الموتى.

أنا من يصعدُ هذا الدَرَج ، كم من صاعدٍ قبلي
ألتقطُ حُطامَ سرّ على كلّ بَسطة
وأدوسُ على أشلاء ثمّةِ قصّة .

إنه الفجر. تستنيرُ المباني.
يستيقظُ العشبُ في أمريكا.
كلّ عشبة تتذكّرُ مجنوناً اسمهُ والت ويتمان.

أنا من لا يصلح لترتيب المراثي
رغمَ أنّ أمواتي كثيرون ، وقبورهم
موزّعةٌ في البراري ، تنبشها الذئاب.

هناك بضعُ كلمات لا بدَّ منها
ليستقرّ الكون، كلٌّ منها عالمٌ كاملُ الصفات
كل منها كوكب.

أنهَرُ كلبَ القبيلة
لكي يتقهقرَ إلى وكره مزمجراً، بأسنان مُعَرّاة
وأعطيه هذه العَظْمة.

لئلا تموت الكلمات

لئلا تفتح المدينةُ أبوابَها لابن آوى

أقدّمُ هذه العَظْمةَ في كلّ يوم لكلب القبيلة.

3

دفنوا الدرويش

وظلّت يدهُ طالعةً من القبر

تُداعبُ حَبّات المسبحة .

أنا من يأتي في آخر الليل

ليطرق على الباب

ولا يعرفُ مَن صاحبُ البيت .

أكتبُ ميناءً من كلمات

ترسو فيه سفُنٌ خانَها البحر

متململاً في كهفي مثل دُبّ في سُبات.

من كانَني

قبل أن أكونَهُ ؟ من كنتُهُ

قبل أن يكونني ؟ من كنتُ ؟ من سأكون ؟

نارٌ، بدونها لن يحدث ما

يستحقّ الذكر، بدونها لن يستيقظَ النيامُ فجأةً

ليسيروا في شوارع المدينة.

مائدةٌ. لكنها منصوبةٌ لغيري.
عالمٌ، لكنّ ظلّهُ يسقط على دُنياي.
عاصفةٌ في آخر الدنيا، وأنا... المعصوف.

جُرعةُ ماءٍ ، وما إن
نتجرّعَها ، حتى نرى العلامة
على طريق الظمأ.

أينَها ؟ أينَ أمريكا التي عبرتُ البحر
لآتيها، أنا الحالم ؟ هل ستبقى أمريكا ويتمان
حبراً على ورق؟

مسبحةٌ من فِقار ظَهري
في يد المتعبّد الملهوف
لن تكفّ عن كرّها حتى يتهدّمَ المعبد.

سرٌّ يحلمُ بأن يعلو
فوق الظلّ. ظلٌّ يحلمُ بأن يعلو
فوق السرّ. عوالمٌ تضيع. سبُلٌ سانحةٌ. أخطار.

يا لها من رحلة.
الميّتُ والحيُّ ضيوفٌ في حانة سيدوري.
من يحتاجُ إلى الآلهة ؟

يهتزُّ كرسيّ جدّي المواجه للنافذة.

يهتزُّ على أسوار أوروك.

يهتز حتى وهوَ فارغٌ، لا يجلسُ فيه أحَد.

ملاحظات وإشارات

الزُّهر والله وآينشتاين: عَنى آينشتاين بعبارته "الله لا يلعبُ بالزُّهر مع الكون" أنّ كلّ شيء محسوب وثابت، منذ الأبد إلى الأبد.

"موبي _ ديك أو الحوت الأبيض" عنوان رواية هيرمان ميلفيل المشهورة. آخاب هو قبطان سفينة "بيكود" الذي اقتطعَ الحوتُ ساقه ، والتي طارد فيها الحوت حتى النهاية المريرة طلباً للإنتقام.

فجوة الأزمنة المتاحة: "الشاهد القروي في قصة كافكا" – إشارة إلى قصة كافكا "أمام القانون".

إلى الملكوت: "ذلك النائي" هو أوتنابشتم (هو الذي وجد الحياة، بالبابلية)، أو زويسودرا (ذو الحياة الطويلة، بالسومرية) الذي نال الخلود، لأنه أنقذ الخلائق من الطوفان.

إلى سيزار فاييخو: سيزار فاييخو (1892 – 1938) هو الشاعر البيروفي العظيم الذي مات في منفاه بباريس، بعد مرض مفاجئ، ويقال أنه بسبب الجوع. قصيدته "عجلة الإنسان الجائع" جاءت في مخطوطة عنوانها " موعظة على البربرية" نشرت بعد موته. شاعر الأبيض والأسود في هذا الخميس جزءٌ من قصيدة يتنبأ فيها بموته.

قصر ملك الظلمة والنار: القدّيس جيروم (يوسيبيوس هيرونيموس) هو أحد أعظم علماء اللاهوت في القرون الوسطى، مشهور بالتقشّف والصرامة. عاش في روما والقسطنطينية وفلسطين وصحراء سيناء ، حيث ترجم التوراة إلى اللاتينية بينما كان يقتات على الجراد ويحسو الندى ، حسبما جاء في سيرته.

تو فو في المنفى: يُعتبر تو فو (713 – 770)، مع لي بو وبو تشو – ئي، أحد أكبر شعراء الصين ، إن لم يكن أكبرهم. عاش حياته، منذ أن كان في العشرين ، تائهاً ومنفّياً، وشعره مليء بمشاهد الحرب والموت والثورات والمجاعات التي عاشها أو رآها في أسفاره الدائبة، والتي كانت فترة حكم سلالة "تانغ" في القرن الثامن حافلةً بها، إلى جانب مشاهد المجد والأبّهة. وكان يقال في الصين، حقّاً ، أنه يكتب كالآلهة. وقد حاول تو فو أن يوجز تاريخ البشرية بأكمله في ست كلمات دامغة: "دخان الحرب ازرق / بيضاءُ عظامُ البشر".

محمود البريكان واللصوص في البصرة: مات الشاعر العراقي محمود البريكان مقتولاً في داره بالبصرة عام 2002. هجرة الفراشة نحو العالم السفلي: عطف

على قصيدة له عنوانها "متاهة الفراشة ".

أوروزدي باك: مخازن راقية مشهورة كانت تقع في منتصف شارع الرشيد ببغداد.

أنا الذي: "باتاغونيا" منطقة في أمريكا الجنوبية، تقع في الجزء الجنوبي من الأرجنتين وتشيلي، وتمتد من جبال الانديز إلى المحيط الأطلسي.

من يعرف القصّة: "بئر ابراهيم المهجورة " تشير إلى قصيدة يوسف الخال" البئر المهجورة " (عرفتُ ابراهيم، جاريَ العزيز من زمان)...

لي دونغ: شاعر صيني من سلالة تانغ، في القرن الثامن.

جئتُ إليك من هناك: "يوسف" في هذه القصيدة هو صديقي القديم من كركوك، الكاتب والقاص العراقي يوسف الحيدري الذي سقط ميّتاً، من الجوع أو اليأس، أو كليهما، في شارع المتنبّي ببغداد المحاصّرة، وسمعت بخبر وفاته وأنا في قرية "شوبنغن" الألمانية حيث كنت أقيم، سنة 1997.

رسام الأهوار: "القالة" حربة لصيد الأسماك يستعملها صيّادو الأهوار في جنوب العراق، ولعلّ أصلها، كالمشحوف، سومري.

يوميّات من قلعة فيبرسدورف: قلعة فيبرسدورف تقع في قرية صغيرة قريبة من برلين، وهي مكرَّسة لإقامة الكتّاب والفنانين ، حيث قضى الشاعر خمسة أشهر متفرّغاً للتأمّل والكتابة.

الحياة على حافة زلزال: "أخدود القدّيس أندرياس" شقّ زلزاليّ يمتدّ بطول ولاية كاليفورنيا حتى يصل إلى أميركا الجنوبيّة.

إذا عاشت الكلمات: قل "شيطان" / ويُغمى من الرعب على اليزيدي – لأن اليزيديين يعبدون النار التي هي رمز للشيطان ، كما جاء في التواريخ.

في وسط كلّ شيء، حجر: عنوان هذه القصيدة مأخوذ من قصيدة للشاعر الإيرلندي وليم بطلر ييتس، هي "فُصح 1916"، وكذلك العبارات المطبوعة بحرف أسود، والموضوعة بين معقوفتين. وقصيدة ييتس هذه، إعادة إلى قصيدة سابقة هي "سبتمبر 1913" كان قد أنكر فيها احتمال وقوع أية بطـولات رومانسية في إيرلندا ذلك الحين. إلا أن الأحداث التي وقعت في أسبوع الفصح

عام 1916، أقنعت ييتس بأن الشجاعة القديمة – كما كان يراها – عادت إلى الحياة عندما أعلنت المنظمات القوميّة في العاصمة دبلن عصيانها على الحكم البريطاني، واحتلّت دائرة البريد وأبنية أخرى. لكن بعد أسبوع من المقاومة البطولية اليائسة، نجحت القوّات البريطانية في سحق المقاومة وإعدام قادتها، وييتس ، في قصيدته المستوحاة من هذه الأحداث، يتساءل مثلما تساءل الإيرلنديون في ذلك الحين، عن معنى التضحية والبطولة، والخراب الذي ينتج عنهما ، وعن صفة "الجمال" التي تُضفيها عليهما ، الذي قد يكون، بدوره ، "مُرعباً "...

حلم البيوت: إينانا هي عشتار السومرية. نانونتا نانا (بالآشورية) تعني: جدّتنا، الحاضنة.

الهجرة من آشور إلى بلدان الأشياء الأخيرة: "بلد الأشياء الأخيرة" عنوان رواية للكاتب الأمريكي بول اوستر. أوتانابشتم: هو ملك شوروباك الذي أنقذ البشر من الطوفان فصُيِّر خالداً من قبل الآلهة.

القصّة ستروى: "إله جيمس جويس" – شبّه جويس الروائي بإله يُقلّم أظافره، غير مُبالٍ بما يحدث لأبطاله.

قراءة (في شواهد الحاضر): "الأبسو" هو بحر المياه العذبة التي تحت الارض، ويحكمها الإله آنو (إنكي) في ملحمة الخليقة السومريّة "أنيمو آليش" أو "عندما في العُلى".

شارة الإنبعاث: "بروسبيرو في مسرحية شكسبير الأخيرة" – هو الساحر الذي يتوب عن سحره في "العاصفة".

حديث مع رسّام في نيويورك بعد سقوط الأبراج: "بوّابة الجحيم" – إشارة إلى منحوتة كبيرة لرودان، عنوانها "بوابات الجحيم".

على مشارف الرقصة: "ديجافو – deja-vu ظاهرة نفسيّة يصعبُ تفسيرها، هي عبارة عن وهم يستولي على المرء في لحظة ما، يختبر فيها شيئاً، أو رؤيا، للمرة الأولى مع أنه يحسّ بأنه رآها من قبل بالضبط كما يراها الآن، في نفس المكان، ونفس الزمان.

"أيها الصعلوك الخارج من سِفر التكوين/ ليُخرب بندول الساعة": بيتان مأخوذان من قصيدة للشاعرة الأمريكية إميلي ديكنسون.

كرسيّ القصب: "كلّ عشبة تتذكرّ مجنوناً اسمهُ والت ويتمان" – سمّى ويتمان ديوانه "أوراق العُشب".

"سيدوري": هي صاحبة الحانة في ملحمة جلجامش.

فهرس الجزء الثاني

Sargon Polus

The Poetic Collection



مطبعة وزارة الثقافة / اربيل